إصلاح الأمة

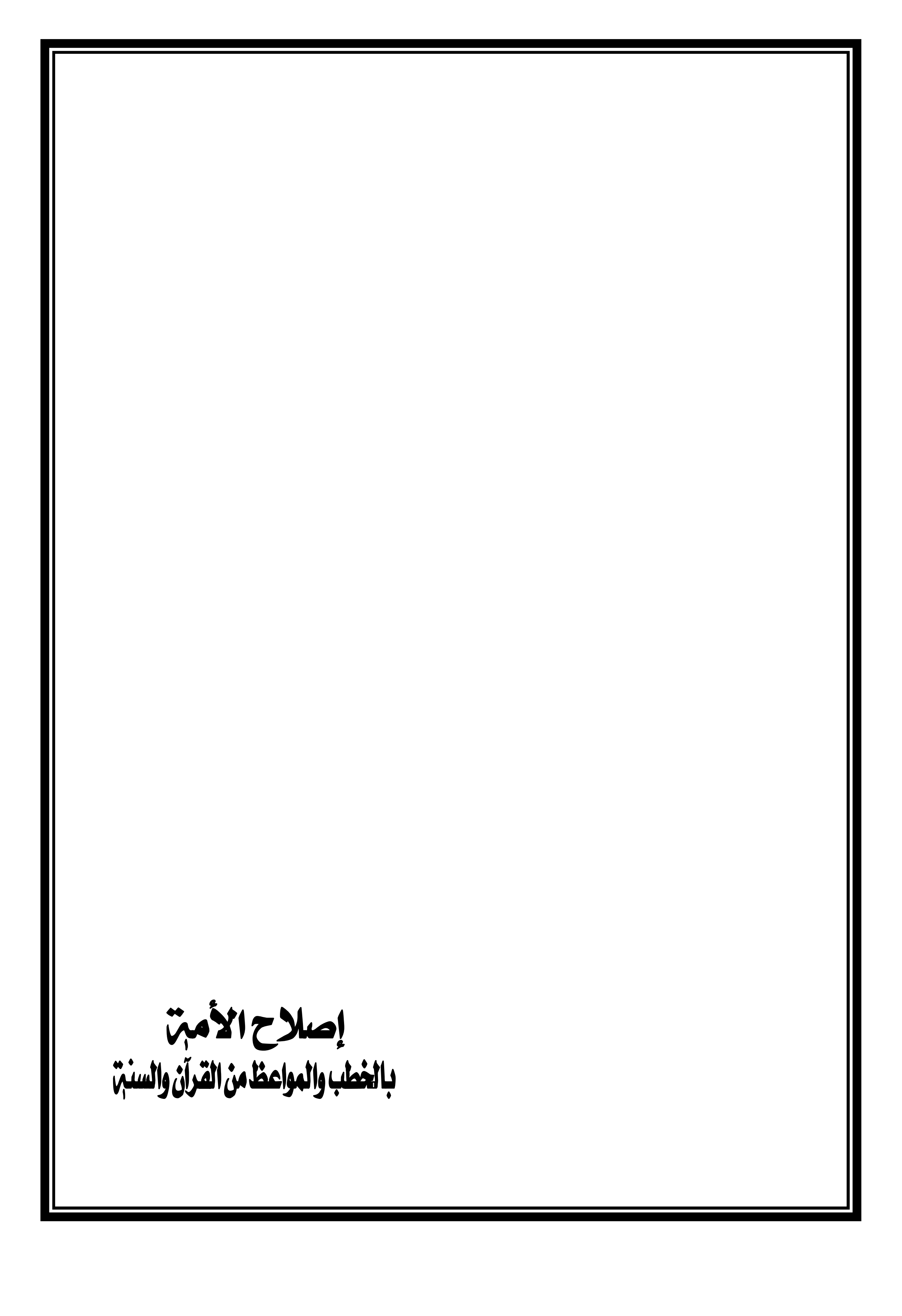
بالخطب والمواعظ من القرآن والسنة

لفضيلة الشيخ

أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

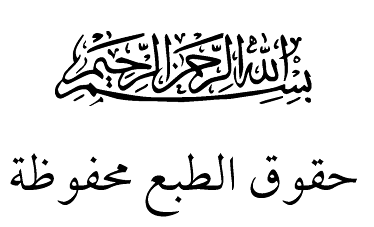
حفظه الله تعالى

الجزء الثاني



إصلاح الأمة

بالخطب والمواعظ من القرآن والسنة





عين شمس الشرقية ـ القاهرة جمهورية مصر العربية.

جوال: ٠١٠٤٦٧١٤٣٩ ـ ٠١٠١٠٢١١٨٧

موقعنا على الإنترنت

www. dar-ketabsunah. com

للتواصـــــــل

Dar_alktabwalsunnah@hotmail. com

Dar_alktabwalsunnah@yahoo. com

البريد الإلكتروني

marketing@dar-ketabsunah. com إدارة التسويق

production@dar-ketabsunah. com إدارة الإنتاج

ذم الغفلة المهلكة

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠ـ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله تبارك اسمه وتعالى جده في كتابه الكريم: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٦].

فأبان الله في هذه الآية الكريمة أن ذوي الغفلة الذين كذبوا بآيات الله وغفلوا عنها، وكان ذلك سببًا في تكذيبهم، وفي صرف قلوبهم عن آيات الله، عن تدبرها، عن الإيمان بها، عن العمل بها، عن الاستفادة منها في إي أمر من أمور دنياهم.. لم يستفيدوا من ذلك بسبب أنهم كانوا غافلين عن آيات الله، وما يعطون آيات الله تلك الأهمية، وتلك العناية من حيث العلم والتعليم، ومن حيث الفقه والتفقه، ومن حيث العمل والتدبر والاتباع.. فعاقبهم الله بأن صرف قلوبهم، ونظير هذه الآية قول رب العزة والجلال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف:٥].

علم الله من قلوبهم الزيغ، علم الله من قلوبهم البعد عن الحق وعدم التطلع إلى معرفة الحق فأزاغ قلوبهم، وطمس عليها، وختم عليها، وصارت منكوسة لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا، يا هول مصيبة هؤلاء! الذين ابتلوا بانتكاس القلوب بسبب ما يحصل من الفتن.

تلك الفتن التي تكون على قوم تصفية للقلوب، وتكون لآخرين انتكاسًا للقلوب، وعجبًا كيف أن الله عز وجل يصفي، ويميز بين الحق والباطل، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال:٣٧].

في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا: فأيما قلب أُشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء.. حتى تصير على قلبين: أبيض مثل الصفاء لا تضره فتنة..**»[1] الذي يسلمه الله من الفتن بسبب أنه ينكر الفتن يصفو قلبه، وتطهر سريرته وعقيدته، يطهره الله من أدران البلاوي والمعاصي بسبب تلك الحسنة.

والذي يتطلع للفتن ويستشرف لها، وكلما جاءت فتنة إذا به يسعى حولها ويحشها، ويشربها قلبه؛ فهذا سبب الانتكاس، سبب لطمس القلوب، سبب لظلمتها، سبب لإطفاء نورها.

قال ﷺ: «**حتى تصير القلوب على قلبين: أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًّا كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه**».

ألا فلينتبه لهذه القلوب! يجب على كل مسلم وعلى كل إنسان أن يعتني

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٤٤)، عن حذيفة رضي الله عنه.

بقلبه خوفًا من الوقوع في الغفلة، فإن القلوب تغفل عن الحق، إن القلوب تغفل عن الاتباع، إن القلوب تغفل عن البصيرة، إن القلوب تغفل عما ينفعها في يوم القيامة: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

أيها الناس: إن الفتن الحاصلة بين الناس الآن التي تنخر في صفوفهم وتسبب التفكك والتمزق بينهم لَهِي -والله- بسبب الانغماس في الفتن والمعاصي، وغفلة القلوب عن اتباع الحق، وإلا فإن ربنا جل في علاه يقول في كتابه الكريم: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

فتش عن نفسك فإذا فتنت في قلبك أو ولدك أو مالك أو أي شيء في هذه الدنيا؛ فينبغي أن تعود على نفسك باللوم، فربما تكون بسبب تقصير منك، وربما تكون أيضًا قليلًا من كثير كما هو شأن المنافقين فإن الابتلاءات والمصائب في حق الكافرين والمنافقين الاعتقاديين هي قليل من كثير، كما يقول الله عز وجل: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١]، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [القلم:٣٣]، وقال جل وعلا: ﴿لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾ [الرعد:٣٤].. وقال الله جل جلاله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾

[الشورى:٣٠]، وقال جل في علاه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].. فابتلاءات في هذه الدنيا في حق الكافرين والمنافقين ليست إلا قليلًا من كثير.

إذا غلفت القلوب حصلت الفتن وتفاقمت الكروب بسبب غفلة القلوب عن الحق واتباع الحق قال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

مقت الله الكافرين وذمهم على ما بهم من غفلة القلوب، وقد مسخهم الله سبحانه بمعاصيهم التي كانت ناتجة عن غفلة القلوب؛ قال الله رب العزة والجلال: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة:٦٥].

قد لعنهم الله تعالى بسبب ذلك قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ * كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].. معاصٍ بسبب غفلة قلوبهم عن ذكر الله وطمس الله قلوبهم كما في الآية الأولى.

القلوب إذا غفلت عن ذكر الله قست، وإذا غفلت عن الحق فسدت، وإذا غفلت كذلك عن الاتباع يحصل لها الخطر والضرر والفتن.

اللهَ.. اللهَ.. ـعبادَ اللهـ في الاتباع، اتباع ويقظة القلوب على الحق، وإلا فإن هذا خطر عظيم على المسلم، وهل حصل ما حصل كما سبق إلا بتساهل الناس بأمر قلوبهم وبأمر الاتباع في ذلك؟!

قال العرباض رضي الله عنه: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**».. فعلمهم المخرج بعد بيان الفتن الحاصلة وما سيتراكم في هذه الحياة الدنيا من البلايا، ودلهم على المخرج العظيم وهو سنة رسول الله ﷺ.. مخرج أيما مخرج!

إن غفلة القلوب عن الحق ضرر عظيم، وقد ذم الله أصحاب تلك الغفلة فقال عز من قائل: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١]، ثم قال رب العزة والجلال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢]، و(محدث) أي: جديد، ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء:٣] حال كونهم يلهون بقلوبهم لا يعبئون بالقرآن، لا يعبئون بالسنة، لا يعبئون بتذكير، ولا تغني فيهم الآيات والنذر ما داموا على ذلك الحال، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى

غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾، سبَّب لهم الإعراض، ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنبياء:٢-٣] فلهو القلوب وغفلة القلوب عن الحق وعن السنة خطر، وقد قال رسول الله ﷺ: «لَتُسَوُّنَّ صفوفكم أو لَيُخَالِفَنَّ الله بين وجوهكم» بسبب الغفلة عن تسوية الصف، وما كانوا متعمدين الاعوجاج، لكن ما بالوا بتسوية الصف في الصلاة؛ فكان ذلك أيضًا سببًا من أسباب مخالفة القلوب والوجوه، هذا له وجه، وذاك له وجه، وكلٌّ له اتجاه، وذاك أيضًا له قلب فيفهم هذا الفهم المختلف المنعكس.. وهكذا يخالف الله وجوهكم، إن المعاصي وغفلة القلوب عن الحق وعن اتباع الحق خطر عظيم، وهكذا يقول ﷺ ذات يوم: «**ستهب رياح شديدة هذه الليلة، ومن كان له بعير فليعقله، ولا يقومن أحد**» وغفل رجل عن هذا النهي والوعيد، غفل.. نسي.. وحصل له أنه قام من الليل ولم ينتبه لذلك الأمر فاختطفته الريح وأخذته إلى جبلي طيء. غفلته تلك عن أمر رسول الله ﷺ صارت خطرًا عليه.

وقال ﷺ لرجل أكل عنده بشماله: «**كل بيمينك**» قال: لا أستطيع. ـما منعه إلا الكبرـ عدم انتباه لأمر رسول الله ﷺ كأنه أمر أحد عامة الناس، وما التفت إليه ذلك الإنسان وما ألقى له بالًا؛ فدعا عليه رسول الله ﷺ قائلًا: «**لا استطعت**» فما رفعها ذلك الرجل إلى فيه.. يبست وشُلَّت.. فالغفلة عن الحق أمرها خطير جِدٌّ خطير.

استيقظ! وانتبه! للكتاب والسنة علمًا وعملًا وتدبرًا واتباعًا، وكذلك

استيقظ وانتبه للعلم تلقيًا وأدبًا.. وإلا فإن الغفلة عن هذا خطر على الإنسان. انظر إلى الذين غفلوا عن الحق وأهل الحق من علماء أجلاء وعاملوهم معاملة عدم المبالي؛ ما تدري إلا وينكسه الله بسبب الغفلة عن الحق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦].

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فكما سبق أن هذه القلوب تحتاج إلى عناية وإلى تنبيه لها بذكر الله وبطاعة الله عز وجل، وإلا فإنها تغفل، ويأتي يوم وهي في غاية اليقظة ولا ينفعها ذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ * وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ * لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:١٩-٢٢].

إنما تنفع اليقظة الآن وأنت على قيد الحياة، ينفع الانتباه الآن، ومهما غفلت فإن الله ليس بغافل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم:٤٢].

فلا تظنن بربك ظن السوء، وأن الله يغفل عنك.. عن قلبك عن حركاتك عن سكناتك في ليلك أو نهارك، الله ليس بغافل، وإذا كنت أنت

في فسحة في هذه الدنيا فاحرص على وقتك، وكن في غاية الانتباه مستعينًا على ذلك بالله تبارك اسمه، من حيث الاتباع قولًا وعملًا، ومن حيث ذكر الله جل في علاه فإن النبي ﷺ يقول: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره كمثل الحي والميت**»، هل أنت ترضى أن تكون ميتًا وأنت تأكل وتشرب وتمشي؟! لا، لكن ترضى أن تكون غافلًا عن ذكره، عن اتباعه، عن العمل بكتابه، عن تدبره، عن يقظة القلب.. يرضى منك الشيطان بهذا القدر؛ فيجب على الإنسان أن يستيقظ في هذه الحياة الدنيا، قال الله جل جلاله: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ * وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ * لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [ق:١٩-٢٢].

ما تنفع اليقظة هناك.. فمن الآن استيقظ وانتبه واستفد وكن متحريًا للحق، والنبي ﷺ كان يقول: «**إنه ليغان على قلبي فأذكر الله فيذهب ما بي**».. قد يحصل الغين على القلب والغفلة على القلب والصدأ على القلب وإذا ذكر الإنسان ربه حالًا وقالًا خوفًا منه وخشية منه وتدبرًا لكتابه ورجوعًا إليه وإنابة إليه، وهكذا بلسانه من تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل وتلاوة للقرآن وأدب مع الحق.. هناك يستيقظ ويذهب ما به.

إذا كان رسول الله ﷺ يحصل له ذلك فمن باب أولى غيره، وقد كان ﷺ يقول: «**يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك**»، ويسأل الله عز وجل أن يثبت قبله على دينه، ودين الله يشمل كل ما يقرب الإنسان إلى الله

سبحانه وتعالى من اتباع الحق وبُعدٍ عن المعاصي.

عباد الله: ومن دعائه ﷺ: «**رب! أعني ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، وانصرني على من بغى عليَّ.. رب اجعلني لك شاكرًا، لك ذاكرًا، لك راهبًا، لك مخبتًا، إليك مطواعًا، إليك أواهًا منيبًا.. رب! تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، واهد قلبي، وسدد لساني، وثبت حجتي، واسلل سخيمة قلبي**».

هذا من دعاء رسول الله ﷺ الثابت عنه في صحيح السنة.

يبتغي بدعائه العناية بالقلب في سجوده، في ليله في نهاره، في حركته.. فإن القلب إذا غفل عن الحق لا يكاد يقيمه طعام ولا شراب، ولا ذكاء ولا دهاء، إنما الله تبارك اسمه إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه، «**يا مقلب القلوب! ثبت قلوبنا على دينك**».

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

الابتلاء

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله رب العزة والجلال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١]، ويقول سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤]، وقال جل وعلا: ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣].

ومن هذه الأدلة ترى أن الله خلق العباد ليبلوهم؛ قال الله عز وجل: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:١-٢].

خلقهم الله ليعلم المفسد من المصلح: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٠].

خلق الله تبارك وتعالى العباد لهذه الحكمة العظيمة النبيلة وهي الابتلاء..

ألا وإن أعظم ابتلاء يبتلي الله به العباد هو اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولهذا فإن الله عز وجل ميز بين الخلق على قدر اتباعهم وعدمه، قال

سبحانه: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣]، وقال جل شأنه: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦]، وقال الله عز وجل: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص:٢٨].

وميز الله تبارك وتعالى بين المتبع للحق وغيره وعلى قدر اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يرفع الله العبد، وعلى قدر بعده عن ذلك يهينه الله ويذله ويمقته الله سبحانه: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

إنه ابتلاء من الله جل في علاه لهذه الخليقة يبلوهم من يتبع الحق ومن يعرض عنه وينأى ويتبع هواه، فإن الناس بين تابع للحق والهدى وبين تابع للباطل والهوى، قال الله جل جلاله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣]، ويقول سبحانه: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا

يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠].. يقول الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ ﴾ فليس لهم طريق إلا الهوى وإلا التيه والزيغ والضلال، إنه ابتلاء من الله.

يقول الله رب العزة والجلال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ والوسط هو الخيار العدل ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٤٣].

فقد ابتلى الله أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين وجعل لهم تلك القبلة ستة عشر شهرًا يصلون إلى بيت المقدس، ثم غير القبلة إلى البيت الحرام، وامتثالًا لأمر الله يأتي رجل إلى مسجد قبا وهم يصلون فيقول: إن رسول الله ﷺ قد اتجه إلى البيت الحرام فيستديرون في الصلاة؛ اتباعًا لأمر الله.

عباد الله: إن أمر الاتباع أمر عظيم جدًا، يتفاوت به المصلون، ويتفاوت فيه الحاجون، ويتفاوت فيه الصائمون، ويتفاوت فيه العلماء، ويتفاوت فيه طلاب العلم، ويتفاوت فيه الناس؛ بقدر اتباعهم ظاهرًا وباطنًا، فكم من حافظ من الحفاظ من أرداه الله لعدم اتباعه الحق، مع أنه بلغ منزلة لم يبلغها

كثير من الناس، وصار حافظًا من الحفاظ وتراه زنديقًا من الزنادقة؛ لأنه ما اتبع الحق ولم يشرفه الله ولم يكرمه باتباع الحق.. قال جل في علاه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣]، وقال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨-١٩].

والله أمر نبيه ﷺ أن يتبع هذه الشريعة المطهرة، على نور وهدى من الله، وإنه إن خالف ذلك لن يغنوا عنه من الله شيئًا، من الذي يغني عنك من الله إن أنت تركت اتباع الحق؟! قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر:٢٩].. من الذي ينصرك من الله حين أن تترك الاتباع للحق مهابة الخلق أو مهابة فلان أو علان؟!

فالاتباع واجب، اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واجب في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، وفي كل حال؛ قال الله جل في علاه: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].. أمر الله عز وجل به؛ قال جل جلاله: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان:١٥].

أنت وسائر الناس، كل واحد يحاول أن يحبه الناس، وأن يرضا عنه الناس، وأن يجله الناس، وأن يكرمه الناس، وأن يثني عليه الناس.. وقبل ذلك كله يريد من الله تبارك اسمه وتعالى جده ويطلب منه محبته بأن يحبه الله قبل ذلك كله، لكن سبيل محبة الله رب العزة والجلال للعبد هو اتباع الحق اتباع كتاب الله وسنة النبي ﷺ، قال الله جل جلاله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وإذا أحبك الله دافع عنك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨]، ويهديك إلى الصراط المستقيم ويوفقك، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى في الحديث القدسي: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**» والحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إن الله إذا علم منك الصدق في الاتباع جعل لك المحبة في قلوب الناس قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ

ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم:٩٦].

فأنت الزم الاتباع فقط ـاتباع الحق ـ وتكون إن شاء الله على هدى وبصيرة وعلى خير، قال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨]، هذه سبيل رسول الله ﷺ، هو يدعو إلى الله ومن اتبعه يدعو إلى الله، هو يدعو على بصيرة ومن اتبعه يدعو على بصيرة، وعلى حق كل من اتبع رسول الله فهو من المهتدين، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

والله وصَّى، الله أمر، الله قضى وحكم أن يُتبع سبيله، أفيخالف أمر الله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر:٢٩]، وقال الله تقدس اسمه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

إن أحسن دين لله جل في علاه أن تدين لله وتعبد الله على اتباع الحق، قال الله جل جلاله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء:١٢٥].

هل هناك أحسن ممن اتبع ملة إبراهيم التي لا يرغب عنها إلا سفيه،

قال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة:١٣٠].

فاتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي الحق بين الغالي والجافي ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن ثلاثة أتوا إلى أبيات رسول الله ﷺ يسألون عن عبادته فكأنهم تقالّوها ـأي: تقالّوا طريقة رسول الله ﷺ ـ قال أحدهم: أما أنا فلا أتزوج النساء. وقال الثاني: أما أنا فأصوم ولا أفطر. وقال الثالث: أما أنا فأقوم ولا أنام. كل واحد منهم التزم بأمر من الأمور المخالفة لهدي رسول الله ﷺ، وأتى رسول الله إليهم وقال: «**أنتم الذين قلتم كذا؟!**» قالوا: بلى.. يا رسول الله! قال: «**والله! إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

اتباع الحق بين الغالي والجافي؛ فلا تغتر بالغلو لا تغتر بالتساهل والاضمحلال، الحق وسط بين قول القدرية والجبرية، وبين قول النواصب والروافض، وبين قول الغلاة والمتميعين، الحق هو العدل هو اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

عباد الله: إن اتباع الحق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مأمور به، حتى الرسول على ما هو عليه من الاتباع والله يحثه على ذلك، قال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ

كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب:١-٣].. اتبع وتوكل، الاتباع يحتاج إلى صبر وتوكل على الله واعتماد على الله؛ فإنه سيؤذى ويبتلى وسيفتن، وقد أوذي رسول الله ﷺ، وما جاء أحد بمثل ما جاء به إلا أُوذي وعودي، فما من شك أن اتباع الحق طريق كما يقول رسول الله ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**».. قال الله رب العزة والجلال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٣-٥٥].. كيف بك إذا أتاك عذاب الله بغتة بسبب إعراضك عن الاتباع؟! أنت بعد ذلك تعض على يديك ندمًا، قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان:٢٩]..

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مثلي ومثلكم كمثل رجل بنى دارًا فجعل فيها مأدبة، ثم بعث داعيًا يدعو، فمن أجاب الداعي دخل الدار، وأكل من تلك المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من تلك المأدبة**»، فالداعي رسول الله والدار الجنة، والمأدبة: ما في الجنة من الخير، وهي في اللغة: طعام الدعوة.. وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أرأيتم إن جئتكم بخبر أكنتم مصدقي قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، وأنا النذير العريان. قال: فأطاعه قوم فأدلجوا على مهلهم ونجوا، وكذَّبه آخرون وأصبحوا فدهمهم العدو واجتاحهم**».

النذير العريان عند العرب يذهب ينظر الجيش القادم على قومه، يعتبر كالمنذر لهم، وليس عنده ما يشعرهم إلا أنه يخلع إزاره أو قميصه فيبقى عريانًا، ويلوح به حتى يعلم القوم أن العدو قريب منهم فيتخذون لهم ملجأً

أو يتصرفون بما يدفع عنهم شر من يغزوهم.. والنبي ﷺ يقول: «**أنا النذير العريان**» بعث بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا.

وثبت عند ابن أبي عاصم في السنة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجاء عن جابر رضي الله عنهما وغيرهما: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى صحيفة في يد رجل.. أو أن النبي ﷺ قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نسمع كلامًا من أهل الكتاب يعجبنا، معناه: أنه كلام حسن في الظاهر، قال: «**أمتهوكون أنتم يابن الخطاب؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي**» أمتهوكون أنتم، أي: مرتبكون أنتم، آلأمر غير واضح عندكم؟!

وقد ثبت من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج عليهم وهم يتذاكرون الدنيا يتخوفونها عليهم يذكرون الدنيا ويخافون الفقر ويتخوفونه؛ فقال: «**آلفقر تخافون؟! والله! لتصبَّنَّ عليكم الدنيا صبًّا، حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هي، والله! لقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ـأو قال: ليلها ونهارها سواءـ لا يزيغ عنها إلا هالك**»، أي: إلا من أراد الله رب العزة والجلال هلكته، ومن حديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد نجا، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك**».. إن الهلاك في فتور عن الحق سواء كان بغلو أو اضمحلال أو تساهل. (ومن كانت فترته إلى غير ذلك) إي إلى غير السنة إلى غير الحق (فقد هلك).

وهكذا النبي ﷺ قال فيما يرويه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان له من الوزر مثل أوزار من تبعه، لا ينقص من أوزارهم شيئًا**».. اتق الله**!** يا من تدعو الناس إلى الضلالة؛ فإنك تحمل من أوزارهم كاملة يوم القيامة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥].

والله المستعان.

مراقبة الله

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: ما أكثر ما نقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]!! ونقرأ مثلها قول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧].

ونقرأ كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ* وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت:٢٢-٢٤].

ونقرأ قول الله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس:٦٥].

ونقرأ قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الأنفال:٧٥].. وهكذا من الآيات العظام والأدلة الجسام من كتاب الله الذي يدل على أن الله تبارك وتعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه مراقب لعباده في ليلهم ونهارهم وسرهم وجهرهم؛ قال الله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ

أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس:٣٠]، وقال الله تقدس اسمه: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ [العاديات:٩-١١].

هو يعلم متقلبكم ومثواكم كما يقول الله جل في علاه: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد:١٩]، ويعلم سرهم وجهارهم، وحركاتهم وسكناتهم، لا تخفى عليه خافية من أقولهم وأفعالهم ونياتهم.. هذه الأدلة والله لهي زاجرة عظيمة وناهية لمن وفقه الله جل جلاله لمراقبته .

أيها الناس: إن ما يحصل بعباد الله من كفر، وزيغ، وضلال، وزندقة، ونفاق، ورياء، وفشو في المعاصي بشتى أنواعها؛ كله صادر عن سوء مراقبة الله تبارك اسمه وتعالى جده في النفوس، وإن ما يصدر من الناس من غيبة ونميمة واقتراف للمحارم وأكل لغير الطيبات؛ كل ذلك يصدر عن سوء مراقبة الله رب العزة والجلال.

وإذا ما تحققت مراقبة الله سبحانه وتعالى لدى عبد فلا يكاد يهجم على معصية، ولا يخطر بباله ذنب؛ إلا ويستحضر وقوفه بين يدي الله عز وجل، ويعتريه الحياء من الله أن يراه على تلك المعصية التي خلقه الله للبعد عنها، والعمل بطاعته.. وعلى ذلك أدلة كثيرة من سنة رسول الله ﷺ .

وهذا موضوع لا يحتاج إلى حشد الأدلة عليه، ولكن لغفلة الناس كان لزامًا، ولبعدهم عن ذلك كان محتمًا؛ ذكر ذلك ليهلك من هلك عن بينة

ويحيا من حيَّ عن بينة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى:٩-١٣].

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وهو عند الشيخين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه باختصار يسيرـ أن جبريل عليه الصلاة والسلام طلع ذات يوم بهيئة بهية يقول عمر: شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد: أخبرني عن الإسلام؟! فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ شأن المفتي ـ عن الإسلام، وهو يعلم أنه جبريل عليه الصلاة والسلام، وإنما ذلك لتعليم الأمة آداب دينها وتلقيها على علمائها، فقال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**» قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**»، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». وشاهدنا من الحديث هذه الفقرة العظيمة فإنها جامعة شاملة لبقية الأدلة من إسلام وإيمان، من واجبات ومندوبات.. وما إلى ذلك من بعد عن

المحرمات..

«**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، والذي ينظر في هذا الحديث يعلم يقينًا أن تلك الصلوات والصيام.. وما إلى ذلك من أركان الإسلام والإيمان يبعد تحققها، ويندر ثبوتها إلا على من وفقه الله جل في علاه لمراقبة الله تعالى حق المراقبة، فما أكثر من يصلي! وما أكثر من يصوم! ولكن رسول الله ﷺ يقول فيما يرويه عن ربه: «**من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[1]، فإذا عمل ذلك العمل متخليًا عن مراقبة الله غافلًا ساهيًا لاهيًا عن إدراك رؤية الله له في أية حالة كان، فإن ذلك العمل أيًّا كان ليس لصاحبه منه شيء، كما يقول الله جل جلاله: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣].

وقد أخرج ابن ماجة في سننه بسند حسن عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «**إني لأعرف أناسًا يأتون يوم القيامة بحسنات كأمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباءً منثورًا**» قال ثوبان: يا رسول الله! صفهم لنا؛ لا نكون منهم، قال: «**هم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون**» فأبان رسول الله ﷺ في هذه الأوصاف أنهم من المصلين، من الصائمين، من.. من.. إلى آخره، ثم قال: «**لكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**» فأنت ـيا أخيـ لا تغفل عن هذا الحديث، وعن أمثاله فلا

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

تنفعك صلاة ولا صيام ولا طلب علم ولا غير ذلك من الأعمال والقربات حين أن تذهب مراقبتك لله تبارك اسمه وتعالى جده.

(مثل جبال تهامة بيضاء يجعلها الله يوم القيامة هباءً منثورًا)، ما كان السر في ذلك إلا أنهم لم يراقبوا رب العالمين، وعلى ذلك دل قوله ﷺ: (إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها) إن سوء مراقبة الله رب العزة والجلال لتجعل العبد غير مخلص في أعماله، ويذهب عمله ذلك بلا أجرٍ ولا ثواب، وليس ببعيد على مسامعكم حديث سهل بن سعد في الصحيحين ذلك الرجل الذي نزل ساحة القتال، وكان لا يترك للكافرين شاذة ولا فاذة، فقال الناس: ما أجزأ أحد منا اليوم كما أجزأ فلان؛ فقال رسول الله ﷺ: «**إنه في النار**»، فشق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، إذ كيف هذا الرجل يعمل تلك الأعمال وتلك الشجاعة العظيمة الباسلة بفتكه بالكفار، ومع ذلك له هذا الوعيد بعذاب الله، ويأتي خبر الصادق المصدوق فيتبعه رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فيجد به بعض الجراح، فلما اختلى عن الناس وانفرد أخذ السيف فوضعه في صدره وذبابة السيف يضعها في صدره واتكأ على السيف حتى خرج من ظهره، اتكأ على السيف، وقتل نفسه لما لم يكن عمله ذلك صادرًا على مراقبة لرب العالمين، ولم يكن ذلك العمل صادرًا عن الثقة بالله، وتجريد النية وإخلاصها له، فكان عاقبة أمره خسرًا، ولما أُخبر رسول الله ﷺ بذلك قال ﷺ: «**إن من الناس من يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، ومنهم من**

يعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»، فذلك الرجل الذي عمل ذلك العمل، نصر الله به دينه وهو فاجر، وقد بوَّب الإمام البخاري رحمه الله: (باب: إن الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر). هو رجل فاجر لا يراقب الله ولا يعمل لله تبارك وتعالى، وإن ذلك العمل صدر منه من أجل أن يقال.. ويقال..

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن أول من تسعر بهم جهنم ثلاثة رجل جاهد في سبيل الله، ورجل آخر علم الناس القرآن، ورجل آخر تصدق في سبيل الله.. -الحديث باختصار- فيؤتى بهم يوم القيامة فيعرفهم الله بنعمته عليهم، ثم يقول للمقاتل في سبيل الله: ماذا صنعت؟ فيقول: يا رب! قاتلت فيك حتى قتلت. فيقول: كذبت إنك لم تقاتل إلا ليقال: شجاع. فقد قيل، ويؤتى بالمتصدق والمنفق فيعرفه نعمه ثم يقول له: ماذا عملت فيها؟ فيقول: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيه. قال: فيقال: كذبت إنما فعلت ذلك ليقال: جواد. ويؤتى بالرجل الذي كان يُعلم القرآن -قارئ القرآن حسن الصوت، قارئ للقرآن معلم للناس- فيقال ماذا عملت بهذه النعمة؟! فيقول: قد علمت فيك الناس. فيقول له الله: كذبت إنما قرأت ليقال: قارئ، ثم يؤمر بهم فيسحبون على وجوههم في النار..

هل هناك خسارة أكبر من هذه الخسارة؟ أن يفني عمره متزلفًا متلمعًا متزينًا لمن يأكل مثله ويشرب، ولا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، ثم يخسر

حياته دنياه وأخراه، قال الله: ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥].

وهكذا ثبت عن النبي ﷺ مبينًا بذلك فضل مراقبة الله وأنها من أعظم القربات حين أن جاءته امرأة قد زنت فقالت: يا رسول الله! أصبت حدًا فأقمه عليَّ فدعا النبيُّ وليَّها، وقال: «**أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها**» ففعل فأمر بها فشُدت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال عمر: تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟! أنكر عمر على رسول الله ﷺ أن يصلي عليها، قال: «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم**»[1] ما الذي حمل تلك المرأة على المجيء بإثمها إلى رسول الله ﷺ للخلاص منه؟ إنها مراقبة الله.

فكانت تلك المراقبة لله رب العالمين خلصتها من عقابه، وجعلتها تائبة توبة عظيمة ناصحة، وصلى عليها رسول الله ﷺ، وأثنى عليها ذلك الثناء الحسن، مع أنها أذنبت، إلا أنها مراقِبة لله تعالى.. ما أعظم مراقبة الله سبحانه.

وفي الصحيحين من حديث كعب بن مالك رضوان الله عليه لما تخلف عن غزوة تبوك مع قدرته على الغزو، وقد ابتاع ظهره ـأي: اشترى راحلتهـ وتأهب للسفر في سبيل الله فتأخر.. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه.

شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر:٤٩].

ولما قدم رسول الله ﷺ وَفَد إليه المتخلفون وهرع إليه المنافقون يكذبون عليه ويتزلفون أنهم ما تخلفوا إلا لعذر، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ﴾ [التوبة:٤٩]، وليس ذلك فحسب بل قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٤٩].

يقول أحدهم: إني لا أستطيع النظر إلى بنات بني الأصفر، فأنا سأفتتن، فالله أخبر أن ذلك الكلام الذي بدر منه، واللفظ الذي صدر منه إنما هو نفاق ورياء وتزلف ولم يكن صادق النية صحيح الطوية فيما بينه وبين الله ففضحه الله رب العالمين.

عباد الله: كعب رضوان الله عليه لما تخلف وصدق رسول الله ﷺ، وأبان له أنه تخلف على غير عذر، قال: والله! يا رسول الله! لقد أوتيت جدلًا، وإني لو وقفت عند غيرك لتخلصت من غضبه، لكني أعلم أني لو كذبت اليوم ليوشكن الله أن يطلعك عليَّ، فصدق رسول الله ﷺ، وقاسى ذلك الهجر من رسول الله ﷺ نفسه، ومن غيره من أصحاب رسول الله ﷺ، حتى جاء الفرج من رب العالمين بتوبة الله عليه؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ

ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة:١١٧-١١٨].

مراقبة الله رب العالمين تصلح بها الدنيا والآخرة، فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلًا كانت له حديقة إذا خرج منها خارج أخرج الثلث صدقة، وجعل الثلث الثاني فيها يصلحها به، والثلث الأخير يأكله هو وعياله، فذات يوم أقحطت البلاد، فأنشأ الله سحابة يسوقها ملك من الملائكة وإذا هاتف يهتف بالسحابة أن اسقي حديقة فلان بن فلان فارتفعت تلك السحابة، وأفرغت ماءها في شرجة من تلك الشراج لتلك الحديقة، ومر رجل بصاحب الحديقة، وهو يحول الماء بمسحاته فقال ما اسمك؟ قال: فلان -للاسم الذي سمعه ذلك الرجل من الملك ينادي اسقي حديقة فلان بن فلان- قال: فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ سألتني فإني أنظر الخارج منها فأعيد فيها ثلثًا، وأتصدق بثلث، وآكل أنا وعيالي وأولادي ثلثًا.

مراقبة رب العالمين أسعدت ذلك الرجل فأغدقت عليه الماء من السماء دون بقية الناس الآخرين، فلا عجب ولا دهشة أن يكرم الله إنسانًا بين آلاف الناس، بين ملايين الناس، بين أمة بأسرها، برسالة أو بعلم نابغ أو بشيء من طاعة الله تقدس اسمه، وهو مثلهم يأكل ويشرب، وهو مثلهم

ينام ويقوم، وهو.. وهو.. إلى آخره؛ ذلك لأن الله جل في علاه هو العالم بما في الصدور.

فأبو بكر رضي الله عنه تعرفون منزلته في هذه الأمة، وأنه أفضل رجل بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكن ما حمله على ذلك، وما أهله إلى ذلك إلا مراقبة الله رب العالمين.. فقد ثبت أن غلامًا من غلمانه له كان يأتيه بالخراج يأكل منه فقال له ذات يوم: إن هذا الطعام الذي أكلتَ منه كنت تكهنت لرجل في الجاهلية فأعطاني مقابل ذلك هذا المال بعد الإسلام من تلك الكهانة، وما كنت أحسن الكهانة.. فمراقبة أبي بكر لربه جعلته يدخل أصبعه في فيه ويستقيء كل ما في بطنه خشية أن يلقى الله بذلك الطعام الحرام.

هنا كان أبو بكر جديرًا بأن يرفعه الله جل جلاله ما دام على هذا الحال من مراقبة الله سبحانه، ما دام على هذا الحال من الخوف من الله ومعرفة اطلاع الله تبارك اسمه وتعالى جده على العبد، وإن ذلك لأمر عظيم ـ والله ـ غفل عنه جُلُّ من الناس إلا من رحم الله ممن أراد الله بهم خيرًا.

مراقبة الله في التوحيد.. مراقبة الله في البيع والشراء.. مراقبة الله في الصلاة.. مراقبة الله في تلقي العلوم.. مراقبة الله في لحوم الناس.. مراقبة الله في الأمة.. مراقبة الله رب العزة والجلال في الرعاية..

ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو في الصحيح عن حذيفة وأبي الحجر بالمعنى ـ أن رجلًا كانت له تجارة، وكان يقول لعماله: تجاوزوا عن المعسر

فتوفاه الله فسأله عما له من الأعمال، فقال: ليس لي من الأعمال إلا أني كنت أتجاوز عن المعسر ـأو قال: أتيسر على الموسر، وأتجاوز عن المعسرـ فقال: نحن أحق بذلك منك ادخلوه الجنة.

عباد الله: إن هذا الرجل الذي كان يراقب الله في بيعه وشرائه، في معاملته مع الناس كانت تلك المراقبة لله رب العالمين سببًا لدخوله الجنة.. وهكذا ثبت عن النبي ﷺ في أمور شتى في مراقبة الله سبحانه.. منها البيع والشراء؛ ففي حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**» فإذا راقبا الله جل في علاه وصدقا في تلك السلعة التي لا يعلم صحتها وضعفها وصلاحها وفسادها ألا هو ورب العالمين ـقبل ذلكـ فإن الله يبارك له في بيعه، وإذا غش وخان فإن الله يمحق بركة بيعه، وهكذا في الراعي والرعية: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصحه إلا لم يجد لا رائحة الجنة**»[(١)].

مراقبة الله سبب لظل عرش الله سبحانه وتعالى يوم القيامة في ذلك الكرب العظيم؛ ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا**

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٣)، عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

عليه وتفرقا عليه، ورجل تصدق بصدقة حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»، عيناه تفيض في خلوته دون رؤية الناس له، عيناه تبكي من خشية الله بانفراده وحيدًا، في غير ما يثنى عليه أو يمدحه الناس.. لا شك أن هذا خوفًا من الله عز وجل.. فاستحق بذلك أن يكون من أولئك الأصناف، والناس في كربهم، وفي ضيقهم، وفي عرقهم على قدر أعمالهم، وهؤلاء في ظل عرش الله رب العالمين سبحانه.. هذا ما اكتسبه ذلك الإنسان بكثرة ماله ولا بكثرة الأولاد ولا بكثرة مناصب وجاه إنما اكتسبه بمراقبة رب العالمين.

إن قضايا المراقبة في أصحاب رسول الله ﷺ لكثيرة.. مراقبة لله، وطمعًا في الجنة، ومنهم.

عباد الله: قلَّت مراقبة الله من الناس فأصيبوا بالفتن، وابتلوا بالمحن.. وهكذا ضاقت الصدور وتأزمت عليهم الأمور، كل ذلك لعدم مراقبة الله، وإلا فإن الله أصدق حديثًا: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]، وقال الله تقدس اسمه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٢-٣].

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره.. أما بعد:

ففي الصحيحين من حديث الثلاثة أصحاب الغار عن ابن عمر رضي الله عنهما في قصة الثلاثة أصحاب الغار وهو خارج الصحيحين عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أنهم حين أووا إلى الصخرة للمبيت فيها فانطبقت عليهم تلك الصخرة فسأل كل واحد منهم بما يعلم من صدق أعماله ومراقبته لله فانفرجت عنهم تلك الصخرة عند مقال آخر واحد منهم، فكل واحد منهم كان يذكر عمله.. هذا بمراقبته لله مع امرأة يحبها، وذاك يذكر مراقبته لله مع مال كان لأحد الناس بإمكانه أن يأخذه، وذاك يذكر مراقبته لله ببره والديه، وكان بإمكانه أن ينام ويتركهم على ما هم عليه، والحديث معروف لديكم، وقد تكرر.

وأيضًا في الصحيحين من مراقبة الله جل في علاه ما ورد في الثلاثة الأقرع والأبرص والأعمى، فالأبرص والأقرع اللذان لم يراقبا الله ، وقال كل واحد منهم متبجحًا: إنما ورثت هذا كابرًا عن كابر، أين رؤية الله لهما؟ وأين مراقبتهما لله؟! فقال لكل واحد منهما: صيَّرك الله إلى ما كنت. فصار إلى ما كان، وذلك الذي راقب الله في ذلك المال الذي أعطاه، وفي تلك النعمة التي أسداها إليه رب العالمين جل جلاله من البصر فقال: أمسك

عليك مالك؛ فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط عن صاحبيك [(١)].

المراقبة لله تعالىٰ من أسباب رضوان الله، وعند الترمذي بسند صحيح من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علمه مراقبة الله رب العالمين في الصغر، فقال: «**يا غلام! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف**» وهذا درس عظيم الفائدة لابن عباس رضي الله عنهما جعله في غاية المراقبة لله سبحانه حتىٰ عمي، وكان من أسباب عمىٰ عينيه كثرة البكاء من خشية الله.

درس عظيم ألقاه لابن عباس رضي الله عنهما، وهكذا تلقاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه حتىٰ كان أحدهم إذا عمل عملًا أو قصّر ولو قليلًا يراه عظيمًا عند الله سبحانه وتعالىٰ، ويخاف من عاقبته، يصف ذلك أنس رضي الله عنه يقول للتابعين ـأو لمن أدركهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «**إنكم لتعملون أعمالًا هي في أعينكم أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الموبقات**».

من أين جاء هذا الخوف؟! من أين أتىٰ ذلك الشعور؟! ما جاء إلا من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مراقبتهم لله سبحانه وتعالى، ولما أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢].

اعتزل ثابت بن قيس في بيته يبكي أيامًا، وسأل عنه رسول الله ﷺ: أين ثابت بن قيس قالوا: يا رسول الله! إنه يبكي في بيته قال رجل: يا رسول الله! معتزل في بيته يقول: حبط عمل ثابت بن قيس؛ فإنه أرفع الناس صوتًا عند رسول الله ﷺ. قال: «**بشروا ثابت بن قيس بالجنة، فقولوا له: هو من أهل الجنة**»(١).

مراقبة ثابت بن قيس لله عز وجل هي التي أهلته لتلك المنزلة العظيمة في الجنة.

عباد الله: وهذا أبو الدحداح رضي الله عنه حين قال رسول الله ﷺ: «**من يشتري هذه النخلة فيعطيها هذا الرجل بنخلة في الجنة**»، قال: أنا يا رسول الله! اخرجي يا أم الدحداح من البستان؛ فإني قد بعته بنخلة في الجنة. قالت: بخ بخ!! ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل. وخرج من بستانه ذاك بشجرة واحدة.

مراقبة الله من أبي الدحداح وأم الدحداح أهلتها للجنة، وللخروج من دنيا فانية زائلة بجنة عرضها السموات والأرض.. فرَبِحَ البيع.. رَبِحَ البيع.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

نسأل الله أن يرزقنا مراقبته إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين.

تأديب النفس

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس:يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا * وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا * وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا * وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا * وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا * وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:١ـ١٠].

فهذه الأقسام الكثيرة في هذه الآية أقسم الله بها على أمر جلل وعلى شيء من جوامع كلام الله على أنه قد أفلح من زكى نفسه بعد أن أقسم الله بأمور عظيمة من مخلوقاته، من شمس وقمر ونهار وليل وسماء وأرض.. وأحوالها الجلية والخفية..

تزكية النفس لا تكون إلا بطاعة الله، وإلا فإنها أمارة بالسوء وبالظلم وبالغشم وبالكبر وبالحسد.. وبكل شر في هذه الدنيا كما يقول الله عن نبيه يوسف عليه السلام ـعلى الصحيح أن الضمير يعود إليه ـ قال الله جل في علاه: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف:٥٣].

فهذه النفس أمارة بالسوء كما أبان الله.. أمارة بالشر.. أمارة بالخبث..

أمارة بالترفع والكبر والعلو.. أمارة بالحسد.. أمارة باللهو، ولا ينجى منها، ومن عذاب الله إلا من تحكم بها وأخذ بزمامها ونهاها عن شرورها، كما يقول الله جل جلاله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

ألا ترى أن من تحكم في نفسه وأهان هذه النفس وكفَّها عن غشمها وظلمها وعلوها وشهوتها كان من أهل الجنة بنص القرآن.

من نهى هذه النفس عن هواها فإنها تهوى كل محرم، تهوى الخير والشر، تهوى ما ليس في فلاحها، ولا في زكاتها ولا في خيرها في الدنيا والآخرة.

فيا أيها الإنسان: كن كما أمرك الله وعندئذ تكون قد تحكمت في نفسك فيوسف عليه الصلاة والسلام لما زكاه الله وزكَّى نفسه نجاه الله عندما راودته امرأة العزيز عن نفسها في خلوةٍ وفي مأمن وسعة، قال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣].. فلما أن زكى الله نفسه ابتعد عن تلك الريبة وابتعد عن تلك الفواحش، وقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ لا يمكن أن أقع في هذه الجريمة العظيمة.

إن هذه النفوس تحب أن تكون في المكاره وتكره كل المكاره، وإن كانت قربة إلى الله؛ لذلك فإنك ترى أن جميع الأعمال الصالحة تشق على النفوس

حتى يحاربها الإنسان، وحتى يتغلب عليها بطاعة ربه سواء كانت صلاةً أو صيامًا أو حجًّا أو زكاةً أو صدقةً.. أو غير ذلك من العبادات، فهي تحتاج منك إلى جهاد عظيم، فإن لك عدوًّا بين جنبيك أشد عليك من كل عدو خارجي، لهذا يقول الرسول ﷺ كما في مسند أحمد من حديث فضالة بن عبيد ما من أحد يموت إلا ويختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله ويأمن الفتان والمجاهد من جاهد نفسه.

غفل كثير منا عن جهاد نفسه ومحاربتها وتأديبها على شرع الله على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مع القريب مع البعيد مع الولد مع الزوجة مع الوالد مع الكبير مع الصغير أمر عظيم جدًا.. الاهتمام بالنفس ودفعها إلى الخيرات حتى تفلح قال الله رب العزة والجلال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج:٧٧].

وكل هذه المذكورات التي فيها فلاح النفس في الدنيا والآخرة هي تبغضها كما أخبر رسول الله ﷺ، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟!**» قالوا: بلى، يا رسول الله! قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره**».. فإن من المكاره إلى النفس إسباغ الوضوء في حالات التعب والبرد والشدة..

«**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار**

الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط فذلكم الرباط» والرباط هو: حبس النفس، وربطها على الحق، وربطها على طاعة الله؛ ففي هذا الحديث أن هذه النفس تتمرد كما أبان الله أنها أمَّارة بالسوء تتمرد على طاعة الله، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: إني لأعرف رجلًا ما هناك أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة فقيل له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء والرمضاء؟ فقال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد إني أحب أن يكتب لي ممشاي ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**قد جمع الله لك ذلك كله**»، الشاهد من الحديث أن الإنسان صبر نفسه كما أمر الله على طاعة الله فكتب الله له الأجر والمثوبة.

اصبر نفسك على طاعة الله كما أمرك الله -أيها المسلم-: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف:٢٨].

واصبر نفسك، ما قال: اصبر رأسك. أو: اصبر بعض أجزاء جسمك، النفس النفس هي التي تحتاج إلى تصبر، وكذلك مع صبر النفس أن يكون بصحبة الصالحين فالرفيق عون لرفيقه على الخير أو الشر، ولذلك لابد من رفيق ولابد في ذلك الرفيق أن يكون صالحًا مخلصًا على السنة والهدى لا البدعة والهوى؛ قال تعالى: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ

يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.

ثم إياك أن تدفعك نفسك على التعالي، إياك أن تدفعك نفسك على الظلم، والبعد عن إخوانك المؤمنين الصالحين، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا﴾.. إياك أن تزهد فيهم فتكون من الخائنين يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾ [طه:١١١].

ما قال: من حمل كثيرًا من الظلم.. بل قال: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾ حتى لو ظلم امرأته، حتى لو ظلم ولده، حتى لو ظلم قريبه أو من له القدرة عليه؛ سيكون من الخائنين.. إن من الناس «**من يأتي بصلاة، وصيام، وصدقة، وقد لطم هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، ولهذا من حسناته؛ فإن فنيت حسناته أُخذ من سيئاتهم فطرحت عليه**»(١)، ولفظة (هذا) مبهم حرف إشارة لم يقل: فلان أو علان.. وكل ذلك سبب لنقصان الحسنات يوم القيامة، فيكون صاحبه من الخائنين إلا أن يتداركه الله.

فاحذر ـأيها المسلمـ أن تحملك نفسك على غير طاعة الله فإن الأصل

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٣٥٨١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

في الإنسان كما أبان الله في كتابه العزيز (الطغيان)، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق:٦-٧].

فإذا استغنى الإنسان ورأى أنه لا حاجة له إلى غيره ربما تحمله نفسه على الطغيان، وهنا يقع في محذور كما سمعت في الكتاب والسنة.

فيا -أيها العبد- هذه النفس التي بين جنبيك تحتاج منك إلى رعاية وعناية وإلى حذر شديد منها -إي والله- إلى حذرٍ شديد منها رسول الله ﷺ، قد «**كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه**»[(١)]، وهذا فيه إهانة للنفس أيما إهانة على طاعة الله وتأديب لها، ومن الجانب الآخر: إعزاز لها بطاعة الله عز وجل؛ فتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه: لِمَ تفعل هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيقول: «**ألا أحب أن أكون عبدًا شكورًا**».

النبي ﷺ كان بجانبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك البطل، وبجانبه الأنصار والمهاجرون.. إلى غير ذلك ممن لو دعاهم لأجابوا ويأتي إعرابي من الأجلاف فيناقشه في مسألة أو يطلبه في مسألة قائلًا: آلله أمرك

(١) أخرجه البخاري رقم (١١٣٠)، ومسلم رقم (٣٨١٩)؛ كلاهما عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وجاء عند مسلم رقم (٣٨٣٠)، عن عائشة رضي الله عنها: «حتى تتفطر رجلاه» وعند البخاري معلقاً.

بهذا؟! فيقول: «**اللهم نعم**»[(١)]، وهكذا ربما بالغ أعرابي جلف فأخذ بالنبي ﷺ وقال: أعطني من مال الله. فيأمر له النبي ﷺ بعطاءٍ[(٢)]، مع أن جبريل وملك الجبال نزلا إليه فقال ملك الجبال: أأطبق عليهم الأخشبين؟! فيعفو ويصفح ويقول: «**إني أحب أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله**»[(٣)].

هذا هدي النبي ﷺ في تأديب النفس وهديه ﷺ في حياته كلها.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، أما بعد:

ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنه، وهو صحيح من حديث النعمان بن بشير وأنس أن النبي ﷺ ذكر «**ثلاثة ممن كانوا قبلنا آواهم المبيت إلى غارٍ فدخلوه فانحدرت عليه صخرة من الجبل فسدت**

---

(٢) يشير الشيخ حفظه الله تعالى إلى حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري رقم (٦٣)، ومسلم رقم (١٣).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣١٤٩)، ومسلم رقم (١٠٥٧)؛ كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري رقم (٣٣٣١)، ومسلم رقم (١٧٩٥)؛ كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

عليهم الغار فقال أحدهم: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. فقام كل واحد منهم يتوسل بعمله الصالح الصادق عند رب العالمين».. الذي يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].

من الذي كان يستطيع أن ينقذ أولئك الثلاثة النفر من تلك الظلمة تحت غار وتحت صخرة لا يرون فيها ضوء النهار ولا يشمون فيها نسيم الهواء.

لكن رب العالمين لما لجئوا إليه، وافتقروا إليه آواهم ونصرهم، وفرَّج عنهم كربهم، قال أحدهم: «**اللهم! إني كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا، فنأى بي يومًا طلب الشجر؛ فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما؛ فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما، أو أن أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا، فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي**» يا له من تصبر للنفس حتى برق الفجر لم يذق نومًا ولم يقدم عيالًا ولم تفتر يداه.. ذلك الصبر على بر الوالدين حتى برق الفجر فأعطاهما اللبن فشربا وتوسل إلى رب العالمين

بهذا الصبر «**اللهم! إن كنت فعلت ذلك ابتغاءَ وجهك فافرج عنا ما نحن فيه**» من هذه الصخرة، وكأن الله تقدس اسمه أراد أنها لا تنفرج إلا عند آخر واحد منهم، وأن يبين للناس أن الأعمال الصالحة من أسباب الفرج بعد الشدة، و«**قال الآخر: اللهم! إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليَّ**»، وهذا من أعظم المحاربة للنفس، ومن أعظم المجاهدة للنفس، والمحاسبة لها، وقام عنها وهي من أحب الناس إليه، وتوسل بذلك العمل الذي ابتغى به وجه الله، وقال: «**اللهم! إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، وقال الثالث: اللهم! إني اسأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير واحد ترك الذي له وذهب؛ فثمرت له أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله! أدِّ إليَّ أجري. فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله! لا تستهزئ بي فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه**» مَنْ مِنْ الناس يستطيع أن يجاهد نفسه على دفع الحق فضلًا على أنه يعطي أموالًا كثيرة قد تعب فيها وبذل فيها جهدًا واسعًا؟!

وهذا من المجاهدة العظيمة ومن المحاسبة العظيمة للنفس ومن تقوى الله رب العالمين قال الله جل في علاه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:٣٥].

أنت لا تفلح وأنا وجميع الناس حتى نجاهد أنفسنا وحتى نقيمها من عوجها في الأخلاق من عوجها من الأقوال من عوجها في الأعمال من عوجها في الاتباع من عوجها في هدي رسول الله ﷺ.

قال الله جل جلاله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤-١٥]، هذا لا الذي يزكي نفسه هذا الذي سيفلح هو الذي يزكيها بصلاة وبطاعة الله تبارك اسمه وتعالى جده ويحاسبها بالإخلاص وابتغوا إليه الوسيلة.

ويقول الله رب العزة والجلال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]، فهذه من صفات من حاسب نفسه على طاعة الله الله سبحانه وتعالى، «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه**»(١)، «**من تقرب إليَّ شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**»(٢)، وقال ﷺ: «**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما أفترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، ويده التي**

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٠٥٤)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٧٤٠٥)، ومسلم رقم (٦٨٠٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «**حجبت الجنة بالمكاره، وحجبت النار بالشهوات**»[(٢)].

وروى أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه: «**إن الله لما خلق الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها، فقال: أي رب! لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حجبها، وحفها بالمكاره، فقال لجبريل: اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها، ثم قال: لقد خشيت يا رب! أن لا يدخلها أحد**».

فأنت ـ يا أيها الإنسان ـ لا تظن أنك ستدخل الجنة بدون عمل أو تعب واختبار وابتلاء من الله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر:١٥]، وهذا حالة الإنسان إلا من رحم الله، يظن أنه ربما من عند نفسه وتلقائها وأنه رزق نفسه، والرزق هو في الحقيقة من الله تعالى؛ قال الله عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل:٥٣].

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٦٤٨٧)، ومسلم رقم (٣٨٣٣)؛ كلاهما عن أنس رضي الله عنه واللفظ متقارب.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ۞كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الفجر:١٦-١٧].. ففي الأمرين كليهما لم يُصب، (كلا) سواءً في الإعزاز أو في الإذلال كل ذلك ردَّه الله تقدس اسمه؛ قال الله جل في علاه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

وقال الله جل جلاله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

إرشاد أولي الحلم إلى فضل طلب العلم

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله في كتابه الكريم: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٣-٥].

وهذه الآية جاء في صحيح البخاري ما يبين أن النبي ﷺ في بداية أمره كان يتحنث في غار حراء أي: يتعبد الليالي ذات العدد الليالي الطوال، ويتعبد لله فأتاه جبريل فقال: «**اقرأ. قال: ما أنا بقارئ**» أي: أنا ما أقرأ، ولا أحسن أن أقرأ. «**قال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم قال**: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥]»(١).. وفي هذه الآية العظيمة بيان من الله أن العزم والإرادة القوية لها تأثير بإذن الله في الإنسان سواءً كانت تلك الإرادة على الخير أو الشر.

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجَزَنْ، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن: قدر الله وما شاء فعل**»، وفي هذا الحديث الحث على العزم والقوة في طاعة الله

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣)، ومسلم رقم (١٦٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

ودين الله في أول الأمر وفي آخره، أما أن يكون في بدء الأمر بفتور فهذا خلاف هدي رسول الله ﷺ، وخلاف إرشاده في هذا الحديث العظيم.

أيها الناس: إن الله يقول مبينًا عن لقمان عليه السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ۝ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٧-١٩]، ففي هذا بيان من الله أن العزم كل العزم والقوة كل القوة ما كان في طاعة الله وما كان في الثبات على ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**ألا إن القوة الرمي**»، هذا الحديث عن عقبة هو المفسر لقول الله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الأنفال:٦٠][(١)].

فأبان رسول الله ﷺ أن القوة تكون أيضًا بالاستعداد سواء كان ذلك الاستعداد حسيًا أو معنويًا وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»، فهذه هي القوة الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٧)عن عقبة بن عامر رضي الله عنه .

ﷺ على ما جاء في ذلك دون تأرجح، هذه هي القوة، قال الله في كتابه الكريم: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣].

احذروا -عباد الله- ما يطرأ من الكسل ومن الفتور ومن مجالسة ذوي الفتور؛ فإنهم في هذا الحال لا يعينون على خير ولا يعينون على استقامة، وإن الاستقامة والهدي لذو حاجة ماسة إلى تكريس الجهود ومضاعفة الجهود فيما كان في إعداد، وأعظم إعداد في ذلك هو ما ينبني عليه دين الله من العلم والتعليم.

عباد الله: لا يُشجع ولا يُعان ذوو الفتور على فتورهم في العبادة ولا في العلم أو أي ساحة من الساحات؛ فإن هذا شأن المنافقين، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

وقد استعاذ رسول الله ﷺ من الكسل فقال ﷺ: «**اللهم! إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والبخل، والجبن، والهرم**»، هذه صفات ذميمة لا تتشبه فيها -أيها المسلم- بالمنافقين سواء كان هذا الكسل أو عدم العزم على الخير بمجالسة سيئين أو باعثًا من نفسك يجب أن تتخلص منه.

عباد الله: الكسل وعدم العزم والتراخي في دين الله وعدم الأخذ به

بقوة لا يعين على الخير، قال الله رب العزة والجلال: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٤٥]، هكذا يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ.

إن رسول الله ﷺ كان إذا واجه المشركين يقف ويقول بكل شجاعة واستبسال في أحلك المواقف وقد أوشكت الهزيمة أن تحيق بالمسلمين: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»(١).

ثبات وعزم وقوة أمام الكافرين بعد أن فر أصحابه من حوله، ولم يبقَ إلا أبو سفيان بن الحارث والعباس وما زال جادًّا شادًّا مقدامًا ثابتًا عزمه بثقة ورباطة جأش أمام أهل الباطل وجحافله؛ صارخًا: «**أنا النبي لا كذب، أنا أبن عبد المطلب**»، ويحثُّ بغلته إليهم بمفرده، بينما في مثل هذا الموقف تجد أن القادة يختبئون خوفًا من أن تنالهم الرماح والسهام.

عباد الله: وهكذا سمع ﷺ فزعًا بالمدينة أثناء ليلة من الليالي فركب فرسًا لأبي طلحة عُرْيًا، وهرع رسول الله ﷺ إلى مكان الصوت منفردًا، ويقوم الناس فإذا بالنبي ﷺ راجعًا، ويقول: «**لن تراعوا**»، وقال عن الفرس: «**وجدته بحرًا**»(٢)، أي: وجدت الفرس كالبحر.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٨٦٤)، ومسلم رقم (١٧٧٦)؛ كلاهما عن البراء رضي الله عنه.

((٢)) أخرجه البخاري رقم (٦٠٣٣)، ومسلم رقم (٦٠٠٦)؛ كلاهما عن أنس رضي الله عنه.

ومن عزم رسول الله ﷺ في العبادة أنه كان يقوم حتى تتفطر قدماه، فيقال له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! فيقول: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**».

والعزم لدى رسول الله ﷺ، وكذلك جميع الرسل لديهم عزم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [الأحقاف:٣٥].

إن من أراد أن يحصل على علم بغير عزم فقد لا يحصل عليه، ومن أراد أن يحصل على هداية بغير عزم وقصد قد لا يحصل عليها.

سلمان الفارسي رضي الله عنه طلب الهداية بعزم وقوة، من سنة إلى سنة، ومن قطر إلى قطر حتى وفَّقه الله لذلك.

وأنس بن النضر يقول: غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ لئن أشهدني الله مشهدًا ليرين الله ما أصنع، ولما كان يوم أحد قال: (اللهم! إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء) أي: أبرأ مما صنع الكفار، وأعتذر مما فعل بعض المسلمين من التأخر، ثم تقدم وقاتل المشركين[١]، شاهدنا من هذا الحديث هذا العزم الذي عزمه من أول أمره، ووفى به في تلك المعركة، وقال سعد بن معاذ: (ما استطعت ما فعل) إي:

---

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٨٠٥)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

أراد أن يفعل مثله فلم يستطيع.

العزم.. العزم.. عباد الله!

الجد.. الجد.. عباد الله: في طاعة الله فيما يعين على ذلك؛ فإن الفتور ومجالسة الكسالى.. وما إلى ذلك من ذوي الدنيا والمطامع.. وما إلى ذلك من ذوي البدع والخرافات.. وما إلى ذلك من المثبطين، هذا لا يعين على خير، ولا يأتي من ورائه خير.

كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يفترون في أخذ العلوم عن رسول الله ﷺ، وإذا شغل أحدهم أرسل الآخر يأخذ العلم، فإذا رجع أملاه عليه كل ذلك دأبًا وسيرًا وجدًّا لأخذ سنة رسول الله ﷺ حتى إنهم ليفرحون بالإعرابي يقدم فيسأل رسول الله ﷺ فيستفيدون من ذلك العزم والجد في ذلك كله.

يجب على المسلم أن لا يخضع لنفسه فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، وهي تميل إلى الركود والدعة، وتميل إلى الجشع، وتميل إلى الدنيا، وتميل إلى الكسل، وتميل إلى عدم أخذ العلوم والصبر عليها.. قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.. أما بعد:

ففي الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر عن امرأة تكثر من العبادة، فقال: «مَهٍ.. **عليكم من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا**» وشاهدنا من الحديث هذه الجملة الأخيرة، فإن الإنسان ما دام دائبًا مواصلًا في الخير يمده الله تبارك وتعالى ويعينه ويسدده، قال الله تقدس اسمه وتعالى جده -كما في الحديث القدسي-: «**من تقرب إليَّ شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**»، وهكذا يقول الله جل في علاه كما في هذا الحديث القدسي، من حديث أنس في الصحيح.

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة؛ فمن كانت فترته إلى سنتي فقد نجا، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك**»، وكم أناسٍ جدوا على السنة، ودأبوا في طريقها، واستمروا عليها فترة من الزمن، ثم فتروا، وكانوا ضحية ذلك الفتور إذا فتروا عن ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ فلا تكن ضحية الفتور وضحية الكسل وعدم السير إلى الله جل جلاله.

فالقصد.. القصد.. -عباد الله- والتمسك.. التمسك.. ولو كان أمرًا

يسيرًا؛ قال ﷺ: «**القصد.. القصد.. تبلغوا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة**»[1]، ما دام الإنسان ساعيًا إلى الله، ماشيًا إلى الله، دائبًا إلى الله.. مستمرًا في عمله الصالح ـولو كان قليلًاـ فإن هذا فيه بركة، والعمل بالسنة فيه بركة، وهو خير من تعاطي البدعة ـولو كان كثيرةً.

عباد الله: هذا أمر ينبغي أن يدرك وينبغي أن يعلم وأن يحث عليه جميع الناس، وكل سني يجب أن يأخذ منه قصدَه، من علوم كتاب الله وسنة رسوله، ومن الجد والاجتهاد في ذلك؛ فإن الناس في حاجة ماسة إلى من يعلمهم سورة الفاتحة، وفي حاجة ماسة إلى من يعلمهم جزء (عمَّ) من القرآن.. هذا أمر يعتبره كل مستقيم، ويجب أن يعد نفسه لهذا الإعداد، وأن يجهز نفسه لهذا الأمر، وليس الأمر والله باليسير، ودعاة الفتن كثيرون، ودعاة الباطل متوافرون، ولا يقف أمامهم إلا من وفقه الله وثبته وسدد على درب طلب العلم خطاه، وأعد نفسه بالعزم والقوة والثقة بتوفيق الله تبارك اسمه وتعالى جده.

الشدة في الحق.. فقد روى أهل السنن من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «**وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون**» فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٤٦٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**».

هذا الحديث يستفاد منه السير على الحق، وكذلك أيضًا الشدة على الحق؛ فإنها محمودة عند الله رب العزة والجلال وعند الصالحين، وإنما الشدة في الباطل هي المذمومة..

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

والحمد لله.

الفرق بين المؤمن والكافر

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله سبحانه وتعالى أرحم بنا من أنفسنا وقد أبان لنا ذلك في كتابه وهكذا نبيه محمد ﷺ قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩].

وقال عز وجل: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٦-٢٨].

وقال جل في علاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ

ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج:٥]وقال جل جلاله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ* وَطُورِ سِينِينَ* وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ* لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ* ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ* إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [التين:١-٦].

أيها الناس: إن الله أرحم بنا من أنفسنا فيجب على كل مؤمن أن يظن بالله ظنًا حسنًا أن يظن بالله ذلك الظن الحسن فإن الظن الحسن يجعل فيك خشية الله يقول الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿*\وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ* ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:٤٦].

فأبان الله أن من كان ظنه هذا الظن الحسن أنه يكون خاشعًا لله رب العزة والجلال ووصفه بذلك إن الظن الحسن ليجعل فيك الثبات على دين الله ويمكنك من النصرة على أعداء الله يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ*وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا

وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة:٢٤٩-٢٥١].

فشاهدنا من هذا أنهم لما كان لهم الظن الحسن بالله سبحانه وتعالى نصرهم اله وثبتهم وأيدهم الله وهكذا إلى أن يرث الله الأرض وما عليها إن الظن الحسن أيده ونصره قال الله: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب:٦٢].

أيها الناس: إن الظن الحسن -عبد الله- ليدفعك إلى التوبة والإنابة إلى الله عز وجل والعكس من ذلك يسبب ضده يقول تبارك وتعالى: ﴿۞ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۞ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة:١١٧-١١٨].

لما اطلع الله على سريرة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع الثلاثة هؤلاء أنهم يظنون بالله ذلك الظن الحسن وأنهم لجئوا إلى الله وإلى عبادته وإلى طاعته تقدس اسمه عفا الله عنهم وخلد ذكرهم في كتابه

أنه تاب عليهم وأنه رحمهم وهكذا كل من ظن بالله الظن الحسن لا شك أن أنه سيكون ذلك دافعًا له إلى المسارعة إلى الخيرات وسيكون ذلك دافعًا له إلى المسارعة إلى ما يرضي رب الأرض والسموات.

الظن الحسن بالله يبعدك عن المحرمات كما أبعد ذلك الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ وزوجه قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١١].

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:١٢].

و قد جاء عن أبي أيوب وزوجه رضي الله عنها أن بعض المنافقين لما تكلموا في عائشة أم المؤمنين بالفاحشة بلغ ذلك أبا أيوب قالت يا أبا أيوب تسمع ما يقول الناس قال إني لا أسمع والله إنه لكذب أكنت فعلت ذلك؟ قالت: لا قال فأم المؤمنين عائشة خير منكِ ولم أرَ في ذلك حديثًا صحيحًا يبين سبب هذا القول.

الظن الحسن بالله يجعلك في الدنيا تسارع إلى الخيرات ويوم القيامة تأخذ كتابك بيمينك قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ * إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:١٩-٢٤].

بسبب أنه كان ظانًا بالله الظن الحسن جعل يسلف عملًا صالحًا وجعل يسارع وجعل يقدم في هذه الخاليات إلى الباقيات ويقدم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ الظن الحسن بالله هو الذي يسبب للجن تلك الاستجابة وتلك المراقبة لله جل في علاه، قال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن:١].

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا * وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن:٢-٣] أي: ملك ربنا وعظمة ربنا وجلال ربنا: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا * وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا * وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا * وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا * وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن:٤-١٢].

هذا كله من الظن الحسن بالله فقد أبان ذلك رسول الله ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه فيما يروي الرسول عن ربه أنه قال: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ومن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا ومن أتاني يمشي**

أتيته هرولة» وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه ما يبين أن الظن الحسن من حسن الخاتمة لمن وفقه الله لذلك قال رسول صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث: «**لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**».

فالظن الحسن بالله جل جلاله هو الذي يكون الإنسان عليه بخاتمة حسنه وظن السوء بالله تبارك اسمه وتعالى جده هو الذي يكون عليه بخاتمة سيئة ويتسبب في ذلك لماذا أنت تظن بالله الظن السوء في أن الله إذا أخلصت فلن ينصرك؟ لماذا تظن بالله ظن السوء في أنك إذا توكلت على الله لن يحفظك؟ لماذا أنت تظن بالله ظن السوء في أنك إذا اجتهدت في طاعة الله لن يرحمك روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين كان معه أبو بكر في الغار قال: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى تحت قدميه لأبصرنا قال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما هذا هو الظن الحسن بالله أن من توكل على الله واعتمد على الله لن يتره عمله وأنه سيعزه وأنه سينصره وأنه سيدافع عنه روى الترمذي في جامعه من حديث ابن عباس رصي الله عنهما قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يومًا فقال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**» هذا هو تعليم الظن

الحسن بالله رب العزة والجلال لذلك الصبي ابن عباس رضي الله عنه فغرس في قلبه هذا الظن من صغره حتى يعيش على ذلك وكان كما أراد منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

عباد الله: الظن الحسن بالله يجعل في قلبك الرغبة إليه ويبعد عنك القنوط من رحمة الله عكس ما يظهر كثير من الناس في صدور البعض ما يجعل في قلوبهم القنوط فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في غزوة تبوك فقل متاعهم وشرابهم وطعامهم فأرادوا أن ينحروا بعض نواضحهم فيأكلون ويدهنون فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله لو أذنت لهم فنحروا نواضحهم قل الظهر ولكن يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادعُ الله عليها بالبركة ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاجتمع على النطع شيء قليل من الطعام هذا يأتي بكف من تمر وذلك بنحوه من شعير وذاك وذاك ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبركة فأكلوا جميعًا حتى شبعوا وما بقي وعاء في المعسكر إلا ملئوه وفضلت فضلة بقي شيء في الأرض ما يستطيعوا حمله ولم يجدوا إناء من آثار تلك الدعوة المباركة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة.

وروى الشيخان من حديث معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وحق العباد على الله؟ قلت الله ورسوله

أعلم قال فإن حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركون به شيئًا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا هذا كله من الظن الحسن بالله الذي يدفع الإنسان إلى طاعة الله وعدم التواني والكسل وروى مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وهكذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش أن رحمتي سبقت غضبي.

وفي الصحيحين من حديثه أيضًا: «**إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تعالى تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة**»، هذه كلها من باب الظن بالله الحسن فلا يجوز لأحد ألبتة أن يظن بالله ظن السوء قال: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤].

ومن ظن أنه سيموت دون غد وهو يموت عند الله غدًا فقد ظن بالله ظن السوء ومن ظن أنه سيحرم من أكلة أذن الله أن يأكلها أو شربة أذن الله أن يشربها وظن أنه لن ينال ذلك فقد ظن بالله ظن السوء ومن ظن أن الله لن ينصر رسله ولن ينصر كتبه ولن ينصر من نصره فقد ظن بالله ظن السوء

ومن ظن أن الله سيؤيد الكفر وأهله والباطل وأهله ويهدم الحق وأهله فقد ظن بالله ظن السوء.

فكن واثقًا بالله.. كن واثقًا بالله.. أيها المستقيم.

إن الله يدافع عن الذين آمنوا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج:٣٨].

وقال: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٠١].

قال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣].

الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق:٢-٣].

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين الملك الحق المبين خالق السموات والأرضين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله بلغ البلاغ المبين.

عباد الله: إن ما يصدر من الناس من عدم اعتماد على الله ومن ثرثرته بين العامة ومن إزعاجهم بإشاعات تارة يشيعون بينهم قيام الساعة على أنها ستقوم في عام ألفين: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب:٦٣].

كل من ادعى أن الله سيقيمها في يوم محدود في ساعة محدودة في ذلك الذي يحدده هو بنفسه بغير علم فهو كذاب أشر.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣].

وقال رسول الله «**خمس لا يعلمهن إلا الله ومنها قيام الساعة**»(١) وهكذا يقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٣-٣٤].

إن ما يشيعه الناس أيضًا من هذه الإشاعات التي أدخلوا في قلوبهم الرعب من أكل بعض المطعومات زعموا على أن ذلك يفعل ويفعل حتى بالغوا فيها على غير مستواها وحرموا المسلمين من أمتعتهم ومعاشهم ومواشيهم على كلام غير صحيح ربما مات بعض الأغنام كعادته في السنين إن هذا والله أمر ليس إلا صادر عن عدم اعتماد على الله.

إن الأخذ بالأسباب أمر مطلوب لكن الأسباب الصحيحة الوثيقة أما

---

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٥٠)، ومسلم(٩).

أن يشاع بين الناس الأهازيل ويجعلونهم يفتقرون عند مواشيهم وعند أغنامهم فذاك والله هو الظلم.

عباد الله.. لقد كثرت بين الناس عدم ثقتهم بالله سبحانه وتعالى ومن ذلك أيضًا الجشع ومن ذلك أيضًا الطمع ومن ذلك أيضًا البخل ومن ذلك أيضًا الوقيعة في المحرمات وفي كثير من المكتسبات والأعمال الباطلة كل ذلك صادر من سوء الظن بالله قال الله عز وجل يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق:٢-٣].

أتظن -أيها المسكين- أنك ستُحرم من الرزق إذا لم تشتغل في تلك المؤسسات التي هي مؤسسات تحديد النسل أو ما إلى من تلك المؤسسات المؤسسات الكفرية الباطلة التي تدعو إلى الباطل ومؤسسوها كافرون - أعني من اليهود والنصارى- أتدري أن النبي ﷺ يقول: «أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله

(١) أخرجه الحاكم من طريقين (ج٣ص٤) واللفظ متقارب وفي لفظ: [أجلها] وقال: على شرط الشيخين وتعقبه شيخنا مقبل رحمه الله في القدر باب الرزق وقال: إنه على شرط مسلم لأن عبد الملك بن سليمان من رجال مسلم، وقال بهذين الطريقين صحيح إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٤)عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ﷺ فيما يروي عن ربه أنه قال لو أن أولكم آخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا يا عبادي لو أن أولكم آخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا يا عبادي لو أن أولكم آخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

إن من سوء الظن بالله أن الإنسان يظن أن الله لا يستجيب دعاءه مع إخلاصه وصدقه قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

وروى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقل: أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم! ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإن الله لا مستكره له**». وفي رواية: «**ليعزم المسألة وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء يده لا يضيرها نفقه الليل والنهار**».

كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

الوابل الصيب في بيان الخبيث والطيب

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل

ضلالة في النار.

أيها الناس: إن المتأمل لحال الناس من مصدرين اثنين أبانها رسول الله ﷺ أبانهما في سنتة فقال ﷺ في حديث عمرو بن عوف حين جاء أبو عبيدة رضي الله عنه بمال من البحرين فوافق الصحابة رضي الله عنهم الفجر معه فقال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بمال من البحرين قالوا نعم يا رسول الله قال أبشروا وأملوا ما يسركم والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم[١]. وقال ﷺ: «**إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**»[٢]. وقال ﷺ: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه**»[٤] عن كعب بن مالك في الترمذي بسند صحيح.

فمن هذين المصدرين اللذين اشتمل عليهما حديث كعب بن مالك أُتي

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨) ومسلم(٣٩٦١)، كلاهما عن عمرو بن عوف رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٥) ومسلم(١٠٥٣).
(٣) أخرجه مسلم(٣٧٤٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٨١) عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

كثير من الناس عن طريق الشرف وعن طريق المال وغالب فساد الناس ولقد استقام شر هذين المصدرين الشرف والمال في زمن قديم وحديث فلا والله لا ما راءى من راءى في عبادته وأقواله وأفعاله وما أكل الربا وما أكلت الرشوة وما أكلت المحرمات أو غالب المحرمات غلا عن طريق الحرص على المال أو الشرف فما أحسن حديث رسول الله ﷺ وما أجمعه: ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه أرأيت لو أن ذئبين في غاية الجوع أُرسلا بين غنم لا راعي لها ماذا سيكون فساد ذينك الذئبين للغنم؟!

تراها تأكل هذه! وتقتل هذه! وتبقر بطن هذه وتفسد هذه وهكذا الإنسان إذا حرص على المال والشرف لا يكاد يسلم له دين إلا أن يشاء الله والله قد حرم الخبائث وأحل الطيبات قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢].

فكما أنك تعبد الله يجب عليك أن تأكل من الطيبات التي أحلها الله ولا تتجاوز ذلك وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٥].

وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة:٤].

وقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:٢].

فأباح الله لعباده الطيبات فقط وحرم عليهم الخبائث وأخبر أن الخبيث أكله حرام والصدقة منه حرام وكل عمل يتقرب به إلى الله منه فهو حرام وغير مقبول.. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

ويقول النبي ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا. وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١]».

عن أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح والخبيث أينما كان لا يحصل منه إلا الفساد وإذا كثر الخبث بين الناس حصل كل شر ففي الصحيحين عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ قام فزعًا وهو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه إبهام والتي تليها قال فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كثر الخبث والمراد بالخبث هنا المعاصي سواء كانت من أكل أو شرب أو لباس أو قول أو فعل أو غير ذلك فإذا حصل الفساد والخبث في الدنيا فإن ذلك سبب الهلاك فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم.

والله يقول: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۞ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل:١١٢-١١٤].

وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٢].

الله أحل لعباده الطيبات وحرم عليهم الخبائث قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

يحرم عليك -أيها المسلم- أن تكسب مالًا خبيثًا من غش أو خداع أو كذب أو ربا أو تصوير ذوات الأرواح أو بيع دخان أو ما إلى ذلك من المحرمات من أجل أن تكسب.. قال الله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا

كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩].

ويل لهم مستقل عذاب خاص تهديد بمفرده على تلك الكتابة التي كذبوها على الله وويل مستقل عذاب وتهديد خاص بسبب ما يكسبون من المحرمات التي لم يبِحْها الله لا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ والناس لا يتورعون عن أكل المحرمات إلا من رحم الله فترى هذا يأكل من تصوير ذوات الأرواح ووالله إن جريمة تصوير ذوات الأرواح لا يقل عن جريمة بيع الخمر والخنزير أو جريمة الزنا أو جريمة من الكبائر الذنوب التي حرمها الله في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ قال: «**من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ويقول: إن أشد الناس عذابًا الذين يصنعون هذه الصور**»(١)، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**إن أشد الناس عذابًا المصورون**»(٢)، ويقول أيضًا: «**لعن الله المصورين**»(٣).

هذا لعن شديد ووعيد أكيد في هذا المحرم وكثير من الناس لا تراه إلا يأكل وينفق على أسرته من هذا الكسب الخبيث.. «**أيما جسم نبت من حرام**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)ومسلم (٣١٠٧)، كلاهما عن عائشة بلفظ الذين يضاهون بخلق الله وبدون إن في أوله.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٠) ومسلم(٣١٠٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٤٧)عن أبي جحيفة رضي الله عنه.

فالنار أولى به»[١]، **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»**[٢]، **«ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»**[٣]، **«كخ كخ إنا لا نأكل الصدقة»**[٤]، **«دعها فإنها من الصدقة»** رسول الله ﷺ حذر الحسن أن يأكل تمرة من الصدقة؛ لأنها لا تحل لآل البيت وهؤلاء لا يتورعون عن حرام إلا من رحم الله تبارك وتعالى سواء كان غشًا أو كذبًا أو غير ذلك إن هذا كسب ممقوت فرسول الله ﷺ يقول: **«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن بيَّنا وصدقا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»**[٥]، فأيما كسب كان من حرام فهو ممحوق وصاحبه يربي نفسه على الحرام ويربي جسمه على الخبيث وربما يأتي يوم القيامة وقد أثر فيه هذا الخبث فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إن الملائكة لتحضر الميت حين موته فإذا كان صالحًا قالت الملائكة لروحه اخرجي أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب اخرجي

---

(١) أخرجه أحمد (ج٣ص٣٣١) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما بلفظ إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به. وهو في الصحيح المسند لشيخنا مقبل رحمه الله هذا الذي وقف عليه والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٣٩)كلاهما عن ابن عمر .

(٣) أخرجه البخاري (٧١٥٠) ومسلم(١٤٣) كلاهما عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٤٩١) ومسلم (١٠٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري (٣٠٧٩) ومسلم (١٥٣٣) عن حكيم بن حزام رضي الله عنه.

إلى روح وريحان ورب غير غضبان، وإذا كانت غير صالحة يقال لها اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث اخرجي مذمومة ثم يستفتح لها فلا يفتح لها.

فإياك أيها المسلم أن تأكل الحرام ولو لم يكن إلا دخانة تبيعها في متجرك تبيعها في دكانك فإن هذا سيؤثر عليك وستأكل أموالًا حرامًا ولو لم يكن إلا قاتًا تزرعه في مزرعتك فإنك تأكل منه كسبًا حرامًا والله للغيبة والنميمة والخداع والكذب والربا والزور أخف ضررًا من ضرر القات على المسلمين التي حرمها الله من أجل ماذا حرم الله الفواحش؟!

من أجل ضررها على هذا المرء المسكين: الغيبة فيها ضرر، وسمى رسول الله ﷺ النميمة القالة بين الناس، الزنا فيه ضرر، والربا فيه ضرر، والخمر فيه ضرر، وما حرم الله شيئًا إلا من أجل مصلحة المرء نفسه، وأباح الله أن يحلق رأسه وهو محرم كل ذلك حرصًا على سلامة هذا العبد[(١)]، وأباح الله له أن يفطر وهو صائم كل ذلك حرصًا على سلامة هذا العبد إذا كان في السفر[(٢)]، وأباح الله له أن يقصر من الصلاة الرباعية

---

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى قوله عز وجل ﴿كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦].

(٢) يشير الشيخ حفظه الله إلى قوله ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤].

حرصًا على سلامته ورحمة به[(١)].

وأباح الله له كثيرًا مما يضره أو مما يشق عليه قال الله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

وقال: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ﴾ [طه:٢].

وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

نعم.. حرم هذه الأمور لما فيها ضرر على الإنسان، وأضرار هذا الخبيث تربو على أضرار مفردة من مفردات تلك الأمور تربو على أضرار الربا وعلى أضرار الرشوة وعلى أضرار بعض المعاصي التي تحصل.

أضرار عقلية وأضرار مالية، والمرء يسأل عن هذا المال يوم القيامة فماذا يجيب؟ أضرار جسدية الله بنا رحيم ما أباح لنا أن نقتل أنفسنا قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩].

أضرار دينية يتركون الصلوات من أجله.. أضرار.. وأضرار.. وأضرار.

ضرر واحد لو توافر في شيء من الأشياء.. «**لا ضرر ولا ضرار**»، ﴿وَلَا

---

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى قوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبِيناً﴾ [النساء:١٠١].

تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق:٦].

حرم الله الضرر على نفسك وعلى غيرك، لو توفر ضرر واحد في شيء لحرمه الله لحصول ذلك الضرر فما بالك بتوافر الأضرار في شيء واحد ومع ذلك يأكل منه طلبة العلم فضلًا عن غيرهم قال ﷺ: «**ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله**»[١] أنا متأكد أنك مهما طلبت العلم لن يبارك الله في علمك ما دمت تأكل حرامًا ولو لم يكن إلا شبهة أبي بكر رضي الله عنه لما جاءه ذلك الغلام بخراجه يستخرجه فأخبره أنه من الكهانة فأدخل أصبعه في فيه واستقاء كل ما في بطنه[٢].

هذا الذي يريد مرضاة الله ويريد أن يأتي يوم القيامة نقيًا من الشبهات: «**كخ كخ إنا لا نأكل الصدقة**» إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يوشك أن يقع فيه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[٣]، افرض أنه مكروه من أباح لك المكروه؟ من أباح لك أن تقترف المكروه؟ إن المكروه سُلّم بين الحرام والحلال قريب من

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩) ومسلم(١٠٥٣)، كلاهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٨٤٣)عن عائشة رضي الله عنها.
(٣) أخرجه البخاري (٥٣) ومسلم(١٥٩٩) كلاهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

الحرام المكروه سيء يبغضه رب العالمين قال رسول الله ﷺ: «**وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**»، هذا الشيء المكروه.. نعم إضاعة المال والغيبة والنميمة وإضاعة الوقت والإلحاح.. وما إلى ذلك هذا شيء مكروه، ومع ذلك كما ترى على أنه محرم فمن المكروه ما هو محرم ومنه ما هو مكروه كراهة ليست بتحريم لكن ما أباح الله لك أن تقترف ذلك المكروه.

عبد الله لا تستكثر المال من الخبيث مهما كان فإنك تأكل منه وتسرف فيه وتلعب فيه ويوم القيامة يكون عليك وبالًا وتسأل عنه.. «**لا تزل قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع من تلك الأربع وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟**»[(١)] من حديث أبي بردة الأسلمي وأبي مسعود ومعاذ بمجموع تلك الطرق يحسن أو يصحح.

فلا تستكثر المال قال: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:١٠٠].

يا أهل العقول السليمة: لا تستكثروا الأموال سواء كانت من خبيث أو من طيب ما بالك فيمن ما بالك فيمن يحج من خبيث «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»[(٢)]، ما بالكم فيمن يزكي من خبيث؟! «**إن الله طيب لا يقبل**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤١٧) عن أبي بردة الأسلمي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم(١٠١٥)عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إلا طيبًا»، ما بالكم فيمن يتصدق من خبيث: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**».

كل هذه الأعمال كما يقال صفر على الشمال من أجل ذلك المال الذي يأكل منه الإنسان ويكتسبه من خبيث.

المال له تأثير على القلب له تأثير في حياة الإنسان له تأثير في سلوك الإنسان له تأثير في الدعاء: «**رب أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب! يا رب ومطعمه من حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام وملبسه حرام فأنى يستجاب له**»، انظر مع حالته المتعبة ومع صفات الاستجابة المتوافرة فيه ومع ذلك «**أنى يُستجاب له**»، وأنت بأشد الحاجة وبأمس الحاجة وبأفقر الناس إلى الله تعالى ليستجيب دعاءك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ* إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ* وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ [فاطر:١٧].

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

أما بعد.

إياك أيها العبد أن تحرص على الشرف أو المال فإن رسول الله ﷺ يخبر أن ذلك سيفسد دينك.. «**إن رجالًا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**»[١].

ألا ترى كثيرًا من الناس يقعون في القضاء بما حرم الله من أجل المال ألا ترى كثيرًا من الناس يقتلون النفس التي حرم الله حرصًا على الشرف، وأنه من بني فلان ألا ترى كثيرًا من الناس يقعون في الحزبيات من أجل أن يتوافر له سيارة أو بيت أو زوجة ألا ترى كثيرًا من الناس يطلب العلم أيامًا وربما حفظ القرآن فما ترى إلا وقد قفز إلى الحزبية من أجل وظيفة شهرية وقال رسول الله ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه**»[٢].

إن أصحاب رسول الله ﷺ قد أدركوا ذلك غاية الإدراك بل الله جل في علاه قد أخبر في محكم كتابه وحذر من زينة الدنيا وزخرفتها غاية

---

(١) أخرجه البخاري (٣١١٨) عن خولة الأنصارية رضي الله عنها.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٨١) عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

التحذير: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد:٢٠].

وقال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٢٤].

وقال: ﴿قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء:٧٧].

وقال: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٦].

النبي ﷺ يقول: «**أنها لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**».

ومن حديث رافع بن خديج أن النبي ﷺ قال: «**كسب الحجام**

خبيث ومهر البغي خبيث وحلوان الكاهن خبيث»[(١)].

أما كسب الحجام فإنه الخبث المذكور فيه من حيث دناءة صنعه وفعله والعمل فيه لا على أنه محرم فقد حجم رجل يقال له أبو ظبية رسول الله ﷺ وأعطاه أجره، وأما مهر البغي التي هي أُجرة الزانية فهي محرمة بالقرآن والسنة.

وأما حلوان الكاهن لأنه تكهن وهو محرم بالأدلة الكثيرة.

هذه الأشياء خبيثة يجتنب الإنسان ما حرم الله فكل شيء فيه ضرر على الإنسان إما في جسمه وإما في ماله وإما في دينه وإما في دنياه وإما في آخرته وإما في فساد أولاده بأكلهم مما حرم الله فليتق الله كل إنسان منا فليتق الله كل إنسان منا ويتفقد نفسه ومطعمه فإن الله ما أحل للعباد وما تعبد العباد إلا بأكل الطيبات وهكذا تعبدهم باجتناب المحرمات أيًا كان فلا يحل المسلم أن يغالط نفسه ويخادع نفسه كما يقول بعض الصوفية الكذبة.

نعم يقولون: أنا ما أصلي الليل إلا إذا خزنت.

وهذا كذب والله لئن ينام الليل كله أفضل له من أن يأكل القات ثم يقوم وهو كذاب؛ المعصية ما تجر إلا إلى شر قال الله جل جلاله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾

((١)) أخرجه مسلم (١٥٦٨) ولفظه حلوان الكاهن» ليست في حديث رافع وإنما هي من حديث أبي سعيد الأنصاري رضي الله عنه عند البخاري (٣٣٣٧) ومسلم(٤٠٠٩).

[يونس:٢٧].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ * كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [المجادلة:٢٠-٢١].

أكثر المصائب التي تحصل في الدنيا -بل المصائب كلها- بذنوب العباد ووالله إن هذه البلاد التي أثنى عليها رسول الله ﷺ بالحكمة وبالإيمان وبالفقه لتشتعل في ليلها وفي نهارها في سيرها وفي حياتها كلها بسبب فعل هذه المحرمات ومنها هذه الشجرة الخبيثة فالعسكري في الشارع يقف من أجل أن تعطيه حق القات فيرتشي ويظلم ويغش ويعمل المعاصي من أجل تلك المعصية أترى أن المعصية جرت عليه معاصي أخرى وذلك القاضي يحكم بغير ما أنزل الله من أجل أنه أهدي إليه شيئًا من القات أو أنه جلس معه في الليل على شيء من الجلسات.

من تلك الأضرار التي تربو على أضرار كثيرة مما حرمها الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وفق الله الجميع لما يحبه الله ويرضاه.

الإيجاز في ضلال دعاة الإعجاز

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الأحزاب:٧٠]

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن الله تبارك اسمه وتعالى جده أرسل رسوله محمدًا ﷺ مخرجًا لهذه الأمة من ظلمات الجهل والتيه إلى نور الحق والضياء والبرهان والاستقامة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

﴿۞ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة:١٢٩]، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص:٥٠].

وجعله في غاية من الحرص على أن يوصل الحق إلى الناس وعلى أن يوصل الهداية إلى الناس بل إن الله قد عتب عليه في مواضع كثيرة من كتابه لشدة حرصه على الناس وعلى هدايتهم: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر:٨]، ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف:٦].

فيخبر ربنا رب العزة والجلال أن رسول الله كما كاد أن يبخع نفسه وأن يقتل نفسه حسرة أعني على أنها من شدة الحسرة على الناس لما لم يستجيبوا لشرع الله ولقد كان يسعى في أسواق الجاهلية وفي أيام الحج فيقول ﷺ: «**ألا من يعيني فأبلغ دين ربي**»، وهذا في غاية الحرص على إيصال الخير إلى الناس، وفي الصحيحين أنه ذهب إلى ابن عبد ياليل فعرض نفسه عليه ليؤويه حتى ينصر دين الله فرد عليه دعوته فخرج رسول الله ﷺ وهو مغموم حتى بلغ قرن الثعالب فاستفاق النبي ﷺ أو رفع رأسه فإذا جبريل يناديه: «**يا محمد! إن هذا ملك الجبال يناديك إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت. قال: لا؛ إني أحب -أو أرجو- أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله..**» الحديث عن أم المؤمنين عائشة في الصحيحين.

كل هذا يدل على حرصه الشديد على إيصال الخير للناس وما توفاه ربه سبحانه وتعالى حتى أقام به الملة المعوجة ففتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا كانت تدعو غير الله كانت تعتقد الضر والنفع في غير الله ربما كان أحدهم يعبد حجرًا ولقد كان في مكة أكثر من ثلاثمائة صنم(١).

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١].

وجاء الحق بتحطيم ذلك الباطل على يدي رسول الله ﷺ جاء

---

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند البخاري (٣٤٧٨) ومسلم (١٧٨١).

رسول الله ﷺ بإخراج الناس من الظلمات الأهواء إلى نور الحق والسنة إلى نور الهداية.. ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

فما مات رسول الله ﷺ حتى أنزلت هذه الآية وقال بعض اليهود: لو علينا نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا(١)؛ لأن عندهم الأعياد من تلقاء أنفسهم بغير توفيق ولا دليل.. وهي نزلت يوم عرفة ولم يلبث رسول الله ﷺ إلا نحو ثمانين يومًا حتى قبضه الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

ما يحتاج إليه الناس في دينهم لم يكن ليترك رب العالمين الناس إلى عقول العقلانيين ولا إلى هلوسة المهلوسين ولا إلى استحسان المستحسنين فأكمل الله عز وجل دينه وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «**ادعهم إلى ما نحن عليه والله لئن يهدي الله بك رجلًا واحد خير لك من حمر النعم**».

والذي كان عليه رسول الله ﷺ هو أن دعا الناس إلى كتاب الله وإلى ما أوحاه الله إليه من السنة: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ * أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ * إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ

---

(١) أخرجه البخاري(٤٥)ومسلم (٣٠١٧)كلاهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ [النجم:١٩-٢٣].

وقال: ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩].

﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦].

ولقد حذر رسول الله ﷺ وذلك من تمام نصحه وغاية محبته للمسلمين ولأهل الإسلام حذر من جميع البدع صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها لما فيها من الأضرار على الناس في دينهم في معتقداتهم في عباداتهم في جميع أحوالهم فقال رسول الله ﷺ في خطبه وكان يكرر ذلك: «**ألا وإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**».

وهو القائل ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[1]، «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2].

فأبان ﷺ أن من جاء باختراع في الدين ليس له مثال سابق من

---

(١) أخرجه البخاري(٣٦٩٧) ومسلم(١٧١٨) كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨) عن عائشة والبخاري تعليقاً.

الشرع فهو وبال على صاحبه مردود عليه.

وروى الترمذي وغيره من أهل السنن والمعاجم والمسانيد من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «**وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين عضّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**».

سمعًا وطاعة لسنة رسول الله ﷺ.

ألا وإن من أعظم البدع وأقبح البدع وأرذل البدع في هذه الأيام وفي هذه العصور الجديدة ما أحدثه بعض الناس مما يدعونه علمًا ويسمونه بالإعجاز العلمي يضخمونه في أعين الناس ويعظمونه في صدور الناس والواقع أنه مزاحمة لكتاب الله رب العالمين وسنة سيد المرسلين ﷺ.

يأتون بأفكار الكفار وأفكار أولئك الحيارى من اليهود والنصارى يصححون بها ويصدقون بها كلام رب العالمين تبارك وتعالى فترى أحدهم يقول وهذا الفعل مصداق قول الله كذا.. يأتي باكتشاف من اكتشافات الكفار ثم يزعم أنه يصدق القرآن ويدل على صدق القرآن وأولئك حيارى وأولئك يلتمسون لهم ما يوصلهم إلى ما يجعلهم في أي جانب من الجوانب وهؤلاء على شريعة من الأمور أعرضوا عنها.. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ

شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨-١٩].

نعم والله يقول الرسول ﷺ: «**قبل الساعة يظهر الجهل وتكثر الفتن ويفشو الزنا ويقل الرجال وتكثر النساء**» والحديث من حديث أبي موسى الأشعري وآخرين في الصحيحين وغيرهما وشاهدنا من هذا أنه يكثر الجهل باسم العلم والتعالم وما ارتكبت الشركيات إلا بالجهل بالله وما ارتكبت الفواحش إلا بالجهل بالله سبحانه وبشرعه وبدينه يقول الله جل في علاه في قوم موسى لما كانوا يطلبون منه أن يجعل لهم إلهًا من غير الله: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وحصلت هذه الحادثة لرسول الله ﷺ حين كانوا ذاهبين إلى حنين قالوا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط شجرة نعلق فيها سيوفنا للبركة فقال: «**الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف:١٣٨].

فأبان موسى أنهم سألوا الشرك وهكذا النبي ﷺ أبان أنهم سألوا ذلك البركة التي لا دليل عليها بسبب الجهل بالله جل جلاله وبدينه وبكتابه وبشرعه، وهكذا قوم لوط يسألون الفاحشة فيقول عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود:٢٩]، وهكذا عاد: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢١].

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الأحقاف:٢٢-٢٣].

ولو استعرضت القرآن والسنة لرأيت فيهما من هذه الأدلة الكثيرة ما يبين أن جرائم الدنيا تقترف بسبب الجهل والهوى ونعوذ بالله من ذلك حتى أن موسى يستعيذ من الجهل فيقول: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧].

ويوسف يقول: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣]فيبين أن الزنا يحصل بسبب الجهل بالله وبشرعه وبعظمته تبارك اسمه وتعالى جده.

وهؤلاء القوم في هذه الأزمنة منه ما يكونون مساعدين للشيطان على تجهيل المسلمين وإيقاع المسلمين في الجهل حتى يسيطر عليهم الضلال والباطل الذي أفاد عنه رسول الله ﷺ في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه حيث قال: «**حتى إذا لم يبق عالمًا أتخذ الناس الناس رؤوسًا جهالًا فسألوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**» فإذا جنح الناس وهرع الكثير منهم وانتشر الباطل واستولت البدع واضمحلت السنن وسيطر الهوى رأيت ذلك الصنف يبجح ما هو عليه ويذم ما كان

عليه الآخرون ولو كان كتابًا وسنة.

عباد الله إن ما يتعلق بهذه البدعة أضرارها كثيرة وشرورها مستطيرة على المجتمعات الإسلامية نعم والله! فإنها تقليد للكافرين وليس لها أصل عن المرسلين عليهم الصلاة والسلام ولا من سلفنا الصالح فقد نزه الله السلف الصالح أن يكون منهم من يدعو إلى أفكار الكفار يسميها إعجازًا علميًا ونعوذ بالله وهكذا تقرأ في القرآن والسنة وترى التحذيرات الكثيرة والزواجر الشديدة من تقليد الكافرين في أقوالهم وأفعالهم وهؤلاء لما لم يقبل منهم الناس دعوتهم إلى التوحد ودعوتهم إلى الاتفاق ودعوتهم إلى التقارب مع اليهود والنصارى عمدوا وهرعوا وانطلقوا ساعين إلى تبريرات أفكارهم وتعظيم أقوالهم في صدور جهال المسلمين فيقولون: هذه الآية يصدقها قول فلان الكافر وهذا الحديث يدل ذلك على أنه إعجاز علمي أعني أن قول الكافر يصدق كلام الله رب العالمين نعوذ بالله من أن يعتقد إنسان هذا المعتقد الوخيم: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢].

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:٦]إن الكفار عليهم لعائن الله قد ذمهم الله في كتابه وعلى لسان رسوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟

يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٩].

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة:٧٢-٧٤].

فهم في غاية من التردد والارتباك والشك والريب والحيرة حتى إنهم يعتقدون أن عيسى هو الله ويعتقدون أنه ابن الله ويعتقدون أنه ثالث ثلاثة.. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:٣٠].

هكذا يخبر الله رب العزة والجلال أنهم في غاية من الضلال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة:٥١-٥٢].

إنهم أناس مخادعون لله يجب بيان سبيلهم كما أمر ربنا سبحانه وتعالى.. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥].

يقول الله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥].

وقد سلك أتباعهم في تحريف النصوص وليّ أعناقهم إلى ما يزعمون أنه إعجاز علمي مسلك أولئك الكفار.. «**قولوا: حطة. قالوا: حنطة وحبة في شعرة**»، ونهى الله سبحانه وتعالى عن الهرولة بعدهم وعن السلوك في سيرهم فإنهم ضالون كما يقول: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

عباد الله هذا التشكيك هذا التجهيل هذه البدعة المنكرة هذه الأمور الخطيرة يزعمون أنها دين وأنها تزيد الإيمان: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:٦]، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١].

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم

مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۞ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ [الزمر:٢٢ـ٢٣].

﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ [فصلت:٤٤].

أبعد هذه هداية؟! هل هناك بعد هذه المواعظ العظيمة هداية غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بظاهرها التي خاطب الله عز وجل المسلمين بالتفقه فيها وتدبرها حتى الأعراب: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

إنهم ليأتون بأفعالهم القبيحة وأفكارهم القذرة متهمين السلف الصالح بالتقصير وعدم إقامة الحجة فترى أحدهم يقول مستدلًا: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣].

ويزعم أن بيان الحق يحصل بما حصلت من الأمور الجديدة والاكتشافات الحديثة وكأن السلف الصالح وجميع الأنبياء لم يقيموا الحجة على الأمة: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥].

قد قاموا بشرع الله خير قيام لسنا بحاجة إلىٰ هذه الاكتشافات وهكذا يزعمون أنهم أهل العلم ويصدرون جميع الأدلة إلىٰ ما هم عليه من الأفكار وهم يهود ونصارىٰ أحدهم يبول علىٰ ثيابه وعلىٰ جسمه ولا يتنزه من البول ولا من الشرك بالله قبل ذلك وهؤلاء ينصبون لهم الأدلة: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سبأ:٦].

وينزل آية كذا علىٰ أولئك الكافرين وأنهم هم أهل العلم: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٨٣].

إن البحار أمواج.. والذين يستنبطون أن الناس يصعدون ـزعمواـ القمر وهذه أكذوبات أتوا بها لزحزحة المسلمين عن الاقتناع بكلام ربهم وسنة نبيهم ﷺ ويجب علىٰ المسلمين جميعًا أن يتقوا الله ويبتعدوا عن هذه الأفكار الهدامة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

أما بعد:

فقد حذر رسول الله من التهوك إلى الكفار وإلى الكتب المتقدمة غير كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ فقد روى ابن أبي عاصم في السنة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه «**أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله نرى عند يهود بعض الأخبار ألا نأخذها؟ فغضب رسول الله ﷺ وقال: آمتهوكون أنتم؟ والله لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي**» وجاء من حديث أبي الدرداء وآخرين: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»[1].

إن الزيغ عن هذه البيضاء وعن هذه السنة ليعتبر من أعظم الهلاك.. «**دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبياءهم فما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**» هكذا يقول النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الناس: إن هؤلاء يعمدون إلى الكفار وإلى كتب الكفار وإلى أضحوكات الكفار ويقيمون لها المؤسسات وينشئون لها المدرسين وأصحاب تلك التجلدات أعني على أنهم ينشرون من أجلها الجرائد

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٦) وأخرجه الإمام أحمد (١٧٣٧٣) عن العرباض ابن سارية رضي الله عنه.

والمجلات مبررين لتلك الفكرة مزعزعين للناس عن الاعتصام بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ زاعمين أن هذا هو الهدى.

والله تبارك وتعالى يقول مبينًا هذا الضلال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ [الصف:٧].

ربما أحدهم يُحمِّلُ الدليل فوق ما يتحمل ويأتي بما لم يقله السلف الصالح، وأن هذا لم يعلمه ابن عباس ولا مجاهد ولا قتادة ولا الضحاك إلى آخر ما يقوله في تلك الأقوال وهكذا أيضًا يأتون بتلك الأفكار يزاحمون بها كتاب الله ولا يعرفون المعتقد السليم ولا يعرف كيف يصلي كما صلى رسول الله ﷺ، ثم يأتون لهم بتلك الأعمال يعتقدونها علمًا وهي في غاية الجهل والضلال ومن أقبح ما في تلك الأمور أيضًا أنها تدفع المسلمين إلى الإعراض عن ذكر الله تقدس اسمه وعدم تدبر الكتاب والاكتفاء به وعدم حفظ الكتاب والسنة والتضلع فيها ثم يعمدون إلى هلوسة الكافرين: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦].

وتالله ما زحزهم الشيطان وأبعدهم هذا الإبعاد إلا بسبب بعدهم وبسبب غموضهم وقصر أعينهم عن النظر إلى الأدلة من الكتاب والسنة بعين البصيرة فإنهم تعاموا عنها فعاقبهم الله يقول ربنا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦].

قال ابن كثير رحمه الله وغيره: عاملها معاملة الناسي لها فترى أحدهم لا يبالي بظاهر الكتاب ولا بالسنة ثم يأتي باكتشافات يريد من تلك الاكتشافات أن يظهر علمًا غير علم السلف رضوان الله عليهم وهذا دونه خرط القتاد إنما هو الضلال المحض.

عباد الله: إننا نعوذ بالله ونعيذ كل مسلم أن يعرض عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٧].

فاتقوا يا معشر المسلمين وأقبلوا على كتاب الله وسنة نبيكم ﷺ وإياكم والأهواء ومجاراة الأهواء التي تتجارى بأصحابها كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه(١).

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) يشير الشيخ حفظه الله تعالى إلى حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عند أحمد (١٦٩٣٧).

القول الفصل

في الرد على القائلين بتحديد النسل

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن الله تعالى قد أبان في كتابه أن من يتقيه سيكون من المفلحين: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور:٥٢].

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٧١].

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ * قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٣-٥٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ *إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال:٢٠-٢٣].

فطاعة الله ورسوله ﷺ سبب السعادتين في الدنيا والآخرة سعادة الدنيا وسعادة الآخرة والإعراض عن ذلك سبب الانتقام: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ

مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢].

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٧]والإعراض عن ذلك من صفات الكفار: ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف:١٠٥].

وقال: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦].

فكل إنسان يتعامى ويعرض عن ذكر الله يقيض الله الشياطين عليه ومعه الشياطين لا يدله على الخير: ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٨].

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥].

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦].

﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١١٨-١١٩].

أمر الشيطان للإنسان فيه تلفه وهلاكه.. معك الشيطان ومعك ألد الأعداء فهل يدل على خير: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦].

أيها الناس: عباد الله إن أعراض الناس الناس عن ذكر الله وعن ذكر ربهم من قرآن وسنة وعمل بهما سلط الله عليهم الشياطين فأزاحت عنهم الفطر السليمة والأخلاق المستقيمة وأبعدتهم عن فطرهم التي فطرهم الله عليها ولا أقرب من مثال واحد عند كثير من الناس وقد روجت له كثير من الأبنيات وجعلت له الدعايات وفتحت له المؤسسات والشركات وهو مسألة تنظيم النسل وتحديده بين أوساط أمة محمد ﷺ بسبب إعراضهم عن ذكر ربهم سلط الله عليهم الجن والإنس: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

سبب إعراضهم إعراض كثير من الدعاة والمدعوين عن وحي رب العالمين وسنة سيد المرسلين بسبب هذا وذاك سلط الله عليهم شياطين الجن والإنس من يهود ونصارى ودعاة إلى التبشير ودعاة إلى تنظيم النسل وتحديده ودعاة إلى كل شر وفتنة ما كان أحد يتوقع حتى في الجاهلية ما كانت تسمع مسألة تنظيم النسل وتحديده حتى ابتلى الله المسلمين في هذه العصور بها وتقل تارة وتكثر تارة على حسب نشاط من يدعون الناس إلى ذلك ومن يفتح للناس مستشفيات خاصة وعيادات مستقلة عند وصول

المرأة تعرض عليها المرأة هذه الفكرة المستوردة وأنها ستصاب وأنها سيقع لها وأنها وأنها إن لم تفعل إما عدم تصديق لكتاب الله جل في علاه وسنة نبيه ﷺ وعدم ثقة بهما وإما خوفًا من الفقر وإما تقليصًا لكثرة المسلمين وإما إلى غير ذلك من الأغراض التي يعرفها كثير ممن وفقه الله جل جلاله من المسلمين: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠] ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٠٥].

هل يريدون لك الخير أن تصلح حالك في الدنيا والآخرة؟ لا والله وهذا تعارض مع القرآن هذا رد للفطرة السليمة ومخالف لهدي الأنبياء جميعًا عليهم الصلاة والسلام فقد ثبت أن سليمان عليه السلام كان له أكثر من ستين أو سبعين امرأة فقال: والله في هذه الليلة لأتين أهلي ولتلدن كل واحدة منهن فارسًا يقاتل في سبيل الله فسليمان يحب أن كل واحدة من نسائه تلد فارسًا. وهكذا زكريا ينادي ربه عند الكبر: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].. وهبه الله ولدًا.

إبراهيم يدعو ربه أن يرزقه الذرية فاستجاب الله له ووهب له إسحاق

ويعقوب نافلة: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران:٣٨].

كذا أيضًا زكريا ينادي هذا النداء.

محمد ﷺ كان له جمع من الولد من الإناث وولد له إبراهيم ومات وهكذا قيل في القاسم وغير ذلك.. يعقوب: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣].

كل الأنبياء هذه دعوتهم إلى تكثير النسل وتكثيف المسلمين وتمكينهم في الأرض: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

فالله جعل المسلمين يخلف بعضهم بعضًا: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ [الرعد:٣٨].

فكل الأنبياء جعل الله لهم الزواج والذرية: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ [الروم:٣٠]حتى الأبقار والغنام والحيوانات ما تستنكف من

هذه الفكرة أو أن الإنسان يحاول أن يستكثر منها ويريد أن يقلل من تكثير الأولاد ومن تكثير البنين خلاف ما أمر رسول الله ﷺ به..

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة:٢٠٤].

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة:٢٠٥].

ففساد أيما فساد.. الدعوة إلى تحديد النسل وتنظيمه التي هي مطروحة الآن ويعمل فيها بعض المسلمين بحجة الفقر وأننا ما حصلنا أعمالًا وما عندنا راتب والعمل في ذلك تعاون على الإثم والعدوان والعمل في ذلك إقرار لهذه الجريمة الشنعاء والعمل في ذلك عدم تغيير للمنكر الذي أوجب الله تبارك وتعالى تغييره على المسلمين «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**».

عباد الله: تحديد النسل: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل:٧٢].

يكفر بنعمة الله الولد نعمة من الله وإن كثروا هكذا كان أصحاب النبي ﷺ يفتخرون بالأولاد حتى في الجاهلية فقد ثبت عن العباس رضي الله عنه أن له مجموعة من الولد له عشرة من الأولاد ومع ذلك يدعو الله سبحانه

وتعالى أن ينميهم فيقول:

يا رب نميهم ووف الثمرة ... تموا بتمام فصاروا عشرة
يا رب واجعلهم كرامًا بررة

فيدعو الله أن يوفي ذلك الخير الذي أعطاه الله إياه.

جريمة منكرة معتمدة على الجهال وعقول الجهال على أن هذا سبب الفقر وأن هذا سبب للإملاق والله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٣١].

ففي سورة الإسراء نحن نرزقهم وإياكم وفي سورة الأنعام نحن نرزقكم وإياهم كلهم من عند الله يرزقون: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت:٦٠].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٦].

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٢ـ٢٣].

كما أن الله جعلك ناطقًا تكفل الله برزقك حتى الدود حتى الحيوانات حتى الجراد والقمل كل دابة تدب من الذي يرزقها غير الله؟

والله! لو أن الناس اعتمدوا في أرزاقهم على بعضهم البعض لماتوا..

﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء:٥٣].

لو كان للناس نصيب من الملك فقط ـ قليل فقط ـ كل واحد يحتجز ما عنده وما يعطي الآخر نقيرًا أكل أو تمتع به وهكذا أيضًا لو أنهم كما قال الله: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾ [الإسراء:١٠٠].

فالله أخبر أن الإنسان قتور وأن الملك لو كان بيده لأمسك لكن الملك لله سبحانه وتعالى والله التزم به وتكفل به: ﴿وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ [الحجر:٢٠].

حتى الذي أنت لا ترزقه ولا يمكن حتى الذي أنت لا يمكن أن ترزقه ولا تعطيه ولا تمده الله هو الذي يرزقه.

فنعم أخي في الله اتق الله واعرف هذا الخطر الداهم ولا يجوز لك العمل فيه ولا السكوت والرضا عنه هذه فكرة خبيثة تخالف هدي المرسلين؛ ففي السنن من حديث معقل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «**تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**» فالذي يسعى في الزواج بهذا الصنف أو يسعى في تكثير الأولاد حقق مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحقق محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المسألة قال: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا

كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٧].

من أجل ذلك شرع الله المباشرة وشرع الله الزواج وشرع الله تكثير النسل الزواج مشروع من أجل تكثير النسل ومن أجل جعل الخليفة في الأرض وتمكين المسلمين من أرضهم وعدم احتياجات المسلمين إلى عاملين واحتياجات المسلمين إلى أمور المسلمين فإنهم إن حددوا نسلهم وإن حددوا أولادهم عندئذ يكثر الكفار عليهم ويهيمن عليهم وعندئذ يحصل لهم مخالفة هدي رسول الله ﷺ فيذلهم الله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس:٢٧].

فهي معصية أنت يا أخي إذا رزقك الله أولادًا لا تدري من منهم صالح مع أنك بحاجة إلى من يشفع لك منهم يوم القيامة أو يدعو لك بعد موتك فالنبي ﷺ يقول: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعوا له**»[(١)].

فما يدريك أن ذلك العدد يخرج منهم صالح وأن الذين حددتهم يكون الصالح فيهم وأنت السبب في ذلك والنبي ﷺ لما جاء إليه ثلاثة رهط

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١)عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أتوا بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته قال أحدهم: أما أنا فلا أتزوج النساء وقال الثاني أما أنا فأصوم ولا أفطر وقال الثالث أما أنا فأقوم ولا أنام) وأتى رسول الله إليهم وقال: «**أنتم الذين قلتم كذا قالوا بلى يا رسول الله قال والله إني لأخشاكم لله وأتقكم له لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

من رغب عن سنة الرسول ﷺ ليس منه.

خطير جدًا أن الإنسان يظن أنه إذا حصل له أولاد كثير سيجوعون أو لا يستطيع أن يسعى عليهم أو ما إلى ذلك هذا اتهام لرب العالمين بالنقص اتهام لرب العالمين بعدم رزق الدواب: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨].

وفي الصحيح بل وفي القرآن قال الله عن إبراهيم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

وعند أن وضع امرأته وابنها إسماعيل في ذلك الوادي بجانب الكعبة وليس عندهما طعام وعندها جراب من ماء وشيء من تمر فلما فني ذلك الذي بين أيديهم من الماء والتمر جعل الطفل يتلبط لم يجد الحليب فماذا

فعلت أم إسماعيل؟

إنها جعلت تسعى بين الصفا والمروة ثم في المرة السابعة سمعت صوتًا فقالت: إن كان عندك غوث فأغث فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فبحث بعقبه وخرج زمزم غياثًا لأم إسماعيل، الله عز وجل يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق:٣]، وقال تبارك وتعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا * يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ [نوح:١٠-١١].

هذه منة من الله ما بالك أيها السفيه تطلب الأموال وتسعى حاثًا فيها ولا تسعى فيما سنه الله وفطره الله لك.

﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ [نوح:١٢].

فلم توجد حتى عند الجاهلية إلا عن بعض الملاحدة من قديم أو حديث وليس من عند الإسلام فالإسلام بريء منها.

نسأل الله السلامة منها.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه أما بعد:

فإنه ثبت عن رسول الله ﷺ في الصحيح عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا أرادوا أن يستقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا فلم نؤذِ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**» فالنبي ﷺ يقول مثل القائم في حدود الله.

فمن أسباب الهلاك هلاك الأمم مخالفة كتاب ربهم وسنة نبيهم إما بغلاء المهور وإما بتأخير الشباب في الدراسات وهذا كله من تحديد النسل وعدم استمرار النسل وإما بالمعقدات للزواج وأما بإجهاض الذي يفعله كثير من الناس بحجة أن المرأة فيها شيء من الأمراض والله أرحم بها من عباده وإما بتحديد الأولاد بأنه ما ينبغي إلا كذا من الأولاد وكأنهم هم المتحكمون في شرع الله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

فأي إنسان يتقول على الله أو يقرر المنكر في قومه أو يعمل بخلاف

شرع الله فقد كسب السيئات وكان كسبه خبيثًا إن الذين يعملون على ترويج هذه الدعايات الخبيثة سواء كانت في صنعاء أو في صعدة أو في بلد من بلاد المسلمين هم مقرّون للمنكر وهم آثمون وكسبهم خبيث: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩].

إن الله قد أخبر أن الذين يكسبون من المحرم يحصل لهم الويل والتهديد بسبب كسبهم لغير الحلال ووقوعهم فيما حرم الله فاحذر أيها المسلم إياك إياك أن تطيع الكذابين إنه إذا مات لك ولد كان شفيعًا لك يوم القيامة قال رسول الله ﷺ: «**ما من امرأة تقدم بين يديها ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابًا من النار فقالت امرأة واثنين قال واثنين**»[(١)].

ورسول الله ﷺ يقول: «**إذا مات ولد عبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟!:: فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد**»[(٢)].

فهذه محاربة حتى للحسنات وهكذا النبي ﷺ مات له إبراهيم فجعلت عيناه تذرفان ثم قال: «**إن العين تدمع وإن القلب يحزن ولا نقول**

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١) ومسلم (٣٦٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠١٣) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[١].

وسمى رسول الله ﷺ العزل «**الوأد الخفي**»[٢].

وقال: «**ما من نفس منفوسة إلا وهي كائنة**»[٣].

فكرهه كثير من أهل العلم حتى مسألة العزل ما بالك بغيرها من الوسائل الحديثة المستجدة التي هي عبارة عن وسيلة لتقليص الأولاد وعدم تكثير الأولاد وخلاف هدي المرسلين عليهم الصلاة والسلام فدعوات ظهرت خبيثة وفكر منتنة لا ينجي العبد منها إلا الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام: «**فعليكم بسنتي**» بعد أن ذكر الفتن في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «**وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**».

إنه والله عدم تقوى لله إن إنسان لا ينكر منكرًا بسبب طمع في شيء من الدنيا ويعمل في تلك الأعمال المحرمة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣) ومسلم(١٤٤٣) كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم(١٤٤٣) عن جذامة بنت وهب رضي الله عنها .

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٣٩) ومسلم (٣٥٤٤) عن أبي سعيد رضي الله عنه .

نعم أخي اتق الله.. رسول الله ﷺ عندما سئل من أكرم الناس؟ قال أتقاهم[١].

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

فإنك إن اتقيت الله رزقك من حيث لا تحتسب وأكرمك وأعزك وبوسيلة المال جمع حطام الدنيا كما قال رسول الله ﷺ ما من فتنة أضر على الناس من الدنيا أو كما قال ﷺ وهذا إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون أي جعلكم خلفاء أولادًا يخلفون آبائهم فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء[٢] أقول قولي هذا.

وأسأل الله أن يمن علينا بطاعته.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٣) ومسلم.

(٢) أخرجه مسلم (٣٧٤٣) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

التواضع

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؛ أيها الناس يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

هذه الآية عظيمة جدًا وكل كتاب الله عظيم قال الله تقدس اسمه: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

إذا اجتمع في أحد من عباد الله هاتان الصفتان أنه لا يريد علوًا في الأرض وإن مكنه الله لا يريد من وراء ذلك فسادًا وإنما يريد من وراء ذلك نصرة دين الله فإن العاقبة له، ويقول جل في علاه مبينًا بعد أن أخبر في هذه السورة العظيمة وفي هذه الآية المباركة أن الدار الآخرة هي لهذا الصنف، وقد جعلها الله عز وجل لهذا الصنف الذي لا يريد علوًا في الأرض ولا فسادً وإنما همه التواضع لله جل جلاله وقصد الإصلاح بين الناس وانتشالهم من الفساد لا يريد فسادًا ولا يبغي عوجًا، ولا يرضى بضلال، ولا بما حرم الله، ولا ما كره تبارك اسمه وتعالى جده وهذا من أسباب محبة الله للعبد لمن وفقه لذلك رب العزة والجلال قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ

عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

غفل كثير من الناس جدًا وغفلت القلوب كثيرًا عن مسألة وشعيرة من شعائر هذا الدين أفلح بها سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام وسائر الأنبياء والمرسلين.

وهي مسألة التواضع لله عز وجل بداية من إقامة توحيده، والخضوع له، والانكسار بين يديه، فقد كان عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، ويقول: «**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا**».

ويجلس عليه الصلاة والسلام على الطعام، ويقول بعض الناس: ما هذه الجلسة؟ فيقول: «**إن الله جعلني عبدًا شكورًا ولم يجعلني جبارًا عنيدًا، إنما أنا عبدٌ آكل مما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد**». رفعه الله سبحانه.. ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

الله اختاره واجتباه بهذه الصفات الحميدة العظيمة جدًا، صفات التواضع لله سبحانه وتعالى، وأنه لا يشرك في حكمه أحدًا، وأنه لا يشرك في ألوهيته، ولا ربوبيته، ولا أسمائه وصفاته، أحدًا تواضعًا لله وذلًّا لله واتباعًا لشرع الله قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

تأتي الجارية من جواريه أو الصبية تأخذ بيده فتمشي به في سكك

المدينة!

يمر على الصبيان فيسلم عليهم كما في حديث أنس رضي الله عنه قال أنس: وكان رسول الله يفعله. أي: يسلم على الصبيان يمر على الصبي الحزين المتألم الحزين على بعض ألاعيبه من الطيور فيقول: «**يا أبا عمير ما فعل النغير؟**». يسليه في مصيبته تلك فإن ذلك الصبي يعتبر تلك مصيبة في حقه أن مات طيره.

يكون في داخل بيته في خدمة أهله في شأن أهله سُئلت عائشة رضي الله عنها: ما يكون النبي صلى الله عليه وسلم فيه عندما يكون في البيت؟ قالت: يكون في حاجة أهله في شأن أهله يخصف نعله ويحلب شاته وإذا خرج جبنت منه فارس والروم.. وعند الكفار عزيز وعند المساكين والضعفاء وأهل بيته والمؤمنين يخفض الجناح ويظنه الظان أنه مسكين أعني في ذلك ليس له شأن ولكن الكفار يفرقون منه على مسافة شهر .

عزة الله توحيد الله دين الله رفعة الله عز وجل.. «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**»، وقال صلى الله عليه وسلم: «**وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم**».

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:٢٦].

هو الذي أذل الكافرين وهو الذي أعز نبيه صلى الله عليه وسلم وسائر المؤمنين لا

لأنهم أعزوا أنفسهم لا والله إنما أعزوها وأكرموها بطاعة الله وذلك كله بتوفيق الله تقدس اسمه قال الله جل في علاه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٢١].

لكن كل ذلك بفضل الله ورحمته فمن زكى فبرحمة الله ومن هدي فبرحمة الله ومن حسن خلقه فبرحمة الله ومن كل من أعطى شيئًا من أمور الدنيا والآخرة من مرضات الله من فبرحمة الله قال الله جل جلاله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

قال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠].

عباد الله: إن هذه شعيرة عظيمة فرط فيها كثير من الناس جدًا شعيرة التواضع لله التي هي من أعظم شعائر الدين ومن أسباب رفعة المؤمنين فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**».

أنت ما نزلت إن تواضعت لله أنت ما سقطت أبدًا إن تواضعت لله

فربنا رب العزة والجلال ينزل وحيًا على نبيه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨].

وفي خفض الجناح للمؤمنين خاصة من الوالدين قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا * وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

هذا الذي أردنا من الآية خفض الجناح للخاصة والعامة من المؤمنين المستقيمين خفض الجناح كما قال الله عز وجل.

إنك شاب وربما تكون في عنفوان الشباب أو في الكهولة وذلك قد صار هرمًا شيخًا كبيرًا ضعيف القُوىٰ وربما يكون أيضًا قد حصل له شيء من الاختلاط ولا يميز بين الكلام ويتكلم مع هذا ويتكلم مع هذا لا ترضاه أنت لأنك تفهم ربما وهو قد صار إلىٰ أرذل العمر وهكذا بحاجة إلىٰ عنايتك ورعايتك وإلىٰ إحسانك ورحمتك به وأنت ذلك الذي تسعىٰ وتأتي وتكد قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق:٦-٧].

فترىٰ في تلك الحالة أن ذلك الأب الضعيف المسكين أو تلك الأم الهرمة أنت أرفع منهما هذه إهانة من الله لك إن كان الحال علىٰ ما أنت عليه

وأنت تحتقر ذلك المسكين ذلك الشيبة الهرم تلك الأم الضعيفة التي كانت في غاية من التواضع معك وتغسل الأذى عنك وأنت بين يديها ضعيفًا وبعد حين تبرز عليها ضخامتك نعم هذه هي الإهانة قال الله تقدس اسمه: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسراء:٢٤].

إياك إياك أن تحتقر نعمة الله عليك فإن كل نعمة بك يجب أن تعرف أنها من رب العالمين وما بكم من نعمة فمن الله من الذي أعطاك هذا الخير؟ حتى تتبجح به؟

أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «**كل بيمينك**» قال: لا أستطيع. ما منعه إلا الكبر. قال: «**لا استطعت**» فما رفعها إلى فيه.

الكبر وعدم التواضع عقابه في الدنيا قبل الآخرة.. «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**».

عدم التواضع يصدر منه البغي عدم التواضع يصدر منه الفخر والخيلاء قال الله جل في علاه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان:١٧].

هذه الأمور كلها من الشدة والقوة وليست من الضعف أقم الصلاة وَأۡمُرۡ بالمعروف ولو كان مرًا فإنها من القوة وليست من الضعف واصبر على ما أصابك في أثناء تلك الأمور ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨].

أنت في هذا الحال تعرض نفسك لغضب الله وتعرض نفسك لعدم محبة الله إن لم تتواضع لله جل جلاله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ﴾ في مشيته يختال في صوته يختال في لبسه يختال في كلامه كل هذا أنت بحاجة إلى التواضع فيه.

«أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة المتفيقهون المتشدقون».

كل هذا لا يصدر إلا عن الكبر يتكلف في الكلام ويتشدق في الكلام من أجل أن يتطاول على الغير ألا تسمعون أن «**البذاذة من الإيمان**» كل هذا حث من النبي ﷺ على التواضع في الملبس.

يحث النبي ﷺ على التواضع في المشي كما قال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨]لا تكن فرحًا بطرًا بل كن على ما أنت عليه أنت مسكين أنت ضعيف قال الله رب العزة والجلال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

فوالله لو تركت ربك طرفة عين لهلكت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ * إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [فاطر:١٥-١٦].

وقال الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء:٣٧].

وقارون أهانه الله لعدم التواضع: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ * وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٧٦ـ٧٧].

فهذه نصائح من الله توجيهات من الله مواعظ من الله لقارون وما استفاد منها وما زال يخرج على قومه في غطرسته ويبغي غليهم قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، واستدرجه الله بالدنيا ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦].

استدراجات من الله وإهانه الله وخسف به الأرض: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [القصص:٨١ـ٨٢].

ثم قال الله عز وجل بعد ذلك: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره.. أما بعد:

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بل في الصحيحين من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه -وجاء أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن أهل الجنة قال: «**كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره**»، وعن أهل النار فقال: «**كل عتل جواظ مستكبر كل عتل جواظ مستكبر**».

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**اختصمت الجنة والنار فقالت النار: في الجبارون والمتكبرون. وقالت الجنة: في ضعفاء الناس ومساكينهم. فقضى الله بينهما: أنت الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء وأنت النار عذابي أعذب بك من أشاء**» من لا يرضى أن يكون من أهل الجنة بالتواضع لله سبحانه إلا من سفه نفسه.. من الذي لا يرضى أن يكون من أهل الجنة محبوبًا عند الله؟!

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**إن الله يحب العبد التقي الخفي الغني**».

تقي خفي متواضع غني عن الناس ليس له حاجة إلى ما في أيديهم ليس له حاجة أغناه الله تبارك وتعالى وسدد حاله هذا من توفيق الله وهذه من أسباب محبة الله تقدس اسمه.

عباد الله: إن هذه الصفات من شعائر الدين وهي عظيمة جد عظيمة.

رسول الله ﷺ كان في غاية من الحرص عليها يأتيه الإعرابي ويسأله ويشدد عليه في المسألة فيعفو عنه وربما أغلظ له القول فيعفو رسول الله ﷺ يأخذ السيف ويريد أن يقتل رسول الله ﷺ ويدافع الله عنه ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] فيقوم ويأخذ السيف ويقول: «**من يمنعك مني**» فيقول: كن خير آخذ يا محمد فيتركه رسول الله ﷺ.

نعم ويعفو عنه بعد أن أساء إليه ذلك الإعرابي قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «**ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: (أف) ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء تركته: ألا فعلت كذا؟**».

من تواضع النبي ﷺ ما عاب طعامًا قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه وليس المقصود إلا عيب الطعام والقدح في الطعام والغطرسة والكبرياء، وأما إذا كان يحب أن يصلح فيه شيء من النوع فليس هذا من الكبر.. «**الكبر: غمط الناس وبطر الحق**».

ما عاب طعامًا قط.. ويطلب الطعام فيأتونه بالأدم فيأكل ويقول: «**نعم**

الأدم الخل نعم الأدم الخل».

والكفار من يهود ونصارى يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ** ﴾ [محمد:١٢].

إن الدنيا ميزة والمال والجاه في الدنيا أعني بذلك إذا كان لحاجة الدنيا ليست ميزة إي والله إنما الميزة طاعة الله .

عباد الله إن مسألة التواضع يعرف فيها الكبير حق الصغير من حيث الرحمة ومن حيث الرفق والرعاية ومن حيث معرفة حق الجاهل فرسول الله ﷺ يأتيه الأعرابي فيقف عنده ويقول رجل جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه وهو يخطب على المنبر على قول.. فسأله.. وبعضهم يقول في غير خطبة الجمعة فينزل ويجعل له كرسيًّا ويعلم ذلك الجاهل حتى يعلم أنه قد فقِه شيئًا من الدين ثم يصعد ويكمل خطبته، والحديث في صحيح مسلم حديث أبي رفاعة.

وهكذا رسول الله ﷺ شأنه معروف في تلك الأحوال جميعًا في مسائل طعامه وشرابه ولباسه وحياته كلها.

الاتباع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في التواضع من أسباب رفعة الله للعبد ليس من أسباب النزول والسقوط فإن هذه همة الجبارين وهل أهلكهم الله إلا بذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى

أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴾ [الكهف:٥٩].

أهلكهم الله عز وجل بعدم التواضع في دين الله لكتاب الله وسنة رسول الله لأهل العلم الصادقين الناصحين كذلك أيضًا بعدم التواضع الكبير لا يعرف حق الصغير والرحمة به والصغير لا يعرف قدر الكبير والنبي ﷺ يقول: «**ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا أو منزلة كبيرنا**» ليس منا هذا هو التواضع أنك ما تعرف ذلك لا أنه التعالي والتنازع قال الله جل جلاله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٦].

يحب الله الصابرين فإن هذا ليس من التواضع ألبتة أن الإنسان لا يعرف حق المستقيم لله رب العزة والجلال.

نسأل الله السداد والتوفيق لما يحبه ويرضاه.

والحمد لله.

اتباع الهوى

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله عز وجل في كتابه الكريم﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣].

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مبينًا أنه عز وجل قد ابتلى العباد واختبرهم فمنهم شاكر ومنهم غير ذلك وأبان أن أممًا قد هلكوا بعدم أخذ الحق قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧].

أبان الله عز وجل أن رسل الله قتلوا من طريق الهوى وأن بني إسرائيل حين خالفوا رسل الله أهوائهم حين خالفوا أهوائهم عصوا واستكبروا استكبارًا وهكذا يقول الله سبحانه وتعالى مبلينًا أنهم هلكوا من هذا الباب وأعماهم وأصمهم باب الهوى أعماهم وأصمهم كما قال الله الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد:١٦].

بنو إسرائيل طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوائهم وقال الله تبارك

وتعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٤٥].

ما بقي عند بني إسرائيل إلا الهوى فحذر الله نبيه ﷺ وهكذا أيضًا اتباع طريقة المشركين سواء كانوا من بني إسرائيل أو من غير بني إسرائيل قال الله سبحانه: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۞ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة:٧٠-٧١].

سبحان الله الهوى يعمي ويصم بنص هذه الآية..

أيها الناس إن الله جل في علاه قد أبان في كتابه مضار الهوى وقال لنبي من أنبياءه: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص:٢٦].

داود نبي من أنبياء الله لكن حذره الله بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص:٢٦].

الحذر من الهوى فإن الهوى يضل وإن الهوى يعمي ويصم وربنا الله

جل جلاله في كتابه الكريم مبينًا أضرار الهوى، وأنه سبب الردى الله تبارك اسمه وتعالى جده: : : ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه:١٥-١٦].. يصيبك الردى بمخالفة الأولياء وبمجالسة أهل الريب والشك ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه:١٦]ويقول منزهًا نبيه: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم:١-٣]لا شك أن كلامه يكون فيه غير الحق هوى ورسول الله ﷺ منزه عن ذلك وقال الله رب العزة والجلال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:١-٣].

بعد تلك الآيات قال: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

فالمشركون كفار ما انتفعوا بتلك الآيات كلها بسبب الهوى ما انتفعوا أبدًا يا عباد الله إن الهوى سبب السقوط يقول الله:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ

مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ * مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٨].

عباد الله: إنه من أعرض عن الاستجابة لرسول الله ﷺ فما معه إلا الهوى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠]، وقال عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية:٢٣].

لا أحد يستطيع أن أن يهدي هذا الصنف أبدًا والله صاحب الهوى صاحب الهوى صاحب الهوى صاحب ردى كما أبان الله في كتابه.

والله قد أمرنا بمجانبة الهوى، فقال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الشورى:١٥].

﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة:٤٩] أتتبع هذه الأمة سبيل من سبق من الكفار والمشركين من أتباع الهوى من غير حجة من الله ومن غير برهان من الله وبغير سلطان من الله فإن ذلك مذموم قد

كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله منه كما من حديث عقبة بن مالك كان يقول ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء**» هذه الأمور يستعيذ منها رسول الله ﷺ وهذه أيضا خافها رسول الله ﷺ علينا خافها علينا، فقد روى ابن أبي عاصم وأحمد في مسنده من حديث أبي برزه الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن مما أخاف غليكم من بعدي بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء**» هذه الثلاث الخصال خافها علينا رسول الله ﷺ وهي والله سبب الهلاك.. «**ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه**».

مثل ذلك الحديث تمامًا وأن هذا من أسباب الهلكة وهذا الذي خافه علينا رسول الله ﷺ البطون والفروج ومضلات الأهواء.

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما يرادف ذلك عن النبي ﷺ قال: «**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، العينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والأذنان تزنيان وزناهما الاستماع، والنفس تهوى وتتمنى والقلب يصدق ذلك أو يكذبه**».

الحذر.. الحذر.. من مضلات الأهواء والحذر من مزلات الفروج والبطون وكم من إنسان أو أناس سقطوا في هذه الزلات من البطون والفروج عدم الصبر على الفقر وعدم الصبر كذلك على هذه الأمور فلنتق الله عباد الله، ولنكن على حذر ما كان سببًا في هلاك تلك الأمم

يقول الله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف:٢٨].

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ * أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ * تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ * إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٣].

انظر كيف ذم الله المشركين عن طريقتهم التي كانوا عليها من مخالفة الحق أنهم ما معهم إلا اتباع الهوى ولقد جاءهم من ربهم الهدى ومع ذلك الهوى يعمي ويصم فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه من حديث حذيفة رضي الله عنه أنه قال:

«تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين: أبيض مثل الصفاء لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه» أعوذ بالله من الهوى إنه يعمي ويصم حتى عن الحق لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا من أشرب من هواه.

خلاص ما دخل في الذهن هو الحق وما لم يدخل في الذهن وخالف

الذهن وما لم يشربه الهوى ما هو حق عنده أيًا كان.

نسأل الله السلامة والعافية.

فيقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم لنبيه الكريم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨-١٩].

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٤-٧٥].

ففي هاتين الآيتين من كتاب الله عز وجل تحذير لنبيه لأجل خلقه عن هذه الطريقة وثبتت له على ما هو عليه من الدعوة والاستقامة والخير وقد ذكر الله سبحانه جملة من الأنبياء في سورة الأنعام وأخبر لو أنهم خالفوا الحق إلى غيره لحبط عملهم وقال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

الشرك والبدع والخرافات والضلالات ومطامع النفس الأمارة بالسوء ذلك أيضًا من مضلات الفتن وكل ذلك من الهوى فخالف هواك -أيها الإنسان- خالف هواك فإن الهوى يجر النفوس إلى المعايب ويجر النفوس إلى المثالب ويجر النفوس إلى التمرد عن الحق وإلى الكبر وإلى كل مذمة وإلى كل

مثلبة.

والله! إن هذه الآيات المبينة لما تقدم ذكره.

وفي حديث نعيم رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**»، وفي زيادة أخرى: قالوا: من هي يا رسول الله؟! قال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي، ألا إنها ستكون في هذه الأمة أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يدع عرقًا ولا مفصلًا إلا دخله**».

هذا هو شاهدنا من الحديث.

ومن حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ما أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصادق المصدوق أن هذه الأمة سيكون فيهم من هو صاحب هوى يجرفه الهوى يقيمه الهوى يقعده الهوى لا عن طريق الدليل والحق وما يحصل في الساحة من أهل الأهواء، وتلك الفرق الضالة كل ذلك قد دل عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين.. وبعد:

قال الله عز وجل﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [القصص:٥٠]. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس:٣٢].

ما معهم إلا الهوى.

القناعة.. القناعة.. عباد الله بهذه الطريق الذي عليه أنتم والذي عليه سلفنا الصالح من قبلنا والذي عليه أصحاب رسول الله ﷺ ويشملهم كله السلف.

فوالله! ما رغبوا عن هذا الطريق لغيره وما رغبوا عن هذه المسالك لسواه ولا رغبوا عن هذا الهوى إلى غيره من مطامع ولا من دنيا ولا كذلك من شبهات ولا شهوات ولكن -يا عباد الله- إنه لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم فلا يأتي عام إلا وانتقلت الأهواء كالسيل المنهمر على الناس فيسقط أناس بعد ناس في تلك الأهواء معرضين عن الحق إما بشبهة أو شهوة ولا حول ولا قوة إلا بالله وربنا الله تقدس اسمه يقول في كتابه الكريم: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا

يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر:٨].

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية:٢١-٢٢].

يقول الله جل جلاله﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف:٦].

يقول الله تبارك اسمه وتعالى جده﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد:٣٨].

يقول الله رب العزة والجلال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر:١٥-١٦].

استحضر في ذهنك دائما أنك تلقى الله عز وجل بمفردك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل:١١١].

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:٣٠].

يقول الله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا*وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩-١٠]أفلح من زكاها بتقوى الله وخاب من دساها بالمعاصي والبدع والضلالات والمطامع الدنيوية قال الله تبارك وتعالى﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ

وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء:٧٧].

قال الله تقدس اسمه: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس:٣٧].

يقول الله جل في علاه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ * إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان:٣٣-٣٤].

ما يدريك ما بينك وبين الجنة والنار إلا أن تموت وما تدري متى تموت فأنت في سفر وأنت قادم على أمور عظام لا ينفعك فيها -والله- إلا التزود من الأعمال الصالحة ألا فلنتقِ الله جميعًا فيما نقول وفيما نعمل وفيما نذر.

نعم.. وهكذا عباد الله في أبنائنا وأهلينا وفي أنفسنا تعليمًا ومعتقدًا ودعوة وصبرًا وثباتًا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال الله جل جلاله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

بر الوالدين

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس يقول الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

يقول رب العزة والجلال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

عبادة الله عز وجل من أجلها خلق العباد ومن عبادة الله ومن أجل عبادة الله عز وجل ما أمر الله عز وجل في كتابه الكريم به كقوله سبحانه وتعالى قارنًا ذلك بتوحيده: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

قد أمر الله عز وجل بذلك وقرن حقه بحق الوالدين بل إن الله قضى به قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقضى ربك أيضًا بإحسان الوالدين فقضى بهذا وقضى بهذا كله قضاءه الله عز وجل فمن ترك أحد القضاءين والأمرين ببر والديه فإنه لا يزال عاصيًا لرب العالمين عز وجل.

أيها الناس: إن أمر بر الوالدين أمر مهم جدًا وصى الله تبارك وتعالى في كتابه فقال عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف:١٥]هذه وصية الله لك أيها العبد فاقبل وصية الله سبحانه فإن الله ما أوصاك إلا بما هو خير لك وأنفع لك قال الله تقدس اسمه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨].

لِمَ أبان مضمون هذه الوصية ومن أجل ماذا هذه الوصية؟ فقال الله جل في علاه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [الأحقاف:١٥].

فقد أبان الله عز وجل أن هذه الوصية التي أوصى بها هي بعض المكافأة للوالدين وليست كل المكافأة فقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلا كان يطوف بأمه على ظهره فوجد ابن عمر رضي الله عنه فقال: أتراني كافأتها؟ قال: (لا ولا بزفرة) بزفرة واحدة ما كافأها بطوافه بها على ظهره، فعسى أن تؤدي ببرك بوالديك بعض حقها فقط وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه**».

إن حق الوالدين عظيم على سائر عباد الله لذلك أمر الله وأخذ ميثاق بني إسرائيل.

عطاءً وإطعامًا أو كسوةً للوالدين كسوة إحسانًا شاملًا لسائر الخيرات ودفع المضرات عن الوالدين، وإكرامًا من طعام وكسوة وحفاوةً ونصحًا وتوجيهًا وذلًّا قال الله جل جلاله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤].

إن من عصىٰ والده لم يشكر المعروف لم يكافئ المعروف بذلك الحمل وبتلك العناية وبذلك الصبر وبتلك التربية وبذلك الكد والإطعام.

إنه كافر بالمعروف وجاحد للمعروف وإنه لم يشكر الله؛ قال النبي ﷺ: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**».

لا يوفق لشكر الله عز وجل وإن من أعظم ما يستحق الشكر هو الوالد قال الله تبارك اسمه وتعالىٰ جده: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤].

من حق الله رب العزة والجلال عليك حق الوالدين، ومن أعظم القربات أنه أقدم وأوجب من الجهاد في سبيل الله وضرب أعناق الكفار ففي الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رجلًا أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! جئتك لأبايعك علىٰ الهجرة والجهاد في سبيل الله ابتغي الأجر من الله. فقال: «**أحي والداك؟!**»، قال: نعم، بل كلاهما. فقال: «**ففيهما فجاهد**»، وفي رواية: «**ارجع إليهما وأحسن صحبتهما**».

أمره رسول الله ﷺ أن يرجع إلىٰ والديه وأن يحسن صحبهما، وهذا

أنفع له وأصلح له من الجهاد في سبيل الله.

ما عرف هذا الخير بعض الناس ما عرف هذا الخير لربما تكون أمه بين يديه لا يعرف لها قدرًا ولا يحدث لها شكرًا، وقد يتعالى عليها ويتغطرس عليها، وهي تلك العجوز الضعيفة، إي والله! وقد قال النبي ﷺ كما في حديث أبي مالك رضي الله عنه قال: «**بعدًا لمن أدرك أبويه أحدهما أو كلاهما عند الكبر فأبعده الله أدرك أبويه عند الكبر ثم دخل النار بعد ذلك فأبعده الله وأسحقه**».

سبحان الله على دعاء عظيم يدعوا عليه رسول الله ﷺ بالبعد ويدعوا عليه بالسُّحق؛ لأنه أدرك أبويه أو أحد أبويه في حال الكبر أدرك أحد أبويه وبعد ذلك دخل النار يدخل النار بعد أن أكرمه الله بأحد أبويه حتى لا يدخل الجنة قاطع ومن أعظم القطيعة حق الوالدين.

وقد كان رسول الله ﷺ على المنبر يصعد درجة فيقول: «آمين.. آمين.. آمين»، قال: «**أتاني جبريل فقال: بَعُدَ من أدرك أبويه أحدهما أو كلاهما ولم يغفر له. فقلت: آمين. ثم قال: بَعُدَ من أدرك رمضان ولم يغفر له. ثم قال: بَعُدَ من ذكرت عنده ولم يصل عليك. قلت: آمين**».

بعيد بل شقي تعس من أدرك أبويه أو أحدهما ولم يغفر له ودخل بعد ذلك النار يا هول مصيبة العصاة لآبائهم وأمهاتهم.

يحيى عليه الصلاة والسلام يقول له ربه سبحانه: ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا *

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم:١٢-١٤].

أنت تنظر أن الله قد أبان قيل للمعصية للوالدين بالجبارة: ﴿ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم:١٤].

إنه لا يعق والديه إلا جبار قد عرف الله منه الجبروت فابتلاه بمعصية والديه، وهكذا عيسى عليه الصلاة والسلام قال يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم:٣٠-٣٢].

تسقيك من ثدييها وتغسل عنك الأذى وتسهر لنومك وتتعب وتحزن من أجل أن تستريح ثم تتعالى وتكفر هذا المعروف؟!

بر الوالدين طاعة لله سبحانه وتعالى وتفرج بها الكربات ففي الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما ثلاثة نفر يسيرون أواهم المبيت إلى غار فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار قالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الكربة أو من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال أحدهم: اللهم! كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا فنأى بي يومًا طلب الشجر فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدهما نائمين فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما فبرق الفجر، اللهم! إن كنت**

فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه قال: فانفرجت الصخرة» وهذا وهكذا كل واحد منهم يذكر ما تقرب به إلى الله عز وجل.

هذه القربة عظيمة قربة بر الوالدين تفرج بها الكربات، وثبت أن أويس القرني رضي الله عنه -من مراد أي من بلاد اليمن- كان به برص فبرئ منه، وكان بارًّا بأمه لذلك أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمر أن يطلب منه أن يستغفر له قال: «**يقدم عليكم سيد التابعين أويس القرني من مراد ثم من قرن به برص فبرأ منه إلا موضع الدرهم له أم هو بها بار إذا وجدته يا عمر فاطلب منه أن يستغفر لك**».

عمر أمير المؤمنين يفرق منه الشيطان خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطلب الاستغفار من سيد التابعين لهاتين المنقبتين بأن الله ابتلاه وشفاه صبر على ذلك فشفي ولأنه بار بأمه.

قد ذكروا رواية عمر بن الخطاب عن أويس القرني لهذه المنقبة من رواية الصحابة عن التابعين فيما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في نزهة السامعين وهكذا حارثة بن النعمان وهو يقرأ القرآن في الجنة سمعه يترنم بالقرآن يتلوه في الجنة وهو حيٌّ ما زال حيًا حارثة.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**ذلكم البر ذلكم البر قال وكان بارًا بأمه**». حارثة كان بارًا بأمه لهذا سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم صوته بالقرآن يقرأ في الجنة وهو ما يزال حيًّا بسبب بر الوالدين.

بر الوالدين من هدي الأنبياء فنبي الله صلى الله عليه وآله وسلم زار قبر أمه ثم بكى

وأبكى. فقالوا: يا رسول الله! مالك؟! قال: «**استأذنت ربي في أن استغفر لأمي فلم يأذن لي فاستأذنت ربي في أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**».

زار قبر أمه وبكى عند قبر أمه شفقة عليها إذ ماتت على غير الإسلام حتى ولو كافرًا ما يجوز لك الإساءة إليه، وإنما الحكم الشرعي في ذلك قال الله عز وجل﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾ [لقمان:١٥].

نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أثنى الله عليه إذ يخاطب أباه بذلك الخطاب العظيم وذلك الرفق الرحيم بأب كافر بـ(آزر).

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا * قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾ [مريم:٤٢-٤٧].

قد نهاه ربه عن الاستغفار له ولو لم ينهه عن الاستغفار له لبقي مستغفرًا لأبيه قال الله تقدس اسمه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ

حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

ولتعلم شفقة الوالد ورحمة الوالد تأمل ما حصل ليوسف اشدد حزن والده عليه غاية الاشتداد حتى قالوا قال الله جل في علاه: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٨٦].

اشتد حزن نبي الله على يوسف وكان يوسف أيضًا من أبر الناس بآبائه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠].

مع هذا كله ومقابلة ما حصل له من إخوانه يقابله بالسماحة وبالعفو وأن ذلك وكل ذلك من نزغات الشيطان ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ﴾.

مكر وتدبير وحسد من إخوانه له وكل ذلك يقابلها بسماحة إكرامًا لأبويه والعاقبة للتقوى.

أكرم الله يوسف وأعز الله يوسف عليه الصلاة والسلام: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قالوا: بلى. قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان**

متكئًا فجلس فقال ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» حتى قالوا ليته يسكت وهو يكرر ذلك بيانًا لحقوق الوالدين وبيانًا أيضًا لما يحصل من الناس من تعاطي الزور ومن شهادة الزور من قول وشهادة فليتق الله امرءٌ في نفسه وليعلم ما يقدم لأبويه من الخير ومن الإحسان فإنه والله يحسن إلى نفسه من أحسن إلى والديه إلى نفسه وقد علم ورأى رأي العين كانوا أبرارًا بآبائهم فيسر الله لهم أبناءً أبرارًا بهم وعلى العكس من ذلك الجزاء من جنس العمل وذكر بعض المصنفين أن بعض الناس كان يضرب أباه ويسحبه إلى الباب فسهل الله له بولد عاق نكد كان يضربه ويهينه ويسحبه إلى الشارع فيقول له: يا بني ما كنت أسحب أبي إلا إلى الباب قال هذه بتلك وهذه زيادة.

الجزاء من جنس العمل.. اتق الله في نفسك.. واتق الله في موقفك يوم القيامة إذ تأتي يوم القيامة كافرًا بهذه النعمة من النعم العظام عليك أن الله جعلك تدرك والديك أو أحد والديك.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.. أما بعد:

ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سُئل أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**الصلاة على وقتها قيل ثم أي قال بر الوالدين قيل ثم أي قال الجهاد في سبيل الله**».

فبر الوالدين أحب إلى الله عز وجل من الجهاد في سبيل الله الذي ما عنده بر يخشى عليه أن يمسخ.

إن أعظم ما تتقرب به إليه بدأ ونهاية هو التواضع والتذلل والإكرام والإحسان إلى الوالدين، إن الله قرن حق الوالدين بحقه مباشرة قال الله جل جلاله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

وسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله؟ قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من؟قال أمك قال ثم من قال أبوك.

فهؤلاء هم أحق الناس بحسن الصحبة والمعروف وهكذا نبي الله ﷺ لايزال يبين في حقوق الوالدين أيما تبيين حتى وإن كانت كافرة قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها : قدمت أمي وهي راغبة أفأصل أمي قال «**صلي أمك**» وهي كافرة صليها فرب صلة إليها وإحسان إليها يكرمك الله به.

من أعظم صلة الرحم بر الوالدين لهو من أسباب طول العمر.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه.

تعرفون رحمًا أقرب من الوالدين ما هناك رحم أقرب منهما.

الرحم معلقة بالعرش تقول هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال رسول الله ﷺ يقول الله «أما ترضين أن أصل من وصلك وأن أقطع من قطعكِ».

وإن من أعظم ما يستحق القطيعة ـ إلا أن يعفو الله عنه ـ هو عاق والديه.

وثبت من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خيري الدنيا والآخرة. وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يزيدان في الأعمار ويعمران الديار.

ومن أعظم صلة الرحم صلة الوالدين والإحسان إلى الوالدين الذي أمر الله تبارك اسمه وتعالى جده به إن هذا هدي المرسلين وأثنى الله رب

العزة والجلال عليهم به بهذا وبأمثاله من البر.

لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق كيف ببر الوالدين الذي هو مقرون بتوحيد الله سبحانه وتعالى.

الحرص عباد الله بر الوالدين فإننا في أزمنة فيها التعالي والتطاول والتكبر على الوالدين لا سيما عند الكبر، إن الوالد في حال قوته لا تجوز معصيته ومن باب أولى في حال ضعفه وشيخوخته ولهذا قال: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء:٢٣].

وذلك أنه في حال القوة قد يؤدبك وقد يخرجك ولا يبالي وقد يحصل لك منه ما لا ترضى ومع ذلك يتألم ويتحسر ويحزن على ما يحصل ولكنه لا يرضى بما يحصل منك لما يعرف له من الحقوق عليك لم تؤدها وإلا فما هناك واحد يطرد ولده أو يضرب ولده أو يهين ولده أو يدعو على ولده وهو راض عنه أبدًا.

ما في أحد يكون منه ذلك إنما يحصل منه دعاء ولا ينبغي ذلك أو ضرب أو طرد أو إهانة أو غير ذلك بعد ما يحصل في قلبه من الضيق والحرج الذي لا يعلمه إلا الله فليتق الله امرءٌ في نفسه من تضييقه على أبيه إن أذية مسلم من المسلمين لا تجوز فكيف بأذية الوالدين الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم فكيف بأذية الأب أو بأذية الأم اللذين قد أمر الله لهما بأجل الإكرام والإحسان.. نسأل الله التوفيق لما يحبه الله ويرضاه.

آداب قيام الليل

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ * ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران:١٤-١٧].

إن الله أعد لهم تلك الجنات أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ويقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٥-١٦].

تجافت جنوبهم لدعاء الله تبارك وتعالى خوفًا مما عنده وطمعًا فيما عنده خوفًا من بطشه وغضبه ونقمته وعذابه وطمعًا في مرضاته ورحمته أعده الله للمتقين وكان كذلك رسول الله ﷺ وابن رواحة رضي الله عنه يقول.

يبيت يجافي جنبه عن فراشه   إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

هكذا ﷺ والله تقدس اسمه قد أعد جنات لهذه الأصناف فقال الله جل في علاه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ* وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٥-١٩].

ووصفهم بأنهم من أصناف المحسنين الذين يكونون في ذلك الوقت من المستغفرين في تلك الأسحار، إن من أراد الله رفع شأنه هيأ له هذه العبادة العظيمة ألا وهي قيام الليل فربنا الله جل جلاله لما أمر نبيه أو لما ابتعث نبيه ﷺ وعرف بأنه سيجابه أمة من الكفار أرشده الله تبارك اسمه وتعالى جده إلى قيام الليل ليستعين به على طاعة الله قال الله رب العزة والجلال﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ*قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا *أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:١-٥].

يا محمد! إنا سنلقي عليك قولًا ثقيلًا قول وهو القرآن ثقيل في العمل به ثقيل في تبليغه ثقيل في حفظه ثقيل كذلك أيضًا في نزوله على رسول الله ﷺ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا*إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل:٥-٦].

قال ابن عباس رضي الله عنه: أشد وطئًا على القلوب وثباتًا فيه وأقوم قيلًا فأرشده ربه عز وجل للقيام بتلك المهمات الكثيرة الشديدة أنه يقوم من الليل ليكون ذلك سببًا لعونه سواءً في تبليغ الدعوة أو في الصبر على الكفار

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ * وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٧-٩٩].

إن من أراد الله رفع شأنه هيأه لهذه العبادة، ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]. وقد كان ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه حتى وتتشقق فتقول عائشة رضي الله عنها: لِمَ تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيقول: «**ألا أكون عبدًا شكورًا**».

والحديث في الصحيحين وهكذا رسول الله ﷺ يحث أصحابه ويحث جميع المسلمين على هذه الشعيرة العظيمة وعلى هذه المكرمة الكريمة فقد دخل على علي وفاطمة رضي الله عنهما ليلًا طرقهما ليلًا وقال ألا تصليان فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله أرواحنا بيد الله معناه أنه لم يستيقظ فذهب رسول الله ﷺ وهو يضرب فخذه ويقول: «**وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا.. وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا**».

يعني أنه لما أنكر على علي هذا القول.

عباد الله وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال رأيت في المنام أن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار ورأيت فيها أناسًا أعرفهم قال فقال لي ملك منهم أو قال ملك لن تراع فقصصت ذلك على حفصة

رضي الله عنها فقصت هذا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال نِعم الرجل عبدالله لو كان يقوم الليل فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلًا وحث بهذا أيضًا عبد الله بن عمرو بن العاص ذلك العابد فقال يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل فما ترك عبد الله قيام الليل أو كان لا ينام إلا قليلًا.

عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو كلاهما.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتنوع حثه في هذا ويتنوع إرشاده إلى هذا الخير فتارة يقول لا تفعل مثل فلان وتارة يقول: نِعم فلان وتارة أيضًا يذم من نام الليل كله.

في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر له رجلًا نام الليل حتى أصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه أو قال في أذنيه.

ماذا يتوقع منه من خير في صبيحته ذلك اليوم إنه صار وصارت جوارحه وصارت أذناه مواطن قاذورات وليس مجرد تلبيسه فقط صارت جوارحه موطن نجاسات الشيطان وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال مبينًا حرب الشيطان لهذه الشعيرة العظيمة ولهذه المكرمة الكريمة قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ وَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ فَإِذَا**

صَلَّى انْحَلَّتْ الْعُقَدُ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كسلان».

إن لم يفعل وبات ونام ولم يقم ولم يذكر الله ولم يستيقظ في ليله لذكر الله عز وجل ولم يصل أصبح خبيث النفس كسلان يصبح جنديًا من جنود الشيطان خبيث النفس كسلان في العمل ليس محبًا لطاعة الله يعينه الشيطان يؤزه ويدفع به إلى المعاصي، الكسلان ما عنده رغبة في الخير وإن كان عنده رغبة قد لا يوفق.

عباد الله ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ رَحِمَ اللهُ امرأة قَامَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ**».

وكل هذا من الحث على هذه العبادة العظيمة وكل هذا من التعاون بين المسلمين لأدائها وللقيام بها كل ذلك لرفع شأن العبد عند الله عز وجل.

عباد الله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [البقرة:٥٧].

إن الظلم قد يتنوع وإن المؤمنين أصناف ثلاثة.. ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [فاطر:٣٢].

فمن الناس من يظلم نفسه بعدم أداء الواجبات ومنهم من لا يسابق إلى الخيرات ومنهم من ينطبق عليه قول الله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي

ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ * وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون:٦١-٦٢].

فهذه العبادة قد كان رسول الله ﷺ مواظبًا عليها عاملًا بها في سفره وحضره فقد ثبت من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن هذا السفر جهد وثقل فإذا أوتر أحدكم فليصل بعده ركعتين فإن قام من الليل وإلا كانتا له.

وثبت من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان في سفر فقام من الليل فقرأ آيات من القرآن ثم جعل يصلي ﷺ وذلك الرجل يرقبه.

ولقد كان رسول الله ﷺ هديه في الشعيرة هديًا عظيمًا يخالف ما عليه كثير من الناس ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود قال صليت مع رسول الله فَأَطَالَ حَتَّىٰ هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ قَالَ قِيلَ وَمَا هَمَمْتَ بِهِ قَالَ هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ وفي رواية ليلة فقام حتى هممت بأمر سوء قيل وما هممت قال هممت أن أجلس وأدعه.

ومن حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قام من الليل وكل ما مر بآية فيها عذاب استعاذ أو رحمة سألها.. الحديث في الصحيحين.

هذه آداب من آداب هذه الشعيرة العظيمة التي أهملها كثير من الناس بل يعتقد بعض الضلال أنها ليست نافعة وكأنهم في حيز والقرآن والسنة في حيز آخر.

عباد الله ثبت عن النبي ﷺ في جامع شيخنا رحمه الله من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قام من الليل أو قالت عائشة حين سألها عبيد بن عمير أن تخبره عن قيام رسول الله ﷺ قالت قام ليله فقال يا عائشة دعني أتعبد لربي فقلت والله يا رسول الله إني لحب قربك وأحب ما يسرك قالت فقام وتوضأ رسول ﷺ، واستفتح وقرآ تلك الآيات: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:١٩٠]، إلى آخر الآيات فجعل يبكي حتى اخضلت لحيته ثم جعل يبكي حتى بل حجره ثم جعل يبكي حتى بل الثرى قال قالت فأتاه بلال يؤذنه لصلاة الصبح فراه يبكي فقالت: يا رسول الله! ما يبكيك؟ قال أفلا أكون عبدًا شكورًا. لقد نزلت عليَّ آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وذكر هذه الآيات هذا أدب رسول الله ﷺ وهديه في تلك الشعيرة.

و قال ﷺ: من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنه إن قال رب اغفر لي غفرت ذنوبه وإن صلى قبلت صلاته الحديث عن عبادة بن الصامت في صحيح البخاري.. فهذا من أسباب استجابة الدعاء.. ومن آداب قيام الليل أنه إذا قام إلى قيام يقول هذا الدعاء ويتفكر في مخلوقات الله تبارك وتعالى كما فعل رسول الله ﷺ.

ومن آدابه ﷺ أنه كان يستفتح في بداية الصلاة بدعاء عظيم ثابت في

الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام من الليل فقال في استفتاحه في صلاة الليل: «**اللهم أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن وأنت نور السموات والأرض ومن فيهن اللهم أنت الحق ووعدك حق وقولك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت**».. الحديث.

هذا دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم في استفتاحه لصلاة الليل بداية وقد ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم أنه كان يستفتح بدعاء آخر فيقول: «**اللهم رب جبريل وميكائيل فاطر السموات..**» الحديث مستقيم.

بعد ذلك يستفتح بركعتين خفيفتين وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الأمر بذلك وهو في صحيح مسلم غير أنه قد انتقد.

عباد الله هذا من هديه صلى الله عليه وآله وسلم في قيام الليل بعد حثه على ذلك ينبغي أن يعلم ذلك الأدب الذي فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن صلى الله عليه وآله وسلم ينقر تلك تلك الصلوات استعجالًا للنظر إلى المفاتن إلى التلفزيون وإلى غير ذلك من المحرمات أوغير ذلك حاشا ولم يكن هذا معهودًا عنده ولا عند أصحابه رضوان الله عليهم بل كان يقوم من الليل فيصلي بإحدى عشرة ركعة كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت تلك صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسجد السجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية ولم يزد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إحدى عشرة ركعة في رمضان ولا في غيره.

وتكون مع الاستفتاح ثلاث عشرة ركعة على ما جاء في حديث ابن

عباس.

يصلي أربعًا لا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعًا لا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثًا.

هذا هديه ﷺ في قيام الليل ومن ذلك الهدي تطويله ﷺ القراءة فيما لا مشقة فيه فقد ثبت من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: أفضل الصلاة طول القنوت أي طول القراءة هذه سنة رسول الله ﷺ والواقع أنه كثير من الناس ليس متحريًا لهديه بل ولا العمل بذلك إلا من رحم الله.

وسميت صلاة التراويح وسميت صلاة التهجد لما فيها من الاستراحة بين الركعات فقد كان يصلي مثنى مثنى يوتر بركعة كما في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر: ألا فليتنافس المتنافسون في ذلك فإن النبي ﷺ يقول كما في الصحيحين من حديث ابن عمر لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأناء النهار ورجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق.

ينبغي أن يعلم أن من أعظم آداب قيام الليل الإخلاص لله جل في علاه ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله بسند ثابت عن النبي ﷺ قال: رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر.

ومن آداب قيام ذلك أنه إن أرهقه أنه يذهب فينام حتى يذهب عنه

شيء من النوم فقد قال ﷺ إذا نعس أحدكم فليرقد فإنه لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه إذا صلى وهو ينعس.

ومن آداب قيام الليل ترتيل كتاب الله عز وجل وعدم الثرثرة به وقد قَالَ النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران».

كل ذلك يكون مأجورًا وينبغي أن يقرأ بما فتح الله عليه من حفظه فإن هذا هدي رسول الله ﷺ وهو أجمع للقلب وفي الصلاة شغل كما قال النبي ﷺ إِنَّ فِي الصَّلَاةِ شُغْلًا.

وهذا أمر ملموس أن يقرأ القراءة بتدبر وأن القراءة بغير مصحف في الصلاة تعين على التدبر وعدم تقليب الأوراق وعدم الشغل في ذلك.

من آداب تلك الشعيرة تدبر آيات الله قال الله جل جلاله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤]، قال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

قد حث الإسلام على تدبر آيات الله وحث رسول الله ﷺ على إحسان الصوت به ليكون ذلك معينًا على التدبر: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ

وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٤].

قال ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» هذا من حديث أبي لبابة رضي الله عنه ثابت عن النبي ﷺ وقال ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ».

ثبت إلى رسول الله ﷺ من حديث البراء وغيره عن النبي ﷺ أنه حث على إحسان الصوت لكي يتدبر لكتاب الله وربنا عز وجل يستمع لتلك التلاوة وفي ذلك الوقت سواءً كان من نبي أو غيره فقد قال ﷺ مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ.

ورسول الله ﷺ استمع ليلة لقراءة أبي موسى الأشعري فقال يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود.

لقد رأيتني البارحة وأنا استمع لقراءتك قال النبي ﷺ لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيرًا.

أدخل السرور على رسول الله ﷺ.

وكانت منازل الأشعريين تعرف وتعلم بتلاوتهم للقرآن فيمر المار فيسمع التلاوة للقرآن يعلم أن هذه بيوت الأشعريين.

هذا والله هو الخير الكثير الذي كان رسول الله ﷺ يجتهد فيه لقد كان رسول الله يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها وقال: أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ.

نعم أين التحري من الناس؟

أين التحري من أولئك اللاعبين اللاهين؟

أين التحري من أولئك الأكالين الشرابين المخزنين؟

لا هم لهم إلا جمع المأكل لا هم لهم إلا أنواع المشارب لا هم لهم إلا أكل العلف هذا شأن كثير من الناس في هذه البلاد إلا من رحم الله رب العزة والجلال.

عباد الله إنها شعائر عظيمة تفوت كثير من الناس.

نسأل الله التوفيق.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره أما بعد:

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان من كل الليل قد صلى من أوله وصلى من وسطه ومن آخره.

وقال أنس رضي الله عنه كما في الصحيح: لا تحب أن تراه قائمًا إلا رأيته ولا تحب تراه نائمًا إلا رأيته هذا في غير العشر وإلا ففي العشر كانت إذا دخلت أيقظ أهله وأحيا ليله وشد المئزر وثبت من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: أفضل الصيام صيام داود وأفضل القيام قيام داود وذكر أن داود كان يصوم يومًا ويفطر يومًا وكان ينام أول الليل ويقوم ثلثه ولا يفر إذا لاقى، وهكذا رسول الله ﷺ تنوعت عبادته في الليل فتارة يوتر

بخمس وتارة يوتر بسبع وتارة يوتر بثلاث كل هذا من هدي رسول الله ﷺ كما ذكر ذلك أهل العلم في كتبهم في كتبهم بأسانيد ثابتة.

إن مما ينبغي أن يعلم في هذه الشعيرة العظيمة وهي قيام الليل أن يكون ذلك القيام في جماعة وهو الأفضل والذي عليه جماعة المسلمين وجماهير المسلمين فقد قام رسول الله ﷺ بالناس ثلاث ليالٍ كما ثبت في أحاديث كثيرة.. أنه قام بهم وفي الليلة الثالثة تأخر وقال إنه لم يخف عليَّ مكانكم في المسجد وإني خشيت أن تفرض عليكم وإنما ترك رسول الله ﷺ ذلك خشية أن تفرض عليهم فأصل هذه السنة ثابتة عن رسول الله ﷺ عمل بذلك أصحابه وعمل بذلك أزواجه كانوا يقومون الليل لكن إنما كان الرجال يقومون في جماعة ولا بأس أن يقوم النساء في جماعة ذلك لأن الشرع عام للرجال والنساء وصلاة الرجل في جماعة تفضل على صلاته في سوقه وصلاته في بيته بسبع وعشرين درجة كما ثبت في الصحيحين فهذا عام في حق النافلة والفرض لا سيما فيما له أصل ثابت عن رسول الله ﷺ وإنما يعين على قيام الليل لهو الحضور في المسجد مع المصلين فإن ذلك مما يبعث النشاط وإن ذلك مما يسبب التعاون على طاعة الله فإن شاء صلى قائمًا وإن شاء صلى قاعدًا فقد صلى رسول الله ﷺ ليلًا قائمًا وليلًا طويلًا قاعدًا.

وصلاة القائم أفضل من صلاة القاعد هذا في حق النافلة دون صلاة الفريضة، أما من صلى من عذر فيرجى أن يكون ذلك بمنزلة القيام لأن

النبي ﷺ يقول إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا.

وجاء بنحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنه مما يشد من تلك اللفظة الأولى.

نعم عباد الله هذه بعض آداب رسول الله ﷺ في آداب هذه الشعيرة المباركة ألا الحرص الحرص والمثابرة قال الله سبحانه وتعالى﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [البقرة:١٤٨].

بادروا بالأعمال وقاتل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

الأدلة الصراح

على تحريم تصوير ذوات الأرواح

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله عز وجل يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

ويقول الله تقدس اسمه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

قال الله جل في علاه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

عبادة الله جل جلاله هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

والبعد عن كل ما يبغضه ويأباه فنعم عباد الله إن الله قد تعبدنا بطاعته ونهانا عن معصيته وقد جعل لمن عصاه عز وجل الهوان والإذلال كما يقول

ربنا: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾ [الحج:١٨].

كما يقول الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة:٢٠].

يقول عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ [يونس:٢٧].

ويقول الله رب العزة والجلال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ * تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧].

أبان الله في هذه الآيات الكريمات أنه ليس بين الله وبين العبد إلا ما يكرمه من الطاعات أو يذله به من المعاصي والموبقات.

ألا وإن مما جاء في صدد ذلك من الوعيد الشديد في معصية الله سبحانه وتعالى أنه ذكر لنا أنه أغرق فرعون عليه لعائن الله بسبب معصية لله: ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا * فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل:١٦-١٧].

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا * يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ

بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٤١-٤٢].

هؤلاء يتمنون يوم القيامة أن تسوى بهم الأرض وأنهم كانوا ترابًا ولم يكونوا على قيد الحياة طرفة عين.. ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

يقول الله عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٢٢].

بعصية واحدة عصى آدم عليه الصلاة والسلام ربه فأهبطه الله تبارك وتعالى من الجنة: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ * فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ * فَأَكَلَا مِنْهَا

فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه:١١٥-١٢١].

نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقبل ذلك نوح عليه الصلاة والسلام كل منهم يذكر ماله من الذنب ويقول يوم القيامة في ذلك المحشر: نفسي نفسي إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده وإني عصيت ربي في مسألة كذا وكذا اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى فلان وهكذا من نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى عيسى إلى محمد ﷺ وهو صاحب المقام المحمود، وكلهم يقول: إني قد عصيت ربي في مسألة كذا وكذا ولربما كانت المعصية في أنظارهم وليست بمعصية حقيقية.

عباد الله: وقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ: قال: قال الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين فأحلت لهم ما حرم الله وحرمت عليهم ما أحل الله. وإن أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال، وأهل النار خمسة وذكر الضعيف الذي لا زبر له أي: لا عقل له يزبره ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك في أهلك ومالك ورجل لا يظهر له طمع إلا بحث له ولو دق ورجل شنظير ورجل كذاب والبخيل.. فذكر رسول الله ﷺ هذه الأصناف مبينًا بها أن الشيطان هو الذي قد يحل لبعض الناس ما حرم الله كما تقدم ذلك.

عباد الله: وروى البخاري من حديث جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ كان نائمًا فجاء ملكان فقال اضربا له مثلا فقالوا إنه نائم وقال بعضهم إنه ليس بنائم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا اضربوا له مثلا فقالوا مثله ومثل أمته أو مثل الناس كمثل رجل بن دارًا فأحسنها وجملها وجعل فيها مأدبة ثم أمر مناديًا ينادي في الناس إلى تلك الدار فمن أجاب الداعي دخل تلك الدار وأكل من تلك المأدبة ومن عصى الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من تلك المأدبة فالداعي هو محمد رسول الله والدار هي الجنة والمأدبة ما كان فيها أي من المآكل إلى آخره.

عباد الله: وفي الصحيحين من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: يا أيها الناس إن حدثتكم حديثًا هل أنتم مصدقي قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، مثلي ومثلكم كمثل رجل أتى الجيش على قومه فاجتاحهم فأتى النذير فقال: يا قوم النجاة النجاة فإن العدو قد دهمكم فمن أجاب الداعي نجا ومن عصى الداعي اجتاحه الجيش.. الحديث، فأنا النذير العريان يعني ذلك الجيش أن للعرب كان إذا أتى العدو عليهم ورأى النذير ذلك الجيش يهجم عليهم يخلع ثوبه ويلوي به لقومه حتى يعلمهم أن العدو قد دهمهم فمثل النبي كمثل ذلك النذير.

إن معصية الله لتدمر الشعوب وتدمر الأسر والأمم ما من أمة من لدن نوح إلى هذه الأيام إلى قيام الساعة ما من أمة عصت الله إلا وأهلكها الله جل جلاله وإن كانوا يرون تلك المعصية في حد أنظارهم صغيرة أو في

أنظارهم يسيرة: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف:٥٩].. ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف:٤].

ألا وإن من أعظم ما استهين به في هذه الأيام وقبل ذلك بيسير لهي معصية عظيمة جدًا كبيرة من الكبائر رذيلة من الرذائل قد حذر الله منها على لسان رسوله ﷺ في أكثر من دليل تلك المعصية التي كادت أن تكون حلالًا عند القاصي والداني إلا من رحم الله التي التمسوا لها المعاذير التي التمسوا لها التبريرات التي كادوا أن يعصوا الله بها على صورة دين الله تبارك اسمه وتعالى جده فذلك يتحدث مع الناس وتنتقل صورته على شاشات التلفزيون وذلك يتحدث مع الناس وتنتقل صورته على البث المباشر إلى آخر ذلك من الأمور تلك الكبيرة هي تصوير ذوات الأرواح وقد جاء فيه الوعيد الشديد في الأحاديث الصحيحة الصراح ما يبين ما هي عليه من الكبر عند الله رب العزة والجلال واسمع إلى ذلك فقد ثبت عن النبي ﷺ مبينًا أن تصوير ذوات الأرواح من أسباب دخول النار فروى أهل السنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يخرج عنق من النار يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبمن دعا مع الله إلهًا آخر وبالمصورين**» وما توعد عليه بالنار أو باللعنة يكون من كبائر الذنوب وأرذل العيوب وقد توعد على هذه المسألة بهذا العنق من النار بل ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنه جاءه رجل فقال إني أصور هذه

الصور فأفتني فقال ادن مني وكان قد عمي فدنى منه ذلك الرجل حتى وضع يده على رأسه وقال أخبرك عما سمعت عن النبي ﷺ سمعته يقول من صور صورة كلف أن ينفخ فيه الروح وليس بنافخ فيعذب في نار جهنم وهذا وعيد قد لا يحصل على القاتل المسلم عمدا ربما لا يكون هذا الوعيد في حق القاتل فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عليه إن ما توعد الله به القاتل من الخلود يقول علماء السلف على أن ذلك يحمل على المكث الطويل أما هذا فقد تعلق تخليده أو بقاؤه في النار بشيء محال فلا يستطيع أن يخلق شيئًا ويبقى يُعذب حتى يخلق ذلك الشيء قال وهذا محمول على من صور من المشركين أو على من كان مستحلًا أو على أنه خرج مخرج الوعيد وشاهدنا أن الوعيد في هذه المسألة شديد جدًا نعم عباد الله وهكذا يخبر النبي ﷺ أنه يجب طمس ذلك المنكر من باب إزالته وتغييره.. ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩]..

إن أممًا من الناس يكادون أن يجرفوا المجتمعات إلى معاصي ظاهرة

شهيرة بتلبيسات موبقة وحسبنا الله ونعم الوكيل.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الهياج الأسدي أو من حديث عمران بن حصين أن علي بن أبي طالب قال لأبي الهياج ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالًا إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته، وفي البخاري من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ حين أتى إلى مكة لم يدخل حتى أمر عمر بن الخطاب أن يطمس تلك الصور فلما دخل رأى صورة إسماعيل وإبراهيم وبأيديهما الأزلام يستقسمان بها فقال قاتلهما الله أي قاتل الله المشركين قاتلهم الله والله ما استقسما قط ما استقسم إسماعيل ولا إبراهيم قط ثم أمر بخرقة فمسحها والزيادة في غير صحيح البخاري وقد جاء من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ حين دخل البيت أو قبل أن يدخل البيت أمر عمر بن الخطاب أن يمسح ما بها من الصور حتى لا يدخل البيت وفيه صور، وثبت من حديث ابن مسعود أنه لما دخل مكة أي النبي ﷺ وجد فيها ستين وثلاثمائة صنمًا فجعل يطعنها بإصبعه ويقول ﷺ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١].. ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ:٤٩].

بتحطيم تلك التماثيل والصور عليه الصلاة والسلام.

عباد الله هذه كبيرة موبقة كبيرة من كبائر الذنوب استهان بها كثير من الناس فاستحقوا لعنة رسول الله ﷺ بسبب ذلك يجب على كل ناصح

غيور على دين الله أن يعرف هذا المنكر فقد روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وعن ثمن الدم وهكذا نهى عن الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ولعن المصور الحديث في صحيح البخاري فقد لعن رسول الله المصور وابن عباس يقول إن كنت فاعلًا فاصنع الشجر وما لا روح فيه أي إذا كان ولابد من تصوير ذلك فاصنع الشجر وما لا روح فيه فإن هذا يعتبر والله من أسباب شدة العذاب فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون أشد الناس عذابًا حملة أهل العلم على ما إذا كان مستحلًا أو أنه أشد الناس أي من أصحاب المعاصي وأن هذه الكبيرة من أكبر المعاصي أو أنه أشد الناس على الكافرين نعم وإلا فإن ربنا سبحانه يقول عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

توعد المصور بأشد العذاب يوم القيامة فهو محمول على أنه يشدد عليه العذاب أكثر من غيره من المسلمين.

شيء عجيب جدًا أن ترى الزنا منكورًا والقتل منكورًا وشرب الخمر منكورًا وكثير من هذه المعاصي تراها منكرة وترى مثيلها ونظيرها بل وأعظم منها يكاد أن يكون مبرورًا في الساحة إلا عند من وفقه الله سبحانه وتعالى فيجب على حكام المسلمين أن يتقوا الله عز وجل وأن يجعلوا حلولًا

للبعد عن هذه المعصية فإذا ما ألزموا المسلمين بذلك تحملوا أوزارهم على ما يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل:٢٥].

من دعا إلى ضلالة فعليه من الإثم مثل أوزار من تبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا فيخشى عليهم أن يتحملوا أوزار الأمم بسبب تقليد اليهود والنصارى ففي الصحيحين من حديث عائشة أن رسول الله قال ﷺ في مرضه الذي مات فيه كانت عنده أم حبيبة وأم سلمة وكانتا رأتا كنيسة في الحبشة فذكرتا ما فيها من تصوير وحسنها لرسول الله فقال عليه الصلاة والسلام إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو قال العبد الصالح بنو على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله فأنت تعلم من هذا الحديث أنه يعتبر من أسباب عبادة غير الله تقدس اسمه وهو من أعظم تشبه بالكافرين بالنصارى فإن هذا حذوهم وطريقهم ومسلكهم يصورون ذوات الأرواح وأبى المسلمون إلا أن يسلكوا بعدهم كما أخبر رسول الله وإلا فقد كان سلفنا الصالح تحصل بينهم الجنايات وغير ذلك وعندهم حلولًا من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من غير تصوير لذوات الأرواح ولا تبرير لها فليتق الله من برر هذا المنكر بحجة أنه يعتبر اضطرارًا على المسلمين فأي اضطرار عليهم في أي يتأكلوا بذلك أو يشربوا أي اضطرار عليهم في أمور قد تأتي حلولها في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ مع البعد عن هذه الكبيرة نسأل الله

السلامة والعافية.

والله المستعان.

الخطبة الثانية:

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه وأشهد أن لا إله إلا الله العالم بما يكنه العبد ويخفيه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.. أما بعد.

فإن الجبين ليندى وإن القلب ليحزن.

يحصل هذا وذاك وكل ممن هو يدعو إلى الله جل في علاه.

لو كان الأمر يقتصر على العامة وجب نكيره فقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال ما من نبي إلا كان له حواريون وأنصار يأخذون بسنته ويقتدون ببهديه ثم إنه يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان وروى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان.

من هذه الأدلة لو فعل المنكر من فعله كان واجبًا نكيره كيف ويصدر ذلك عن أناس يتبنون الدعوة إلى الله وأشد من اشتهر بذلك تلك الفرقة الضالة المضلة لا يكادون يرون طعمًا إلا وهووا إليه بالتلبيسات والجهالات

والتأويلات الفاسدة فرقة الإخوان المسلمين لا جزاهم الله عن المسلمين خيرًا فإنهم لا يكادون يرون منكرًا يأتي من ورائه طمع من الدنيا إلا والتمسوا له المعاذير وقد قال النبي ﷺ لا ترتكبوا ما ارتكبت يهود فتستحلوا ما حرم الله بأدنى الحيل فهؤلاء يحتالون على شرع الله ويأتون بالتلبسات على خلق الله نعم فيوقعهم فيما يغضب الله عز وجل وعلم من ذلك كله أنهم قد سقطوا سقوطًا لا نظير له بسبب تلك المعاصي التي اجتنوها والجرائم التي اقترفوها إن المعاصي لا تعود على أصحابها إلا بالويلات فينبغي للعاقل أن تكون تلك له عبرة وأن تكون له عظة وموعظة بالبعد عن كل ما حرم الله فلن ينصر الله عز وجل إلا من نصره: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥].

أمر الله عز وجل بامتثال طاعته والبعد عن معصيته أعانه الله عز وجل ونصره ووفقه وهداه.

عباد الله ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه حلٌّ لهذه المشكلة مشكلة تصوير ذوات الأرواح عن النبي ﷺ إذ تأخر عنه جبريل فقال إني أتيتك البارحة ما منعني أن أدخل عليك إلا أني رأيت عندك صورة قال فأمر برأس ذلك التمثال فليقطع حتى لا يكون كهيئة الشجرة وجاء موقوفًا على

ابن عباس بسند صحيح أنه قال الصورة الرأس فإذا قطع الرأس فلا صورة فإذا اضطر إنسان لمثل ذلك وصور ما لا رأس له فعندئذ يخرج من ذلك المنكر أما أن يصور ذوات الأرواح من أغنام وأبقار وأشخاص ودواب وما إلى ذلك فإن هذا يعرض نفسه للعنة الله جل جلاله ولغضب رسول الله ﷺ فقد دخل ﷺ على عائشة رضي الله عنها وقد سترت سهوة لها بقرام فيه تماثيل فتغير وجه النبي ﷺ وهتك ذلك الستر وقال يا عائشة أما علمتِ أن أشد الناس عذابًا الذين يضاهون بخلق الله وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة وليخلقوا شعيرة الحديث ما هناك أظلم من أصحاب المعاصي ما هناك أظلم ممن يذهب يخلق كخلق الله يصور كتصوير الله وإلا فالإيجاد والإبراء لا يكون إلا من الله تبارك اسمه وتعالى جده ولا يستطيع أحد أن يوجد إنسانًا من العدم وإنما المقصود من أظلم ممن ذهب يصور كتصويري سواء كان ذلك التصوير فوتوغرافيًا أو غير ذلك مما يكون في التلفزيون أو مما يكون من الصور فإن الأدلة تعمه وتشمله كما يقول الإمام النووي رحمه الله.

جماهير أهل الفهم الخاطئ على التماس المعاذير والتلبيسات الحديثة من أناس لا يتقون الله بتلك التأويلات الفاسدة في مسألة تصوير ذوات الأرواح وبحجة الاستحسان في دين الله سبحانه وتعالى فإنهم ربما يقولون

ذلك الداعي إذا لم يصور وتبث صورته لا يعرفه الناس وإن أعظم مصلحة للمسلمين البعد عن معصية الله وامتثال طاعة الله وإن أعظم مفسدة على المسلمين لهي الوقوع في المعاصي التي دمر الله بها تلك الأمم السالفة وحسبنا الله ونعم الوكيل ولما تقرأ في تفسير سورة نوح ترى أن سبب عبادة غير الله تلك الصور صور ذوات الأرواح على ما جاء من حديث ابن عباس رضي الله عنه وإن كان انتقده بعض أهل العلم فيما نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله لكن الواقع يعلم من ذلك مما مضى في حديث عائشة رضي الله عنها أنها من أسباب عبادة غير الله وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عنها نهيًا شديدًا وزجر عنها زجرًا شديدًا من أسباب ذلك ومن غيره وسواء علم السبب أو لم يعلم فإن هذا قد بانت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وعيده وفي النهي عنه نسأل الله السلامة والعافية والحمد لله رب العالمين.

شكر النعمة

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله عز وجل خلق عباده لعبادته ولذكره وشكره ولطاعته وطلب مرضاته وأوجب عليهم تذكر نعمه والصبر على نقمه يقول عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر:٣].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠].

يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ * وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٤٧-٤٨].

أخبر الله عز وجل عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أنه كان يأمر قومه بتذكر نعمة الله فقال الله عز وجل: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ * يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ * قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ

مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٠-٢٣].

هكذا لا ترى نبيًا من الأنبياء إلا وهو يذكر قومه بنعمة الله عليهم فهو فهود عليه الصلاة والسلام حين أتى إلى قومه: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ * قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف:٦٦-٦٩].

فأبان لهم عليه الصلاة والسلام أن تذكر نعمة الله هي سبب الفلاح وهكذا يخبر ربنا سبحانه أن تذكر نعمة الله والثبوت عليها والسير عليها لذلك من أسباب الازدياد فيها واستمرارها على الشاكر لتلك النعمة: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ [إبراهيم:٧].

أخبر سبحانه كذلك أن شكر نعمة الله من أسباب مرضاته: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ ﴾ [الزمر:٧].

وجاء عند الإمام مسلم رحمه الله من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها.

فهو من أسباب مرضاته سبحانه ألا وإن من أجل النعم وأعظمها ومن أكبرها على العباد والبلاد لهي نعمة الإسلام التي يقول ربنا عز وجل عنها﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة:٣]، فسماها الله عز وجل نعمة ولم يعطِ الله تبارك وتعالى الأنبياء درهمًا ولا دينارًا لم يورثوا الأموال إنما امْتَنَّ الله عليهم الله وأكرمهم عز وجل بنعمة الإسلام والسير عليها والاستقامة عليه، وذكر الله في سورة مريم جملة من الأنبياء ثم قال الله جل في علاه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩﴾ [مريم:٥٨].

فأبان الله تبارك اسمه وتعالى جده أنه أكرمهم بطاعته والخوف منه وأن النعمة التي لهم أسداها والكرامة التي لهم أعطاها هي تلك النعمة نعمة الخوف من الله ونعمة الثبات على دين اله وذكر كذلك عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ *إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ

أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الزخرف:٥٧-٥٩].

قال الله عز وجل: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ [المائدة:١١٠]..الآيات. فأبان رب العزة والجلال أنه أكرم أنبياءه وأعزهم بتلك النعمة نعمة الإسلام التي لا تساويها نعمة قط لمن ثبت عليها واستقام.

عباد الله إن تذكر نعمة الله ليزيد الإيمان إن تذكر نعمه ليلزم الإنسان الثبات أن تذكر نعمة الله ليوجب عليه شكرها إن تذكر نعمة الله يبعد عنه كفرها إن تذكر نعمة الله سبحانه وتعالى له ضارعًا وله سائلًا وإليه خاشعًا لذلك فإن التذكر لنعم الله سبحانه وتعالى حالًا وقالًا كان واجب على كل مسلم كما دلت عليه تلك الأدلة الصحاح تلك الأدلة من القرآن ومن السنة أعظم نعمة على العباد نعمة الإسلام نعمة السنة نعمة طلب العلم نعمة الاستقامة والله إن الله عز وجل لا يغير ما بإنسان من خير أو من شر حتى يغير ما بنفسه فلا يتغير من المعصية إلى الطاعة حتى يتسبب في ذلك ولا يتغير من النعمة التي هو فيها وينقل إلى أسوئها أو إلى أسوأ منها حتى يتسبب في ذلك قال الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:٥٣].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ

أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد:١١].

عباد الله: إن أكثر الناس ليتسببون في إزالة النعم عليهم وعلىٰ قومهم وما أهلك الله عز وجل بعض القرىٰ أو أكثر القرىٰ وإن شئت قل كل القرىٰ إلا لأنهم لم يعرفوا نعمة الله عليهم..

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ:١٥-١٧].. إلىٰ آخر الآيات التي يذكر ربنا الله تقدس اسمه أن سبب إزالة تلك النعم وأحل بدلها تلك النقم كان ذلك بسبب بكفرهم بالله جل في علاه وعدم معرفة عظم تلك النعمة التي كانوا فيها سواء كانت تلك النعمة دنيوية أو أخروية فإن النعم تزال وتباد وتزحزح بعدم معرفتها إذا كان الإنسان يعيش في نعمة لا يعرف قدرًا ولا يجد لها وزنًا ولا يستحضر لها أيضًا عن الله ذلك الثقل الذي منَّ الله جل جلاله عليه ما من شك أنه معرض للانتقام.

عباد الله: إن نعم الله تحتاج إلىٰ رعاية.. إن نعمة الإسلام تحتاج إلىٰ رعاية إن نعمة الاستقامة تحتاج إلىٰ رعاية إن نعمة طلب العلم تحتاج إلىٰ رعاية كل نعمة عليك من الله تحتاج إلىٰ رعاية إن أصحاب الدنيا ليرعون

دنياهم ويحرصون على مناصبهم ويقاتلون من أجل رعاية تلك المناصب كان الواجب أن يرعوا هذا الدين، وهكذا كل من منَّ الله تبارك اسمه وتعالى جده بهذه النعمة فرعايتها عليه واجب.

نعمة الإسلام من كفر بها كان معرضًا لانتقام الله: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة:٢١١].

يقول الله رب العزة والجلال: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل:٧١-٧٢].

فالله عاقبهم وأهلكهم بسبب جحد النعم وعدم الشعور بها -يا معشر المسلمين- وبالأخص من رزقه الله الاستقامة يجب عليكم جميعًا أن تشعروا بهذه النعمة في أعماق قلبه التي يسير عليها في الدنيا ويسير عليها عند الموت وفي القبر ويوم الحساب.. «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»، نعمة هذا العلم الشرعي والاستقامة أنها لتتبع الإنسان بعد موته ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**يتبع الميت ثلاثة:**

أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد؛ يرجع أهله وماله ويبقى عمله»، فماذا ينفعك إلا هذه النعمة التي ثبت عليها وإن كنت ممن يذود عنها هي نعمة الإسلام التي من رعاها رعاه الله ومن أزالها أزاله الله ومن سعى في الفساد فيها أفسده الله يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥].

إياك أيها المسلم! أن تنأى وأن تبتعد عمّا منَّ الله به عليك فإن هذه الرغبة سبب الشقاء.. هذه الرغبة حيث رغبت عن الاستقامة والعلم وحيث رغبت إلى الدنيا الفانية فأعرضت عما هو أعظم وأعظم والله علامة الشقاء نعوذ بالله من ذلك علامة الشقاء أن ترى إنسانًا من الناس يهديه للسنة وينحرف يهديه الله للعلم الشرعي ويبصره بالعلم فيذهب ويترك ويتزحزح ويذهب إلى بعض الدنيا وإلى بعض المناصب وإلى بعض التلميعات من الآخرين بمجرد ما يزخرفون له الدنيا فإنه ربما يصاب بذلك البلاء.

أيها الناس عباد الله! إن هذه النعمة التي أسداها ربنا سبحانه وتعالى إلى عباده لهي أعظم نعمة يتقلب فيها الإنسان من تلك النعم الكثيرة التي يقول ربنا الله عز وجل: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤]ويقول: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل:٥٣].

إن نعم الله يشترك فيها الكافر والمسلم والبر والفاجر لكنها تتفاوت كتفاوت ما بين السماء والأرض: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٠٤]، فكما يتفاوت في الألم يتفاوت كذلك في النعم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد:١٢]، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٠-٢٣].

نعمة الله مبسوطة على الجميع لكن تلك النعمة التي يعيشون فيها من زخارف الدنيا ومتاعها لا تدخلهم جنةً ولا تخرجهم من نار، غاية ما فيه أن صنفهم كأصناف أرذل الحيوانات.

أما هذا المستقيم الذي منَّ الله عليه بالإسلام فإنها نعمة عليه في الدنيا والآخرة، هكذا يقول النبي ﷺ من حديث أنس رضي الله عنه يستبدل الله عز وجل مكانه من النار أو في النار يهوديًا أو نصرانيًا وهكذا يقول النبي ﷺ عن حال الكافر إذا عمل حسنة يطعم بها طعمة في الدنيا، والمسلم يخلفه الله عاقبة حسنة ويدخر الله له حسناته إلى يوم القيامة هذه النعمة نعمة الإسلام التي لم يعرفها كثير من الناس ففضلها على الحيوانات وعلى الكلاب وعلى الدود والحشرات وعلى الأشجار وعلى البلاد والعباد فقد

ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال مستريح ومستراح منه رجل مستريح ومرَّ بجنازة أخرى فقال مستراح منه قالوا يا رسول الله قلت في هذه الجنازة مستريح وقلت في الأخرى مستراح منه قال أما هذا الذي هو مستريح فإنه استراح من تعب الدنيا ونصبها وأما المستراح منه فذاك الذي استراح منه العباد والبلاد والشجر والدواب.

ومعنى ذلك أنه كان مؤذيًا لهم والإسلام لا يرضى بالأذية لأحد من المستقيمين إلا على قدر ما يجتنيه أو يقترفه من الذنوب تقام عليه الحدود والتعزيزات أو ما يتعلق بذلك مما فيه مصلحة شرعية على العباد حتى في حق الناس حتى في حق المنعم من العباد: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**» من حديث النعمان بن بشير وأبي هريرة رضي الله عنهما وثبت عن النبي ﷺ: من أحسن إليكم فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم كافئتموه. أو تروا يعني تظنوا.

وبعض الناس فيما يتعلق بشكر المنعم سواء في حق الله أو في حق العباد حاله كحال أصحاب عرينة ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن نفرًا من عكل وعرينة قدموا على النبي ﷺ فاجتتوا المدينة أي اختلف عليهم جوها فمرضوا فقال النبي ﷺ الحقوا بالذود فاشربوا من ألبانها وأبوالها. فلحقوا بالذود فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صحوا وسمنوا فبعد ذلك قتلوا الراعي واستاقوا الذود وأرسل النبي ﷺ النفر في طلبهم فأتى بهم فسمل أعينهم وتركهم في الحرة يستسقون فلا يسقون

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: سرقوا وقتلوا وعصوا الله ورسوله فكافئوا ذلك الجميل الذي أسداه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجناية والكفران لتلك النعمة.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتي بمال فقسمه بين الناس فأعطى أناسًا ولم يعط بعض الأنصار فبلغه أن الذين لم يعطهم نقموا أو أنهم أنكروا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين جمعهم أو التقى بهم يا معشر الأنصار ألم تكونوا ضلالًا فهداكم الله بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله أو قالوا الله ورسوله أمنَّ قال وكنتم متفرقين فجمعكم الله بي؟ قالوا: الله ورسوله أمنَّ قال وكنتم عالة فأغناكم الله بي أو شئتم لقلتم كذا وكذا لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار شعار الناس دثار اصبروا حتى تلقوني على الحوض فإنها ستكون عليكم أثرة فمع هذا الحب والحرص عليهم لم يعطهم من الدنيا وأعطى غيرهم ومع ذلك يحثهم على الثبات والصبر على ما عليه من الخير وأنهم لا يبالوا بتلك الأثرة الحاصلة من الدنيا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلغه أن ابن جميل لم يدفع الزكاة والعباس وخالد بن الوليد رضي الله عنهم فقال ما ينقم ابن جميل إلا أن أغناه الله من فضله إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا فإنه احتبس أدرعه وعتاده في سبيل الله وأما العباس فإنها عليَّ ومثلها يعني بذلك أن ابن جميل بعد تلك النعمة التي عليه نعمة الإسلام أغناه الله فيها ومع ذلك منع الزكاة فأنكر عليه

رسول الله ﷺ غاية الإنكار ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الثلاثة النفر أن أحدهم لما أتى إليه في الحر وقال: مسكين وابن سبيل لا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك شاة أتبلغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فرد الله عليَّ بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فو الله ما أجهدك اليوم بشيء أخذته لله فقال أمسك مالك فإنكم ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك والحديث معروف في الصحيحين.

الشاهد من هذا ـعباد اللهـ أن شكر النعمة لمن أسداها سواء كان الله سبحانه وله الفضل والمنَّة أو غيره من المخلوقين أو غير الله جل في علاه فإنها يجب شكرها كما تقدم بيان ذلك.

حتى في حق المخلوقين إذا لم تشكر العباد فإن الله يغضب لذلك ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال بينما رجل وفي رواية امرأة تمشي بطريق رأت كلبًا يلهث يأكل ا لثرى من شدة العطش نزلت بئرًا فملأت موقها فسقت الكلب فشكر الله لها أي أن الله جل جلاله شكر صنيع تلك المرأة التي سقت كلبًا من الكلاب أسدت معروفًا ونعمة إلى كلب من الكلاب فالله تبارك وتعالى كافأ تلك المرأة بشكر تلك النعمة وثبت عن النبي ﷺ أنه إذا ذبح شاة قسمها بين صدائق خديجة وكان كثيرًا ما يذكر خديجة رضي الله عنها فيقول كانت وكانت وكانت وكان لي منها الولد.

يدلنا هذا الحديث على تذكر نعمة المنعم وعدم كفران تلك النعمة سواء من بشر أو من غيره، ما نسى رسول الله ﷺ نعمة خديجة عليه في أول أمره بنفسها ومالها ومع ذلك كانت إذا أتت إليه هالة أو قدمت هالة أخت خديجة رضي الله عنها وهي امرأة كبيرة في السن يقوم من فراشه ويقول اللهم هالة ارحم هالة أخت خديجة التي كانت تمن عليه بتلك النعمة.

بعض الناس مع نعمة الله ـ سواء في حق الله أو في حق البشر ـ شأنهم كشأن بعض النساء التي يقول النبي ﷺ ما رأيت من ناقصات عقل ودين يا معشر النساء أكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة وما لنا أكثر أهل النار يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير.

نعم بسبب كفران العشير وهي من الأسباب المذكورة في الحديث كان النساء من أكثر أهل النار والحديث في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري وعن ابن عباس رضي الله عنه وفي صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو ابن العاص بنحوه.

عباد الله أن كفران النعمة في حق الله أيّ نعمة كانت أو في حق البشر أنها سبب لانتقام الله عز وجل.

نسأل الله السلامة والعافية.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين حمدًا طيبًا مباركًا فيه أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا أن نسأله أن يهدينا صراط الذين أنعم عليهم في كل ركعة من ركعاتنا ولا تصح صلاة أحد من الناس إن تركها مع القدرة على قراءة تلك الآيات من سورة الفاتحة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

الذين أنعم الله عليهم قد ذكرهم في كتابه أنه لم ينعم عليهم بكثرة مال ولا عرض وإنما أنعم عليهم بنعمة جليلة وهي نعمة الهداية والتوفيق: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء:٦٩].

إن رسول الله ﷺ كان أكثر ما يستعيذ من زوال النعم فثبت في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمر أنه ﷺ كان يقول اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك هكذا ﷺ يستعيذ من زوال نعمة الله.

الشاهد من الحديث أن رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من زوال النعم ومن أعظم تلك النعم نعمة الإسلام التي والله لا يجد أحد حلاوة الإيمان إلا من ذاق تلك النعمة ففي الصحيحين عن النبي ﷺ قال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما

وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار شكر تلك النعمة من أعظم الأدعية التي أبانها رسول الله ﷺ ففي السنن بسند صحيح من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال من أحب أن يجتهد في الدعاء فليقل اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وفي رواية أخرى يا معاذ والله إني لأحبك فلا تدعن أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك أمره بشكر نعمة الله لمحبته فإن شكرها يستديم نعمًا كثيرة من نعمة الدنيا والآخرة بل إن رسول الله ﷺ يطبق ذلك الأمر يطبق تلك النعمة في حياته فيقوم حتى تتفطر قدماه فيقال يا رسول الله تقوم وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وتفعل ذلك فيقول ألا أكون عبدًا شكورا وهكذا كان يدعو عليه الصلاة والسلام ويلح على ربه عز وجل أن يوزعه أن يشكر نعمته فيقول رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي وانصرني على من بغى علي رب اجعلني لك شاكرًا لك ذاكرًا لك راهبًا لك مخبتًا إليك منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وسدد لساني واهد قلبي وثبت حجتي واسلل سخيمة قلبي الحديث عن ابن عباس ثابت عن النبي ﷺ الشاهد من هذا الحديث أنه ﷺ يطلب من الله أن يوزعه شكر نعمته رب اجعلني لك شاكرًا لك ذاكرًا..

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف:١٥-١٦].

ماذا عباد الله تدل هذه الآية على أن شكر نعمة الله عز وجل من أسباب رضاه ومن أسباب قبول العبادة ومن أسباب دخول الجنة وفقنا الله سبحانه وتعالى لما يحبه ويرضاه والحمد لله رب العالمين.

أسس نصر دين الله

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الناظر والمتأمل لحال المجتمعات الإسلامية، في هذه الأزمنة الواقعية، يرى أنهم يتجرعون ذلًّا، يتجرعون الذل والهوان والصغار والمسكنة، وهذا أمر عند الجميع غير منكر، وما ذلك إلَّا لما تنكبوا الطريق الذي رسمه الله سبحانه وتعالى لهم، والأسس التي أثبتها سبحانه وتعالى لهم، في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ. وإلا فإن وعد الله حق، وقوله صدق.. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].

قال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

وقد رسم الله سبحانه وتعالى أسسًا في كتابه وسنة رسوله ﷺ، من عمل بتلك الأسس وأخذ بها وثبت عليها حاز في هذه الدنيا وفي الآخرة كل خير وتجنب من كل شر.

ولقد تري كثير من الناس من الناس، حين أن دهمتهم قوة الكافرين، وحين أن أنهكهم تسلط الظالمين، وحين أوجعهم بطش المعتدين؛ عمدوا إلى جهالات يؤسسون بها دين الله، وهرعوا إلى أفعال وأقوال يزعمون أنها طريق لنصرة الحق وأهله، وتالله ما هي إلا زيادة للشر على ما فيه من الشر، وهل يأتي الباطل إلا بأكثر منه، وهل يجلب المرض إلا ما هو شر منه.

أيها الناس: إن من الأسس التي أثبتها الله في كتابه، لنصرة هذا الدين

وأهله، هو إقامة توحيد الله في هذه الأرض.

يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

حال كونهم يعبدونني لا يشركون بي شيئًا، فتلك المواعيد من الله سبحانه وتعالى متحققة لهم.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران:٩].

فقد وعدهم الله سبحانه وتعالى بما تقدم ذكره في هذه الآيات العظيمة، وعلق تحديد تلك المواعيد بعبادته وعدم الشرك به، ومما يدل على أنه لا يتحقق لأحد في تلك الأرض ثبوت تلك المواعيد من الاستخلاف وما دونه في الأرض حتى يحققوا توحيد الله قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، فهذا أمر كوني، في اللوح المحفوظ مذكور، وفي الكتب المتقدمة مذكور، أنه لا ينال الميراث للأرض، بل وللأرض الأخرى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر:٧٤].

وقال الله رب العزة والجلال: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣]، ولا يرث هذه الدنيا والأرض إلا من كان من

الصالحين بتوحيد الله فما دونه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

هذا موعد من الله سبحانه وتعالى قال الله عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

وقال الله تقدس اسمه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٣٩-٤٠].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

هذه أسس أسسها رب العالمين لنصرة دينه، من نهى عنها أو شذ أو ابتعد عنها لا يتحقق له من النصر شيء.

ولقد عرف ذلك أنبياء الله، الذين نصرهم الله سبحانه وتعالى لما أخذوا

بهذه الأسس قال الله جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤].

ما هي تلك الأسس التي صاروا عليها لنصرة دين الله، حتى إن واحد منهم ليواجه بأمة بأسرها وينصره الله عليهم قال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠].

هذا هو الأساس الذي صار عليه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ونصر الله به الدين، وأعز به الجند، وهزم به جحافل الكفر والإلحاد قال الله رب العزة والجلال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠-١٢٣].

كما أن إبراهيم سلك تلك الطريق في نصرة دين الله أنت يا محمد أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا.

وهكذا يتصدي إبراهيم بتلك الدعوي، وبذلك الأساس الذي يقوم عليه كل مجتمع يريد نصرة دين الله فيقول لقومه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟

ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء:٦٧-٧٠].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَاذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَالِكُم مِّنَ ٱلشَّاهِدِينَ * وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء:٥١-٥٨].

هذا الأساس الذي كان عليه إبراهيم عليه الصلاة السلام وكل أنبياء الله عليه يسيرون نصرة لدين الله ونصرهم الله، كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴾ [غافر:٥١].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَاكِنِّيٓ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [الأحقاف:٢١-٢٣].

هذا هو الأساس الذي سار عليه جميع أنبياء الله قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّاغُوتَ ﴾

[النحل:٣٦].

وقال الله تقدس اسمه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

كل هذه الأدلة تدل على أن الله يحقق وعده في سورة النور أن من لا يشرك به شيئًا يثبت له في هذه الدنيا التمكين قال الله جل في علاه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

وهكذا رسول الله ﷺ أتى مؤسسًا لهذه الأمة على هذا الأساس العظيم مثبتًا لهم على ذلك، فقد كان عليه الصلاة والسلام يُعلم ذلك حتى مستوى الأطفال، ويقول لابن عباس: «**يَا غُلَامُ! إني أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أن الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أن يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أن يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**». هكذا أسسهم.

ولما كان ذاهبًا إلى حنين مر بأناس كانوا يعلقون سيوفهم في شجرة

للبركة فقال بعضهم: يا رسول الله اجعل لنا أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: الله أكبر أنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨-١٣٩].

وروي الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن تعلق في رقبة بعير قلادة أو شيء من وتر، حتى على مستوى تلك الشعوذات، أو تلك التعاليق للبركة ينبهها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو يبعد أصحابه من أجل أن ينصروا، أما إذا كانت فيهم تلك الشركيات تنخر، فأني يكون النصر مع معصية الله من كبائر الذنوب.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يَا رُوَيْفِعُ! لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ بَعْدِي فَأَخْبِرْ النَّاسَ أنهُ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا أَوْ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ فَإِن مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ**».

وهكذا يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث عقبة بن عامر حين كان يريد أن يؤسس فيه ذلك الأساس العظيم من إثبات توحيد الله عز وجل حتى ينصر الله به دينه، قال: ما لك يا رسول الله؟! قال: إن عليك تميمة. فقطعها فمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده وبايعه.

هذا أساس عظيم جدًّا في حياة المجتمع.

ومن أضاعه فأنى له النصر؛ لأن الله سبحانه وتعالى علق نصر دينه على أيدي عباده على ذلك الأساس العظيم.

قال الله جل جلاله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

ومن الأسس العظيمة في أمر تأسيس أمر نصرة دين الله: التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى ظاهرًا وباطنًا، قال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

هذا أساس عظيم، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ جلس فيهم يؤسس هذا الأساس، مثبتًا لهذا الأساس فقال رسول الله ﷺ «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ والنبيان يَمُرُّونَ مَعَهُمْ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ قُلْتُ مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ قِيلَ انظُرْ إِلَى الْأُفُقِ فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأُفُقَ ثُمَّ قِيلَ لِي: انظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ قِيلَ هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَإِنا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ**

فَخَرَجَ فَقَالَ هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

وقال الله رب العزة والجلال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ * فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس:٨٤-٨٦]

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم:١١-١٢].

هذا أساس عظيم جدًّا، أثبته رسول الله ﷺ في هذه الأمة، أنهم ينصروا بالتوكل علي الله قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٢٢].

و الله وليهما فأبان سبحانه أنه ما دام الولاية لله فالنصر متحقق لهم بإذن الله سبحانه وتعالى.

هذه طرق عظام من طرق النصر.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١].

في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. قَالَهَا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: إن النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمانًا وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**».

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٢-٣].

وقال الله تقدس اسمه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس:٧١].

وقال الله جل في علاه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

هذه طرق رسمها الله وأبانها في كتابه لمن أراد أن ينصره الله.. إقامة توحيد الله والتوكل على الله سبحانه وتعالى في هذه الدنيا فهو من أَجَلِّ ومن أعظم الأسس لنصرة دين الله.

ومن تلك الأسس أيضًا: التفقه في دين الله سبحانه وتعالى وتعلم العلم الشرعي على بصيرة ونور، الثبات على ذلك، فإن النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين**»، وقال ﷺ: «**خيركم من تعلم القران وعلمه**»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَاَن مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وكانت مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إنمَا هِيَ قيعان لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**».

وهذا الحديث يدلنا دلالة واضحة على أن نصرة دين الله تتوقف على العلم الشرعي بالكتاب والسنة، فما يأتي من طريق الجاهلين نصر، قال الله جل جلاله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩].

وقال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣].

وقال الله رب العزة والجلال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴾ [القصص:٧٩-٨٠].

فكانوا سدًّا منيعًا، أهل العلم يكونون سدًّا منيعًا للباطل، وأهل الجهل باب واسع لدخول الباطل وولوج الباطل فيه، على ذلك الأدلة كما تسمعونها، التفقه في دين الله أمر مطلوب لتأسيس هذا الدين.

يقول ربنا سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٩].

هل يُنصر الدين بالأنعام؟! الدين ما ينصر بأنعام، الدين ينصر بفقهاء، الدين ينصر بعلماء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:٤٤].

الدين ما ينصر بالجهل -يا معشر الجاهلين- أن الدين ينصر بكتاب الله وسنة رسوله، وببث هذا العلم في أوساط المجتمع، حتى يفقهوا دين الله ويهوه، حتى يكون أحدهم؛ لأن يكون أحدهم يولج في النار أحب إليه من أن يتقهقر عن دينه كما يقول النبي ﷺ، «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإيمان: أن يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأن يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ**

إِلَّا لله، وَأن يَكْرَهَ أن يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أن يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

هذا يتأتي لمن فقه دين الله، ولا يتأتي لمن يجهل ذلك الدين، يريد أن ينصر دين الله بالجهل؟!

من أهم الأمور التفقه في دين الله، وإجلال أهل العلم، إجلال أهل العلم، فقد روى الترمذي في جامعه، من حديث أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إن اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَاضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ**»، وفي حديث صفوان: «**إن الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ**»، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

إن ذهاب أهل العلم، والرجوع إلى الفوضى، وعدم الاعتماد على المصدر الموثوق من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وذويه من علماء السلف الصالح، يكون شرًّا على الأمة أجمع.

في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إن اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انتزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**».

وثبت عن النبي عليه وعلي اله وسلم أنه قال: «**يوشك أن يأتي عليكم أناس قد ذهبت أماناتهم ومرجت وعودهم واشتبكوا فصاروا هكذا**»

وشبك بين أصابعه عليه الصلاة والسلام، قالوا: يا رسول الله! ما المخرج؟ ما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بأمر خاصتكم، واتركوا أمر عامتكم، وخذوا ما تعرفون، ودعوا ما تنكرون**».

وهكذا يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء:١١٥].

ويقول النبي ﷺ: «**عَلَيْكم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**». وقال ﷺ: «**دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم**».

ويقول ﷺ: «**يذهب الصالحون، الأول فالأول، وتبقي حثالة كحثالة الشعير أو التمر، لا يباليهم الله باله**».

كل هذه الأدلة تدل على أن عدة المسلمين، وتمكين المسلمين، ونصرة المسلمين، كل ذلك برجوعهم إلى علمائهم، وأيضًا بالاقتناع بكتاب الله

وسنة رسوله الذي يدري عن طريقهم.

قال الله تقدس اسمه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].. إلى آخر الأدلة في ذلك الباب على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

هذا أمر مهم من أمور أسس الدين الذي يقوم عليه نصرته، وهو التفقه في دين الله، وإجلال أهل العلم، ومن الأمور بعد ذلك التناصح: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن؟ قال «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

فجعل رسول الله ﷺ الدين كله النصيحة، وعلى أن النصيحة تقوم بها المجتمعات، وعلى أن النصيحة بينهم يحفظ بها المجتمع من الغرق.

قال النبي عليه الصلاة والسلام، كما في حديث النعمان عند الإمام البخاري: «**مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا فَكَأن الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذَّوْا بِهِ فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ فَأَتَوْهُ فَقَالُوا مَا لَكَ قَالَ تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنْ الْمَاءِ فَإِن أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أنجَوْهُ وَنَجَّوْا أنفُسَهُمْ وَإِن تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أنفُسَهُمْ**».

وقال الله جل في علاه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ

عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۞ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف:١٦٥-١٦٦].

و في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَأن لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إنهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بلسانه فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الإِيمان حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»، فدل على أن هذا النصح وهذا الأمر بالمعروف، يعتبر حفظًا للأمة بإذن الله عز وجل، وتعتبر بآية من الله عز وجل، وأنه جهاد كما قال رسول الله ﷺ: «**والمجاهد من جاهد نفسه**»، وفي الحديث المتقدم: «**من جاهدهم بلسانه فهو مؤمن**».

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا كما يحب ربنا ويرضاه.. أما بعد:

فإن من تلك الأسس المهمة لنصرة دين الله، التميز وعدم الغبش وعدم اختلاط الحابل بالنابل، فإن رسول الله ﷺ ما بعث إلا للتميز بين الحق والباطل وتمييز ذلك: «**ومحمد فَرْقٌ بين الناس**»، قال الله جل جلاله: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ

جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٧].

التميز بين المسلمين والكافرين، فيقول الله عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

ويقول الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

فمن موانع نصر الله عدم التميز بين المسلمين والكافرين، واختلاف ما بينهم ومودتهم. قال الله رب العزة والجلال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**». ، التميز هنا هو أنهم يفعلون كذا فلا تفعلون كذا، «**خالفوا المجوس**»، أو قال: «**خالفوا**

المشركين»، ورأى على عمرو بن العاص ثوبًا معصفرًا فقال: «**إنه من لباس الكفار إنه لا يحل لك**»، قال: أخلعه؟! قال: «**بل أحرقه**» والحديث في الصحيح.

فيجب تمييز المسلمين من الكافرين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود:١١٣].

من أعظم الأسباب لنصرة المسلمين التميز، والعداوة بينهم وبين الكافرين وتحقيق العداوة بينهم.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۞ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء:٧٤ـ٧٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية:١٨ـ١٩].

ويقول الله عز وجل: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة:١٠٥].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:٨٩].

ويقول الله تقدس اسمه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن أُولَئِكَ إِذَا كَأن فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

هل يجوز لأحد أن يبقي مقتربًا من هؤلاء، من أفكار هؤلاء، محبًا لهؤلاء، هذا والله من أعظم أسباب هزيمة المسلمين، قال الله جل في علاه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٧].

وقال الله جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٢].

وقال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:٦٣].

نعم، يخبر الله أن هذه المحادة تسبب الذل في الدنيا، قال الله رب العزة والجلال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة: ٢٠].

وثبت من حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال «**وما نكثت أمة عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فيأخذ ما في أيديهم**».

هذه أمور يجب الانتباه لها، لمن أراد نصرة دين الله، إن هذا من الأمور المهمة، التمييز بين المسلمين والكافرين، والمعاداة، والولاء والبراءة بينهم من صميم القلوب، بل والتميز بين المبتدعة والسنة، بين المبتدع والسني، فأن النبي ﷺ، قد كان يحث على التمسك بالسنة ويحث على أخذها وينهى عن مخالفة ذلك، فقال ﷺ في الخوارج: «**كلاب النار، كلاب النار، شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى من قتلوه**».

وقال ﷺ في القدرية: «**مجوس هذه الأمة، أن ماتوا فلا تشيعوهم، وإن مرضوا فلا تعودوهم**».

وقال ﷺ: «**ستفترق هذه الأمة علي ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**». ثم بيّن هذه الواحدة من رواية أخرى: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

فلا يجوز لأحد أن يبقى ملتبسًا عليه الأمر مع المنافقين ومع الجاهلين، ومع الرويبضة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**قبل الساعة سنوات خداعة يخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن وينطق فيها الرويبضة**»، قالوا:

وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: «**السفيه يتكلم بأمر العامة**».

يأتي ذلك الجاهل، يأتي ذلك الحزبي، يأتي ذلك الديمقراطي، يأتي ذلك الأعمى، ثم يتكلم في أمور العامة، إن هذا من أسباب نصرة دين الله، هذا لابد من تميز، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢].

ومن أسباب نصرة دين الله عز وجل القناعة في الدنيا، عدم التطلع إلى الأموال، عدم التطلع إلى مطامع الدنيا الفانية، فقد أسسهم رسول الله ﷺ علي ذلك، حتى قال لأبي ذر: «**يا أبا ذر لو أن لي مثل أحد ذهبًا لأحببت أن لا تمضي عليه ثلاث وعندي منه درهم واحد إلا درهم أرصده لدين**».

ورواه مسلم في صحيحه من حديث خالد بن عمرو أو خالد بن عمير ذكر رجلًا من أصحاب النبي ﷺ أنه خطبهم، فقال: إن الدنيا آذنت بصرم وإنه لن يبقي منها إلا كصبابة الإناء يصابها أصحابها، ثم قال: ولقد رايتنا، أنا وسعد بن أبي وقاص ليس لنا طعام إلا ورق الشجر، نأكله ولقد رايتنا وما أصبح منا بعد ذلك إلا وهو أمير.

فأنت انظر إلى أن النبي ﷺ أسسهم على طاعة الله، أسسهم كذلك على القناعة وعدم اكتساب الدنيا وبعد ذلك كانت لهم المكنة في هذه الدنيا.

وقال ﷺ: «**مَا ذئبان جائعان أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**».

فإذا فسد دينه، فأي نصر يتوقع من ذلك.

يقول عليه الصلاة والسلام كما ثبت من حديث زيد بن ثابت: «**مَنْ كانت الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كانت الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**»، والذي يفرق الشمل، أي خير يتوقع منه.

من أعظم الأسباب لنصرة دين الله: الاعتصام بكتاب الله على فهم السلف الصالح، وعدم التفرق في هذا الدين قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أن تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأن تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا**

وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ».

وأيضًا يقول رسول الله ﷺ: «**إن الله يأمركم بثلاث وينهاكم عن ثلاث، إن الله يأمركم أن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا ما ولاه الله أمركم ويأمركم أن تعبدوه لا تشركوا به شيئًا**». الحديث في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الاعتصام بكتاب الله وعدم التفرق، وعدم التشرذم، وعدم التحزب، وعدم فتح باب للأعداء على المسلمين، هذا من أعظم نصرة دين الله عز وجل يقول الله سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ * وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٩].

تحذير الخلق من الغي في الحق

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

في هذه الآية الكريمة أن الإنسان يتمني يوم القيامة، وبكل حرقة، ويعض على يديه أن يتخذ مع الرسول سبيلا، وطريقًا ومنهجًا حقًّا، وأيضا يتألم ويولول على اتخاذه أهل الباطل أخلّاء، وكل ذلك بعد أن ذكر هذا يعود إلى مذمة الشيطان، ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

فيعرف أن اتخاذه هؤلاء الأخلاء ما كان إلا عن طريق الشيطان وخذلانه ويعرف أن بعده عن الحق ما كان إلا عن طريق الشيطان وخذلانه، ويعرف أن خسارته تلك ما كانت إلا عن طريق الشيطان وخذلانه. وهذه الآية تبين مكر الشيطان للإنسان، وأنه يخذله عن الحق، وربما يرى أنه حق ويخذله عن الحق وهو يراه، ولكنه مخذول.

والمخذول وإن كان يرى الحق لا يستطيع الحصول عليه فقد يخذله حتى ينسيه نفسه كما قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩].

فإذا استحوذ عليه وأنساه ذكر الله، وذكر لقاء الله وعقاب الله وثواب الله، يكون قد أنساه الشيطان نفسه. ويكون قد سلط الله عليه بسبب ذنوبه، قال الله تقدس اسمه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر:١٨-١٩].

فبسبب نسيان الله، ونسيان ذكر الله، والانغمار مع الشيطان، وتسويلات وخطوات الشيطان ينسى الإنسان نفسه فلا يدري خلق من أجل عبادة الله أم خلق من أجل معصية الله. وإن كان يري الحق والباطل فإنه لا يستطيع التوصل للحق لأن الله أنساه نفسه.

أيها الناس: إن من تسلط الشيطان على بني آدم التخذيل وأنه يخذله عن الحق وعن التوبة وعن المبادرة بها ولا يزال يسبب له ذلك، وهو مأمور بالمبادرة بالتوبة قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور:٣١].

وهكذا يقول تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ* وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الزمر:٥٣-٥٥].

الله عز وجل يحث عباده، على التوبة إليه وعلى التعجيل بها، قبل أن يأتيهم عذاب الله وهم لا يشعرون.

الشيطان يخذل الإنسان عن التمسك بالسنة وعن العمل بها والحض عليها. الشيطان يخذل الإنسان عن طاعة الله ويحثه على الشرك قال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء:٢٢].

المعاصي من أسباب الخذلان ومن الشقاء، وترى كثيرًا خُذلوا عن الحق، وخُذلوا عن الدين، وخذلوا عن الاستقامة، وخذلوا عن قول الحق، وخذلوا عن السنة، وعن الخلق الحسن، وعن سائر ما يرضي الله سبحانه وتعالى، بسبب أنهم لم يعرفوا عدوهم الذي خذلهم، أو عرفوه ولم يعرفوا مكره.

أيها الناس: إن الشيطان إذا تسلط على الإنسان، فاستحوذ عليه، زين له مطامع الدنيا، ووعده بالفقر، قال الله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٨].

فلا يزال الشيطان في تخذيل الإنسان عن سلوك طريق الحق والتزود من العمل الصالح. فيزين له الباطل ويزين له الوساوس الشيطانية. وهكذا يزين له اللعب واللهو.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ

بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة:٩١].

فأحذر ـ أيها المسلم ـ على نفسك من تخذيلات الشيطان ومن خطوات الشيطان قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٢١].

من تخذيلات الشيطان أن يفوت عليك تلك الفرصة من تدبر القرآن، والعمل به، ومن الاستفادة منه، لهذا أمر الله عز وجل، بالاستعاذة به والفرار إليه سبحانه من تخذيلات الشيطان، فقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ * إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل:٩٨ـ٩٩].

وهكذا إذا أتى الرجل أهلة خذله عن ذلك، فإذا تواقع مع أهله فتخرج ذرية غير مرضية وغير ما يرضي الله سبحانه بسبب أنه لم ينصر الله سبحانه.

وهكذا عندما يأكل الطعام ولم يذكر الله يشاركه الشيطان في طعامه ذلك وأكل من طعامه ذلك، وإن خرج ولم يذكر الله خرج الشيطان معه في غايته، ولا يزال الشيطان يخذل بني آدم عن طاعة الله قال الله تعالى: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ

خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١١٨-١١٩].

إن أمر التخاذل قد تفشي بين الناس، التخاذل عن طاعة الله، والتخاذل عن الاستمساك بالحق، والتخاذل عن صد مكر الكافرين، والتخاذل عما ترونه مما هو ظاهر من الفساد، ولا يزال الشيطان يخذل الناس عنه، وجنوده أيضًا يخذلون الناس عن ذلك. فليس هذا إلا من تلبيسات الشيطان ونزغاته. إن من خذله الشيطان فقد تسلط عليه، إن من خذله الشيطان فقد أوبقه بالجرائم، إن من خذله الشيطان أبعده عن دين الله، هل أحد من الناس يشك في أمر التفقه في دين الله، يقول: إن التفقه في دين الله ليس بحق وليس بخير؟

أبدًا، كل مسلم يعرف أن هذا خير، ولكن الشيطان يخذل كثيرًا من الناس ويحجمهم عن ذلك، وهو يعرف أنه خير، حتى الجهال يتمنون العلم. وبتخذيلات الشيطان يبتعد الإنسان عن الحق.

التخاذل كله من الشيطان. وقد روى الإمام البخاري في صحيحه، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**انصر أخاك ظالما أو مظلومًا**»، قيل: يا رسول الله أنصره إذا كأن مظلومًا، فكيف أنصره إذا كان ظالما؟ قال: «**تأخذ على يديه**».

هذا من التناصر، وإبعاد التخاذل عن الناس، فإن الإنسان إذا خُذل عن طاعة الله سبحانه، وقومه أخوه، ونصره أخوه، فقد أعانه.

ألا من أعظم ما يدرأ عن الإنسان خذلان الشيطان لهو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى والتوكل عليه، والثقة به ونصرة دينه. إي والله ما نصر أحد دين الله فخذله الله قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣].

بنصرتهم لدين الله نصرهم الله، وأنزل الملائكة يدافعون ويقاتلون مع أصحاب رسول الله ﷺ ومع جنده.

قال الله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠].

فإذا خذلك الله سبحانه وتعالى، ببعدك عن طاعته، ببعدك عن العمل، تسلط عليك الشيطان، وتسلط عليك الأعداء، وتسلطت عليك نفسك الأمارة بالسوء، وتسلط عليك من أراد الله فتنتك به، بسبب فعلك وعدم نصرك لدين الله، قال الله جل في علاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

إن التخاذل ـعباد اللهـ ليس من شأن المسلم التخاذل، وتخذيل الناس عن الحق، وعن الاستمساك، وعن طلب العلم، وعن التفقه في دين الله، هذا ليس من شأن المستقيم، هذا من شأن المنافقين. فقد أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾

[التوبة:٤٧].

وقد أخبر سبحانه أن المنافقون يخذلون عن دين الله وعن نصرة دين الله في هذه الآية. يخذلون المستقيمين، ويخذلون الصالحين. التخاذل في هذا الدين من الشيطان، ومن أعداء الله عز وجل من اليهود والنصارى.

وقد أخبر الله عنهم أن الله أمرهم فخذل بعضهم بعضًا، قولوا حطة فاما قالوا حطة. وقالوا: حنطة في شعرة، ولما أمروا أن يدخلوا منكسين رءوسهم، فدخلوا وهم رافعون رءوسهم يضحكون، كل ذلك من تخذيل بعضهم لبعض، ولا يزال الشيطان له جنود في كل زمان ومكان، يخذلون بعض الناس.

إي والله! قال الله جل جلاله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام:١١٢].

وقال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١].

فلا بد للمسلم أن يرجع لدين الله، وقد أخبر رسول الله ﷺ، من حديث ثوبان ومعاوية وغيرهما، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تزال طائفة من آمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم**».

فأنت ترى كثرة المخذلين، وكثرة المخالفين، ومع ذلك الاستمساك

بالحق، ونصرة دين الله، ونصرتك لدين الله فإن هذا لا يضرك أن شاء الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

أيها الناس: إن تخذيل الشيطان للناس، تخذيل الشيطان، وأعوان الشيطان، وتخذيل بعضهم لبعض عن الحق وعن السنة، وعن التفقه في دين الله، ولكن الله سبحانه وتعالى قد حفظ دينه بمن لا يزالون على الحق ظاهرين كما أبان ذلك رسول الله ﷺ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له.

ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ .. أما بعد:

وقد أخبر الله عن المشركين، وعن تخذيلاتهم عن هذا الحق، يقولون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦].

ويقول الله سبحانه وتعالى عن تخذيل الشيطان: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج:٥٢].

قال أهل التفسير في هذه الآية، إذا قُرئ القرآن أتى الشيطان يخذل الناس عن تدبر القرآن، ويحول بينهم وبين الاستفادة من القرآن حتى إنه يحول بينهم وبين الإسلام. وهكذا أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

ويقول: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

فيخذلون الناس عن رسول الله ﷺ ولا يزالون كذلك حتى فضحهم الله في كتابه الكريم.

وهكذا ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام، أن ثلاثة كانوا عند الكعبة اجتمعوا فقال أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا، قالوا: يسمع بعضه ولا يسمع الآخر، وقال بعضهم: إن سمع بعضه فسيسمعه كله فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ* وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت:٢٢-٢٣].

فهذا شأن المنافقين، وشأن أعداء الله، الخذلان والتخاذل عن الحق. فالحذر الحذر عباد الله من التخاذل عن الحق، ومن الخذلان فيه، فإن الله سبحانه وتعالى قد ذم من سبقكم من الكافرين والمنافقين، بهذا الذي حصل

عليهم من التخاذل عن الحق، وعن التوبة، وعن الاستقامة، وعن التفقه في دين الله، إي والله عباد الله!

إن الله يريد بعباده الخير قال الله رب العزة والجلال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥].

ويقول الله سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٦-٢٧].

فأصحاب الشهوات أصحاب زيغ وتخذيل ولا يزالون على هذا الشأن، يقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٧-٢٨]. والحمد لله.

إرشاد المسلمين

في التحذير من الغي في الدين

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه في صفات المتقين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]. وفي قراءة: ﴿إذا مسهم طيف من الشيطان﴾.

ففي هذه الآية صفات المتقين، وشأن المتقين، وآداب المتقين، أنهم غير معصومين، ولكن إذا مسهم طائف من الشيطان، إما برياء، وإما بغرور، وإما بذلة بأي ذنب من الذنوب ذكروا الله.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥].

هذا شأنهم أنهم أوابون إلى الله، رجّاعون إلى الله. هكذا هو شأن المؤمنين المتقين.

وأما الضُلال من الجن والإنس فيمدون أصحابهم بالغي، كما ذكر الله سبحانه في هذه الآية: ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٢].

فلا هؤلاء يبصرون ولا هؤلاء يبصرون، لكن مع هذا كله فإن الإنسان يذكر الله، المؤمن، يذكر الله عز وجل، ويقصر عن مد الشيطان، وعن مد شياطين الجن والإنس، ولا يعبأ بذلك التعاون القبيح، وإلا فإن الشياطين كانوا يمدون الكفرة، فيمدون فرعون ومن على شاكلة فرعون، ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٢].

هذه الآية تدل على أن كل من دعا إلى ضلالة يجد من يمده، ويجد من يؤازره، ويجد من يدفعه، ولو كانت ضلالته كالشمس، قال الله عز وجل: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٢].

أيها الناس: أنت لا تغتر بكثرة من يدافع عنك وأنت على غير سنة، فإنه لابد أن يعود الإنسان ويئوب إلى كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، حتى يعلم نفسه، وإلا عرض نفسه للغواية والغي، وصرف الله قلبه بسبب ذلك الغواء، قال الله تبارك وتعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦].

سيصرف الله عز وجل عن آياته هذه الأصناف أيا كان من اليهود أو النصارى أو من المشركين كل من أعرض عن ذكر الله أشقاه الله. كل من أعرض عن ذكر الله انتقم الله منه، قال الله تقدس اسمه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن

ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢].

فسماهم الله عز وجل مجرمين، ووعدهم الله عز وجل بالانتقام. قال الله جل في علاه: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٧].

فإياك أيها المسلم! أن تقاتل أمة الكتاب والسنة، وتنشر الغي والغواية، فإن الدين قد استبان، وأوضحه الله عز وجل غاية الوضوح والبيان على لسان رسوله وفي كتابه الكريم فقال الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، قد تبين الرشد من الغي.

أنت تعض على يديك يوم القيامة، أنت تندم علي ما تليت يوم القيامة، إذا لم تكن من المستقيمين، وإن أنت أطعت الغاوين قال الله جل جلاله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص:٦٢-٦٣].

هؤلاء الناس هم الذين أغوينا، أغويناهم كما غوينا، كما أنا غوينا بأنفسنا، أغوينا هؤلاء الناس: ﴿أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ

رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام:٢٧].

وقال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * // قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ [سبأ:٣١-٣٢].

خصام بين هؤلاء وهؤلاء، فأنت يجب عليك أن تتجرد للحق أيًا كان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هذا الذي ينبغي. وإلَّا فمشركو قريش، ومنهم أبو لهب -من زعماء مشركي قريش- كان يزعم أن رسول الله ﷺ يدعو الناس للغواية، فقد ثبت أن أبا لهب كان يتبع الرسول ﷺ إذ كان يذهب ويدعو الناس في سوق ذي المجاز، ويتبعه أبو لهب ويرجمه بالحجارة ويقول: يا أيها الناس! احذروا فإنه قد غوي لا يغوينكم عن آلهتكم.

قال الله رب العزة والجلال: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص:٦].

نعم هكذا شأنهم، ليس كل من ادعى دعوة يكون فيها مصيبًا، ماذا به، يعرضها على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ. وإلا فيخشى على أن يكون ضالًا من أولئك.

يقول الله سبحانه: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٥ـ١٧٧]، يا هول مصيبة الغاوين، يا هول مصيبة الغاوين.

إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء:٨٧ـ٩١].

انتبه من الغواية، فإن جهنم تبرز وتظهر وتبين للغاوين قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشعراء:٩٠ـ٩٣].

إن هؤلاء الذين يغوون ويغوون غيرهم يوم القيامة يحصل تبرؤ بعضهم من بعض.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة:١٦٦].

المسألة ما هي مسألة قبلية ولا عصبية، إنك ستقف يوم القيامة لا ينفعك أبوك ولا أمك ولا قريبك ولا أقرب قريب إليك. يقول الله سبحانه وتعالى مبينا ذلك: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٧].

كل واحد عنده من الهول ما يكفيه ومن الذنب ما يخيفه وما يرعبه وما يجعله في غاية الخوف في ذلك اليوم.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾، هؤلاء ما هناك أقرب منهم، ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾، وذكر أقرب الأقرباء يفر منهم الإنسان في ذلك اليوم، فأنت تكون على حذر من الغواية، لهذا ربنا سبحانه وتعالى أمرنا أن نقوم العدل والقسط على أنفسنا، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥].

﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾، الله أولى بالناس، الله أولى بعباده وأرحم بعباده، إنما أنت تقول الحق، والله يتولي الصالحين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٧].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٦].

عباد الله! هذا أمر لابد منه، أن الإنسان ينظر يوم القيامة على ماذا يقدم، فلا يعرض نفسه للغواية في دينه، ولا في فعله، ولا في حركاته، ولا في سكناته، ولا في دعوته ولا في معتقده، فإن الغواية على أصناف شتى، ونسأل الله السداد والسلامة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.. أما بعد:

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه، من حديث عدي ابن حاتم رضي الله عنه، أن خطيبًا خطب الناس، فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**بئس خطيب القوم أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى**» وأنكر عليه إشراك الضميرين، وأبان عليه الصلاة والسلام أن من يعص الله ورسوله فقد غوى. فمن يعص الله ورسوله في نفسه فقد غوى، ومن يعص الله ورسوله في ولده فقد غوى، ومن يعص الله ورسوله في صغيرة أو كبيرة فقد غوي، سواء عرف ذلك أم لم يعرف، وزعيمه في تلك الغواية الشيطان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ

رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر:٣٩-٤٤].

وأنت انظر، الضمير إلى أين يعود، يعود إلى الغواة، موعد الغواة أجمعين، قال الله تقدس اسمه: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، من الشيطان وما دون الشيطان، أبواب جهنم السبعة كلها تمتلئ بالغواة من كفرة وضلال مبتدعة بلغ بدعتهم الكفر، وما كان دون ذلك فهو معرض للنار.

عباد الله: إن الله عز وجل لما أرسل نبيه نزهه وطهره ونقاه عن الغي، فإن من كان غاويًا لا يصلح داعيًا للناس.

كيف يدعو الناس بالبر وليس من أهله؟ هذا من أقبح القبيحات، من أقبح الأمور، ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٤٤].

ولهذا نزه الله نبيه عن الغواية، قال الله جل في علاه: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:١-٤].

هذا الذي أتاكم به ليست به غواية.

نبي الله هود قالوا: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ

ﭐلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف:٦٧-٦٨]، ناصح آمين.

وروى أهل السنن وابن أبي عاصم، في السنة، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إنني أخاف عليكم من بعدي فروجكم وبطونكم ومضلات الأهواء**»، فروجكم وبطونكم ومضلات الأهواء، هذه من أسباب الغواية، الأصناف الثلاثة، البطون والفروج، ومضلات الأهواء، يزعم أنه يحسن صنعًا ويعتقد أنه على طريقة مرضية عند الله، هذا مما يخافه علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا فليحذر كل إنسان على نفسه مضلات الأهواء.

يحذر كل إنسان على نفسه من ذلك، سواء كان مجالسة ذوي الأهواء، أو كان أيضًا الربا بالباطل والسكوت على المنكر أو كان بالجهل والإعراض عن العلم، أو كان بالتيه والزيغ والباطل. وإن أناسا كان الله سخرهم لإتباع الباطل، وكأن الله قيضهم بذلك، فما إن يسمعوا النصيحة والموعظة فيأتوا بخلاف ذلك، إلا ويأتون بضدها وينهون عنها، وإن لم يكونوا ينهوا عنها.

فيا عباد الله: إن مما سمع أهل اليمن خاصة، وفي سائر بلاد المسلمين عامة، ما يتعلق بتقليد الكفار، والتشبه بالكفار، وتلك المظاهرات، وتلك الزوبعة التي يفعلها هؤلاء، إنما هي من عند أعداء الله، ولا يؤمن ذلك أن يكون مدفوعًا بمال، وأن يكون الغربيون من يهود ونصارى يبذلون

المليارات لتحقيق هذا التشتت من أجل أن لا..

الحذر من الإعراض، فإنهم يعرضون أنفسهم للانتقام، يعرضون أنفسهم للغواية، فقال الله جل جلاله: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٨٣]، والله! لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، ليس مأمونًا عليهم من مكر رب العالمين، إذ سمعوا النصيحة تلو النصيحة، وهم يلقونها خلف ظهورهم، ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، فيستمعون الأغاني ويقلدون الكفار، ويذلون أنفسهم في الطرقات، ويمتهنون دين الله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا. وهكذا سائر من أعرض عن دين الله يتخبط من حين إلى حين، من أعرض عن ذكر الله يتخبط، من الآثم في كتاب الله وسنة رسوله ـيا معشر المسلمينـ أسأل الله السداد والتوفيق لما يحبه ويرضاه.

الحمد لله قلنا في هذا الكلام: أبواب جهنم سبعة تملأ بالكفرة أو نحو هذا، والدليل ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الحجر:٤٤]، أما أبواب الجنة فثمانية كما قال الرسول ﷺ: «**من كان قال: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله) فتحت له أبواب الجنة الثمانية..**»، هذا والحمد لله.

طهارة الباطن

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله تبارك اسمه وتعالى جده عالم بمن خلق، قال رب العزة والجلال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

عالم بما في الصدور، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات:٩-١١].

مطلع على الظواهر والسرائر، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور:٢٤-٢٥].

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٦٥-٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ

لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ [فصلت:١٩-٢٤].

إن هذه الأدلة، فيها أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما نحن فيه من خير وشر، وظاهر وباطن، فكان الواجب على هذا العبد أن يلازم الطهارة ما كان ينظر إليه رب العالمين سبحانه وتعالى، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إن الله لا ينظر إلى أموالكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**». الحديث. فهذا موضع ينظر الله فيه من حيث الطهارة وعدمها. وحتى الأجساد أمر الله سبحانه وتعالى بتطهيرها فضلًا عن الدواخل والبواطن والقلوب والنفوس. فقد أمر الله نبيه من بداية الرسالة والنبوة قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ [المدثر:١-٧].

فأمره الله عز وجل في هذه السورة أن يجمع بين الطهارتين، الطهارة الظاهرة والباطنة، اللتين هما من أعظم الأسباب لمحبة الله سبحانه وتعالى، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ

فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة:١٠٨].

وقال الله تقدس اسمه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢].

فأبان الله أن من توافرت فيه الطهارتان ـ توافرت فيه طهارة الظاهر والباطن ـ كان مستحقًا لمحبة الله سبحانه وتعالى. لذا فقد أثنى الله على مريم عليها الصلاة والسلام، أثنى الله على مريم عليها السلام، فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ * يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران:٤٣].

فكان من نعمة الله عليها أن طهر الله ظاهرها، وأن طهر الله باطنها حين أن قالت: قال الله جل في علاه: ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم:١٨].

وقال الله جل جلاله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٤٧].

فهي طاهرة من الفاحشة، وهي طاهرة أيضًا من الأنجاس والأرجاس

وهكذا قال الله عز وجل لنبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ

إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ * وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٤-١٢٥].

فأمر الله نبيه إبراهيم بأن يطهر بيته الطهارة الحسية والمعنوية، فالطهارة الحسية من الأقذار وما إلى ذلك، والمعنوية من الأوثان، قال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج:٣٠].

وهكذا جاء مطهرًا لبيت الله، وداعيًا إلى توحيد الله، فقال الله رب العزة والجلال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠].

وهكذا نزه الله عز وجل عيسى عليه السلام من أن يكون بين قومه يؤذونه في دينه، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران:٥٥].

نبهه الله عز وجل من ذلك الحال الذي كانوا فيه من الأنجاس الحسية والمعنوية التي من حصلت فيهم ولا تتوافر فيهم محبة الله عز وجل سبحانه.

أيها الناس: إن مسألة طهارة الظاهر والباطن من الأمور العجيبة جدًّا في هذا الإنسان، ولا تتحقق إلا فيمن أراد الله به خيرًا. لا تتحقق طهارة الظاهر والباطن بما فيهما من معانٍ واسعة من توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، ومجانبة أنجاس الشركيات، والبدع والخرافات، تطهير القلوب من الحسد والكبر والبغي والتعالي، تطهير الأجساد من الأوساخ والقاذورات والأنجاس. هذه أمور شاملة حياة الإنسان من صغره إلىٰ كبره، من أعلاه إلىٰ أدناه، لا يمكن أن لأحد أن ينجو ما لم يطبق أوامر الله سبحانه في الطهارة من هذه الأمور.

ولقد كان رسول الله ﷺ في غاية الاهتمام في تطهير أصحابه من لوث الاعتقاد، فقد كانوا خارجين إلىٰ حنين فمروا علىٰ شجرة يعلق المشركون عليها سيوفهم للبركة فَقَالُوا يَا رَسُولَ الله اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: سُبْحَانَ الله هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

وبايع أناسًا وأمسك عن واحد لأن عليه تميمة فلم يبايعه حتىٰ قطع تلك التميمة، وهكذا: إنكم تشركون إنكم تنددون، تقولون: والكعبة وتقولون: ومحمد، فنهاهم رسول الله، ﷺ عن هذه الأنجاس الداخلية، التي هذا جزء منها وليس كلها.

وهكذا رسول الله ﷺ جعل يصحح عقائدهم ويزيل أوساخ قلوبهم من دعوة جاهلية، فقد روىٰ الشيخان من حديث أبي سفيان أن

الرسول ﷺ كان بالصلاة والبر والآداب والصلة.

فلما جاءه ﷺ ذلك الرجل فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ادنه فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ قَالَ لَا وَالله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ قَالَ لَا وَالله يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ قَالَ لَا وَالله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لَا وَالله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ قَالَ لَا وَالله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

أمر مهم في حياة الإنسان جدًّا أن يهتم بالطهارتين، وكم ترون من الناس لا هم لهم إلا طهارة واحدة فتراه يتلوث بكل بلوى دون أي اعتناء.

طهارة الظاهر والباطن أمر متعبد به بإذن الله سبحانه وتعالى، فمن طهارة الظاهر ما أمر به رسول الله ﷺ من الوضوء والغسل والتيمم، وعدم دخول المساجد بالقاذورات، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**». وجاء أيضًا في لفظ: قبل كل وضوء أو عند كل وضوء، وهذا الأخير الذي عند كل صلاة أقوى.

وهكذا قالت عائشة حين سئلت: بمَ كان رسول الله يفتتح إذا دخل بيته قالت يدخل فيبدأ بالسواك على فيه. يبدأ بالسواك، وإذا قام من الليل، يشوص فاه بالسواك.. وهكذا، جاء عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**إذا قام أحدكم يصلي يقرأ القرآن فإن الملك يدنو منه حتى يضع فمه على فمه فطهروا أفواهكم بالقرآن**».

طهارة الظاهر أمر مطلوب «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**» جاء في السنن من حديث عائشة رضي الله عنها.

ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخل المسجد شيء يتأذى منه الناس من القاذورات، من الفم أو من أي جزء من أجزاء الإنسان، لما فيه من أذى، فقال: «من أكل ثومًا أو بصلًا فلا يقربن مسجدنا. وجاء عن عمر أنه كان يخرجهم إلى البقيع، فقال: من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنا ولا يقربن مسجدنا. نهاهم أن يحصل منهم شيء يشين ظواهرهم فضلًا عن البواطن.

الطهور شطر الإيمان.

وإنك حين تقرأ هذه الأدلة من القرآن والسنة تتعجب. كيف جعل الله عز وجل محبته للمتطهرين، ذلك لأن طهارة الظاهر والباطن، تستوعب الإنسان من حيث الخيرية. من حيث التوبة والاستغفار والإقلاع عن المعاصي والبعد عما يشين القلوب. ومن حيث تعظيم الله سبحانه وتعالى لتعظيم طهارة الظاهر. فلترى نعمة الله عليك.

هكذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفضالة بن عبيد: فليُرَ أثر نعمة الله عليك.

وروى مسلم في صحيحه، من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال مبينًا أن الطهارة هي الفطرة والفطرة هي الإسلام، قال الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٠].

«**خمس من الفطرة: الختان والاستحداد، تقليم الأظافر، وقص الشارب وإعفاء اللحية**» هذه أمور جعلها رسول الله ﷺ عن وحي ربه، من صميم الإسلام، من الفطرة.

الطهارة كان رسول الله ﷺ يلازمها، حتى قبل النوم، ففي الصحيحين من حديث البراء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ اللهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ اللهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ قَالَ فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا بَلَغْتُ اللهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ وَرَسُولِكَ قَالَ لَا وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**».

هكذا رسول الله ﷺ، كان يلازم الطهارة؛ لأنها من مكفرات الذنوب، ففي مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ألا أدلكم علي ما يمحو به الله الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلي يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء على المكاره. وكثرة الخطى للمساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط..فذلكم الرباط**».

وأنت في بيتك تعتبر مرابطًا، هذا رباط، كيف بمن يموت مرابطًا في سبيل الله، فقد جعل الله ذلك الطهور، ذلك الطهور رباطًا من ضمن الرباطات في سبيل الله، يربط نفسه على تلك الطاعات، التي هي يسيرة على من يسره الله.

«**الطهور شطر الإيمان**» شطر الإيمان، هكذا رسول الله ﷺ يقول.

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عثمان عن النبي ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ، ثم توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قال: «**من توضأ نحو وضوئي هذا غُفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت مشيته للمسجد وصلاته نافلة**».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن أمتي يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثر الوضوء**»، وقال: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**» قال أبو هريرة: فمن استطاع أن يطيل غرته فليفعل.

لتعلم أخي في الله أن أسباب الخير كثيرة وأن الله قد أنشأها لعباده المؤمنين. ويصرف عنها كثير ويحرم منها من لم يرد الله به الخير.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا توضأ العبد المسلم أو قال: المؤمن فغسل وجهه خرجت خطايا وجهه مع الماء، أو قال مع آخر قطرة ماء فإذا غسل يديه خرجت خطايا يديه مع الماء، أو قال مع آخر قطرة ماء، فإذا غسل رجليه خرجت خطايا**

رجليه مع الماء أو مع آخر قطرة ماء».

حتى يصير نقيًّا من الذنوب، أي من الصغائر، قال الله عز وجل: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢].

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لبلال: «**يا بلال أخبرني بعمل عملته، فإني سمعت دف نعليك البارحة في الجنة قال يا رسول الله مالي من عملي، غير أني كنت كلما تطهرت طهورا صليت ما كتب لي بذلك الطهور**»، جاء في رواية أخرى خارج الصحيح أنه قال: «**فبذلك**». بسبب تلك الطهارة نلت ما نلت من خير، نلت ما نلته من الدرجات في الجنة. دف نعليه في الجنة من ذلك الطهور الذي هو طهارة الظاهر فضلًا عن طهارة الباطن التي سيأتي الكلام عنها إن شاء الله.

عباد الله: هذه أمور مهمة في حياة الإنسان يصرف عنها كثير من الناس، ولربما تمرغ في المعاصي، ولا يصل إليها..

كالعير في البيداء يقتلها الظمأ ... والماء فوق ظهورها محمول

الطهارة يحب الله سبحانه وتعالى صاحبها، قال الله تقدس اسمه: ﴿إِنَّ

ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢].

هذا شأن النبي ﷺ، أنه عليه الصلاة والسلام، كان يلازم الطهارة فقال: «**ولا يحافظ على الوضوء إلا مسلم**» أو قال: إلا مؤمن. وجاء هذا عن عدة من الصحابة عن ثوبان وابن عمر، والحديث لا بأس به إن شاء الله، شاهدنا منه أن من لازم الطهارة شهد له رسول الله ﷺ بالإيمان. بينما النصارى تراه يتبول، تراه يتنجس ثيابه لعدم إيمانه بالله. وهكذا كل من لم يكن عنده إيمان لا يبالي بما يتعلق بالطهارة في ظاهر ولا في باطن.

أمر مطلوب في حياة الإنسان أن يهتم بظاهره وباطنه، فقد أبان رسول الله ﷺ أن الطهارة من أمور هذا الدين وأنها مهمة جدا حتى أنه ﷺ إذا ذهب المذهب أبعدولا يغسل ولا يمسح على نعليه ولا جوربيه إلا بعد الطهارتين.. «**دعهما، فإني أدخلتهما طاهرتان**»، أي بوضوء كامل، كما في الصحيحين من حديث المغيرة إن شعبة رضي الله عنه.

وجاء في الصحيحين: أن رجلًا بصق في قبلة المسجد فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى رؤي الغضب في وجهه، ثم أخذ حصاة فحكها، وفي رواية حكها بعود، وطيبها بطيب، ثم قال خارج صحيح مسلم: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والأذى، ثم قال: إذا قام أحدكم يصلي فلا يبصق قِبَلَ وجهه فإن الله قِبَلَ وجهه**». وروى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «**البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها**».

وثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ

قال: «**إذا دخل أحدكم المسجد فلينظر في نعليه ثم ليمسحهما، ثم ليمسحهما، فإن رأى فيهما أذى فليمسحهما وليصل فيهما**». شاهدنا أن رسول الله ﷺ أمر بتنظيف النعلين حتى لا تدخل الأقذار إلى المسجد الذي أمر الله برفعته، ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور:٣٦-٣٧].

أمر الله أن ترفع عنه القاذورات، وأن ترفع بذكر الله، وأن ترفع بطاعة الله. هذا ما أمر الله سبحانه وتعالى.

الطهارة أمر مطلوب، فإن من تطهر، كان سببًا لفتح الجنة بالطهارة، لما روي في صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية**». الطهور سبب لفتح أبواب الجنة، وإن كان طهورًا بالظاهر فقط، دون تطهر الباطن لكن ذلك من لازمه.

وهكذا في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لا ينهزه إلا الصلاة، لم يخطُ خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما دامت الصلاة تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي**

فيه ما لم يحدث فيه». وروي الشيخان من حديث سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من تطهر يوم الجمعة، ثم مس من طيب أهله ثم أتي الجمعة فاستمع وأنصت ولم يفرق بين اثنين، وجلس في مجلسه ثم استمع وأنصت غفر له ما بينه وما بين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصا فقد لغا**».

الشاهد منه أن هذه الأمور مقرون بها الفضائل فيها، ومغفرة الذنوب فيها بطهارة الظاهر، وتنظيف الظاهر عن القاذورات، فضلًا عن دونها مما يتعدىٰ إلىٰ ذلك.

عباد الله: أمور مهمة في حياة الإنسان، يغفل عنها كثير من الناس، عن الطهارة وما يتعلق بها، نسأل الله السلامة والتوفيق لما يحبه ويرضاه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضىٰ.. أما بعد:

فيقول الله عز وجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

ويقول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ

أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٣].

وروى الشيخان في صحيحيهما من حديث النعمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»، وهكذا الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥].

و هكذا الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِى سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١٤-١٦].

ففي هذه الأدلة بيان من الله عز وجل أن طهارة القلوب وتطهيرها أمر لازم على هذا الإنسان. أن يطهر قلبه، ثم إن الله عز وجل أمر الله بالبعد عن الخضوع في القول حتى لا يحصل مرض في القلوب. فإن القلوب أمرها مهم. قال الله جل جلاله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:١-٢].

فاللهو كله صادر عن هذا القلب. قال الله تعالى: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة:٢٦٠] فالاطمئنان والرضا بقدر الله وما إل ذلك مما يرضي الله، أو مما يبغضه الله قد يكون ناشئًا عن القلوب، من الحسد والكبر

وما إلى ذلك.

«**الكبر غمط الناس وبطر الحق**»، ومن أين هذا يصدر؟

«**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، من أين يصدر؟

كل ذلك من القلب.

حتى الاعتقاد والنية، صالحة كانت أو فاسدة.. «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**». وثبت في السنن عن النبي ﷺ، من حديث يعلي بن أمية أن رجلًا أراد الغزو بعد أن نادى به رسول الله ﷺ وهو لا يستطيع الغزو، فذهب إلى رجل وقال: رسول الله ﷺ نادى بالغزو، ولا أستطيع الغزو، فهل لك أن تغزو عني وتأخذ سهمي؟ فرضي بذلك ولما دنا الغزو قال: لا أدري ما السهم ولا أدري ما السهام، ولكن حدد لي شيئًا أغزو به وأقاتل عليه، فحدد له خمسة دراهم، ثم ذهب يقاتل وغنم الناس، وأخذوا المغانم وأتى ذلك الرجل الرسول ﷺ، وقال: استأجرت هذا الأجير يقاتل عني، ثم إن الناس قد غنموا أترى أن أعطيه الغنيمة أم الخمسة دراهم، فقال رسول الله ﷺ: «**ليس له في الدنيا ولا في الآخرة إلا الخمسة دراهم**».

بسبب عدم تنزيه القلب من شوائب الدنيا ومطامعها.

وفي الصحيحين من حديث أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا التقى**

المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريص على قتل صاحبه».

بسبب أن قلبه تلوث بالغيظ على ذلك المسلم، تلوث، وحصل في قلبه ذلك الدخن.

«**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**».

القلب هو الذي يتلوث بالفتن، هو الذي يتلوث بالأنجاس، ولم يتطهر منها، هو مصدر الخير والشر.

ولقد كان رسول الله ﷺ يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك**»، فإن التغير كل التغير، والفساد يحصل من ذلك. فلابد للإنسان من الانتباه، الانتباه على ذلك القلب من النجاسات الواردة عليه بشتى أنواعها.

ثبت عن النبي ﷺ في مسند أحمد، عن ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يدعو ويقول: «**رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا لَكَ ذَكَّارًا لَكَ رَهَّابًا لَكَ مِطْوَاعًا لَكَ مُخْبِتًا إِلَيْكَ**

أَوَّاهًا مُنِيبًا رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي وَأَجِبْ دَعْوَتِي وَثَبِّتْ حُجَّتِي وَسَدِّدْ لِسَانِي وَاهْدِ قَلْبِي وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي».

يريد التطهر، الظاهر والباطن، فرسول الله ﷺ الذي نزل على قبله القرآن، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يدعو بهذا الدعاء في تطهير ظاهره وباطنه.

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه، عن النبي ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، وأشار رسول الله ﷺ إلى قلبه.

إنما يرفع الله سبحانه وتعالى العبد على قدر ما في قلبه ، لا يرفع العبد على قدر مظاهره، إنه لا يرفع العبد على قدر أكله وشربه، إنه لا يرفع العبد على قدر تكاثره في الأموال والجاه والنسل.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]«**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**».

وروى مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: «**إن الله يحب العبد التقي الخفي الغني**».

وكل هذا ينبعث من صميم القلب، أن يبقى محبًّا لطاعة الله تبارك اسمه وتعالى جده، بلا ظهور ولا كبر ولا فخر ولا رياء. فيجب علينا أن نهتم بطهارة الظاهر والباطن قدر المستطاع، هذا واجب من أهم الواجبات، وأسأل الله سبحانه وتعالى الإعانة على ذلك دائمًا وأبدًا كما كان رسول الله

ﷺ يبتهل إلى ربه، ويضرع إليه ويتوسل إليه في جميع حالاته من ليل ونهار، والله المستعان.

من تحقيق التوحيد
إضافة النعم إلى رب العبيد

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن من تحقيق الوحيد، إضافة النعم لرب العالمين، إضافة النعمة لمن أعطاها، النعمة التي أداها، وإن الله عز وجل خلق العباد لعبادته، ولحمده ولشكره، ولحسن الثناء عليه. قال الله رب العزة والجلال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٧].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:٢٠].

إن الله عز وجل قد ذم بني إسرائيل على إضافية النعم لغيره سبحانه وتعالى، وأهلكهم بذلك ووبخهم، وجعلهم عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن تذكر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣٠-١٣١].

عباد الله: إن الله مَنَّ عليهم بنعم لم يعرفوها، فذكرهم فلم يذكروها، وأوجب عليهم شكرها فلم يشكروها، فأخذهم الله بذنوبهم، ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:١٣٠-١٣١].

عليهم أن يتذكروا، ولكن غافلوا هذه النعمة وهذا التمكين من الله سبحانه وتعالى، أنهم إذا جاءتهم المؤن والأنصار، والأولاد والأموال قالوا لنا هذه، فأضافوا النعمة إلى أنفسهم، وأضافوا النعمة إلى قوتهم، وأضافوا النعمة إلى ذكائهم، وأضافوا النعمة إلى عبقريتهم، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون، فآخذهم الله عز وجل.

ولقد علمتم ما صنع الله بهؤلاء القوم، بقدر ما عندهم من الذل وعدم معرفة نعمة الله عليهم.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٠].

كل من لم يشكر الله عاقبه الله بذلك، ومن تلك الأمم جميعًا، لعدم شكرهم لله سبحانه وتعالى.

ومنهم من مسخهم الله قردة وخنازير. قال الله تقدس اسمه: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [البقرة:٦٥].

إن أمر شكر النعم لله سبحانه وتعالى، أمر لا يتحقق التوحيد إلا به.

يقول الله سبحانه وتعالى عن الكافرين: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [النحل:٨٣].

هذه نعم من الله ينكرونها ولا يعترفون بها لله سبحانه وتعالى، وإن تتوالت تترى عليهم.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إسرائيل أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ فقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا فقَالَ أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْإِبلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ قَالَ فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا وَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَعْمَى فقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ**

بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ فَقَالَ لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ».

وشاهدنا من ذلك الحديث العظيم أن ذلك الرجل الذي اعترف بنعمة الله عليه، ما نقص من ماله شيء، ولكن اعترافه بالنعمة كان من أسباب رضا الله عنه سبحانه وتعالى.

وعدم الاعتراف، والإنكار، لنعمة الله عليهما كان من أسباب

سخط الله عليهم قال الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل:٨٣].

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ صلى بهم، عام الحديبية، إثر مطر من الليل، فلما فرغ من صلاته قال، عليه الصلاة والسلام: «**أتدرون ما قال ربكم الليلة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، أي كوكب كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**». قال أهل العلم في هذا الحديث إن قال إن الكوكب هو الذي أنزل المطر، فإن هذا شرك أكبر، وإن قال إن هذا الكوكب إنما هو سبب من الأسباب، فإن هذا شرك أصغر، لأنه جعل ما ليس سببًا سبباً بغير دليل، هذا نوع من أنواع الشك الأصغر.

وأكد رسول الله ﷺ، حين كان ذاهبًا إلى حنين كَانَ أَيَّامَ حُنَيْنٍ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بِشَيْءٍ لَمْ نَكُنْ نَرَاهُ يَفْعَلُهُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَرَاكَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ فَمَا هَذَا الَّذِي تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ قَالَ: «**إِنَّ نَبِيًّا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَعْجَبَتْهُ كَثْرَةُ أُمَّتِهِ فَقَالَ لَنْ يَرُومَ هَؤُلَاءِ شَيْءٌ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ خَيِّرْ أُمَّتَكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ نُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ أَوْ الْجُوعَ وَإِمَّا أَنْ أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ الْمَوْتَ فَشَاوَرَهُمْ فَقَالُوا أَمَّا الْعَدُوُّ فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ وَأَمَّا الْجُوعُ فَلَا صَبْرَ لَنَا عَلَيْهِ وَلَكِنْ الْمَوْتُ فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ الْمَوْتَ فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ سَبْعُونَ أَلْفًا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَنَا أَقُولُ الْآنَ حَيْثُ**

رَأَى كَثْرَتَهُمْ اللهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ وَبِكَ أُصَاوِلُ وَبِكَ أُقَاتِلُ».

وفي رواية أخرى اختر لنا، فاختار لهم الموت قال فمات في ثلاث سبعون ألفًا.

فرسول الله ﷺ يضيف هذه النعمة إلى الله، وأن القوة والمال لا يكون إلا من ربنا، وأن القوة لا تكون إلا بالله وتوفيقه سبحانه وتعالى. يقول الله سبحانه عز وجل: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل:٥٣].

أيها الناس: إن من سبب اختلاف كثير من الناس، في هذا الزمان من الاشتراكيين الذين لا يعرفون لله قدرًا ولا يثبتون لنعمته شكرًا، ومن الناصريين، ومن العلمانيين، وأمثال هؤلاء الذين لا يعرفون الله سبحانه وتعالى في ليل أو نهار، هذه الاختلافات أثرت في كثير من الناس بإضافة النعمة لغير معطيها، إلى غير الله سبحانه وتعالى، قال الله جل في علاه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان:٢٠].

و يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣].

إن نعمة المال من الله، ونعمة النفس من الله، ونعمة القوة من الله، ونعمة الرزق من الله، ونعمة الولد من الله، لا يجوز أن تضاف النعمة إلى شخص، أو إلى قوة الإنسان أو إلى ماله أو إلى دمه، أو إلى عشيرته أو قبيلته،

أو إلى علمه، أو إلى غير ذلك مما سوى الله عز وجل.

قال الله جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ * إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ [فاطر:١٥-١٧].

وقال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥].

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه عن قارون: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ * وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص:٧٦-٧٧].

وأضاف النعمة إليه، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ *

فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ۞ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [القصص:٧٨-٨٢].

فأضاف النعمة إليه، وانظر ماذا كانت عاقبة قارون كان عاقبة أمره خسرًا.

في بداية الأمر قال الله عز وجل: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص:٨١].

من الذي ينصركم من بعد الله قال الله رب العزة والجلال: ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ [غافر:٢٩].

من الذي ينصركم من بعد الله في الدنيا والآخرة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [هود:٥٧].

وقد قيل: (من استغني عن الله طرفة عين فقد كفر بالله وصار من أهل الشرك).

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم مبينًا وجوب إضافة رزق الله وإضافة النعمة إليه، قال الله عز وجل: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ

ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢].

احذر على نفسك ـأيها المؤمنـ أن تظن أن هذه النعمة لك فيها قليل أو كثير، وإنما هي منة من الله سبحانه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٢١].

النعم كلها لله سبحانه وتعالى أي نعمة كانت، فأضف النعم إلى الله، ويخشى أن تسلب إن لم تضفها إلى الله بحمده وثنائه في كلامك، قال الله تقدس اسمه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١].

من أعطاه الله نعمة فعرف نعمة الله عليه، فاعرف نعمة الله عليك.

قال الله جل في علاه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧].

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا سَلَّمَ يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ أَهْلَ النِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**».

وكان ﷺ يقول ذلك دبر كل صلاة.

حتى شكرك لله من الله، لو لم يوفقك الله لشكره، ما شكرته، لو لم يوفقك الله لذكره ما ذكرته، لو لم يعينك الله عز وجل على طاعته ما أطعته، لو لم يوفقك الله لخذلت، في كل حالة من الحالات فوض أمرك إلى الله كما قال الله تعالى: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر:٤٤].

يوسف عليه الصلاة والسلام حين نصره الله على أولئك المدعين المتقولين عليه، الذين يرمونه بما هو منه براء كبراءة الذئب من دمه، قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف:٣٨]. هذا بفضل الله وبمنته سبحانه وتعالى.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»، النبي ﷺ قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة**»، أي لا تحول لنا عن معصيته إلا بأمره، ولا قوة لنا على طاعته إلا بأمره.

هكذا لا حول للإنسان على أن يطيق شيئًا، أن يقوم بشيء بنفسه، الله سبحانه وتعالى هو الحي القيوم، هو الذي يقيم عباده، ولو لم يكن بالله ما كنت، ولا تستطيع أن تتكلم بكلمة، قال الله جل جلاله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن

يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٧].

وقال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨].

هو خير، وقال الله رب العزة والجلال: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف:٣٢-٣٤].

انظر إلي التبجح بالمال وإضافة النعم إلي النفس، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا * وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا * لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا * وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ [الكهف:٣٥-٤١]

خلاص انتهى، قال الله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٢].

بعد أن كانت فيها الأنهار وكانت فيها الثمار بدل ذلك كله انتهى وخرب، قال الله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٢].

احذر يا أخي أن تضيف النعمة لنفسك، احذر فإن هذا سبب تلف النعم، وزوال النعم، وحلول النقم، أضف النعمة إلى الله سبحانه وتعالى أيًا كانت، إي والله.. «**احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**».

الخطبة الثانية:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ تسليمًا كثيرًا أما بعد:

رسول الله ﷺ يوم بدر بات يدعو الله حتى سقط رداؤه من على كتفه، وهو يلح على ربه في الدعاء: اللهم.. اللهم.. وهذا كله يدل على الافتقار إلى الله وإضافة النعمة إليه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا

حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفًا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٩-١٩٠].

انظر كيف عاتبهم الله بل وبخهم الله عز وجل قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـًٔا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ [الحج:٧٣].

لا يستطيعون أن يخلقوا ذبابًا.. «**فمن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، وليخلقوا حبة، وليخلقوا شعيرة**» ما يستطيع أحدهم أن يخلق شعيرًا قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ ﴾ [الروم:٤]، الأمر لله سبحانه وتعالى والملك له. الحمد لله رب العالمين، فهو مالك يوم الدين.

كذلك من حديث سهيلة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج لأصحابه يقولون: ومحمد ويقولون والكعبة فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: إنكم تشركون، إنكم تنددون، تقولون: والكعبة. وتقولون: ومحمد. فنهاهم عن ذلك وقال: «**قولوا: ورب الكعبة**». مجرد قولهم إذا حلفوا: ومحمد. أو: والكعبة. نهاهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢].

وأهل العلم يقولون: إن كلمة لولا فلان، مثل قول بعضهم: لولا فلان لدخل الرزق علينا. أو لولا فلان ما افتقرت.. أو ما إلى ذلك هذا يعتبر إضافة لغير الله وهو شرك أكبر، فما بالك بمن يقول:

يوم من الدهر لم تصنع أشعته　　　شمس الضحى بل صنعناه

إن هذا المنكر قد شاع على أبنائنا في المدارس، وعلى طلاب المسلمين، أبناء المسلمين، ولربما تجده ذا لحية يكرره في منازله، وتجد نظائر هذا من إضافة النعم لغير الله سبحانه وتعالى، نسأل الله العافية والسلامة.

أيها الناس: يجب على المسلم أن يتحرى القول السديد. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

فضل السعي إلى الخيرات

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۞ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٨-١٩].

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠].

ويقول تقدس اسمه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥].

أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٦].

ففي هذه الآيات بيان أن الحياة الدنيا تستغل في السعي الحسن وأن الناس كلهم غادون، منهم من يسعى في خير ومنهم من هو عكس ذلك.

ففي حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها**».

فكن على أهبة في هذه الدنيا، وأسعى إلى ما يقرب من الله سبحانه وتعالى أيها المسلم!

يقول ربنا جل في علاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

فخسارة أيما خسارة أن لا يقضي الطالب في هذه الحياة ساعيًا جادًا إلى ما يعود عليه بفائدة في الآخرة.

قال جل جلاله: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٥].

أيها الناس: إن السعي في هذه الحياة الدنيا قد حث الله تبارك اسمه وتعالى جده عليه، وأثنى الله علي ذويه وأصحابه، السعي في مرضاة الله عز وجل. يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه:١٥].

فما من أحد إلا وسيجازي على سعيه يوم القيامة، سواء إن كان هذا السعي سعي خير، أو كان سعي شر. قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ * يَوۡمَئِذٍ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتًا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الزلزلة:٧-٦].

ومن السعي ما يكون واجبًا ومن السعي ما يكون مرغوبًا يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ

﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة:٩].

وليس المقصود الجري ولا الهرولة ولكن المقصود الجد والمسارعة والتبكير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة:٩].

هذا والله خير، السعي أمر الله به.

وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجزن. وإذا أصابك سوء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل**».

فإن من الحرص المحمود والسعي المشكور الذي ذكره الله سبحانه وتعالى المسارعة إلى طاعة الله والاستباق في ذلك.

إن السعي إلى ذكر الله سبحانه وتعالى، يتذكر الإنسان، سواء إلى ذكر الله أو إلى طاعته، يتمناه الإنسان يوم القيامة.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ * وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ * فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٥-٤١].

فأبان في هذه الآية السعي المشكور والسعي المذموم، وأن العبد يتذكر ما سعى يوم القيامة. يتذكر سعيه في الدنيا، ويتمنى أن لو كان له سعي خير

وعمل خير في هذه الدنيا. وربما وبلا شك يتمنى الرجوع إلى الدنيا حتى يفعل الخير. قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

ويقول رب العزة والجلال: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١].

وربنا يقول: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦].

أيها الناس: إن كثيرًا من الناس شغلتهم الدنيا عن السعي المحمود، سواء كان هذا السعي بالقول أو بالفعل فسجنوا في زخارفها وفتنها وسلاسلها، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد:٤].

الله سبحانه وتعالى أخبر.. الله سبحانه وتعالى أعلم بمصالح عباده.

﴿كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا * وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا * وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ * يَقُولُ * فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ [الفجر:٢١-٢٦].

من الآن أيها العبد المسلم.. من الآن أيها الناس.. من قبل أن يأتي ذلك

اليوم فتقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤]. قدّم، واسعَ في طرق الخير وسبل الرشاد من طلب علم وتفقه في دين الله، وسائر طرق الخير ووسائله، فإن الله قد جعل لك فسحة ما دمت على قيد الحياة. ولن تغلق عنك سبل الرشاد إلا إذا اخترته لنفسك وطلبته برضاك..

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد:١٠] وقال الله عز وجل: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

السعي المحمود هو الذي ينفعك يوم القيامة: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»، رواه مسلم عن أبي هريرة.. هل أنت ساعٍ في هذه الحياة لابد أن تنظر في نفسك وحالك.

«**يتبع الميت أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقي واحد يرجع أهله وماله ويبقي عمله**» متفق عليه. كن ساع فيما ينفعك واحرص على ذلك.

وقد أكثر الله عز وجل طرق الخير والسعي فيها لمن وفقه الله سبحانه. ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول: (لا إله إلا الله)، وأدناها إماطة**

الأذي عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

هناك طرق واسعة كثيرة، المحروم من لم يكن سابق في تلك الطرق بأعلاها وبأدناها.

إن السعي في هذه الحياة الدنيا هو الذي ينفعك في الآخرة السعي في العمل الصالح: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم:٣٩].

لا أحد سيعطيك حسنة يوم القيامة، ولا سينفعك سواءً كان قريبًا أو بعيدًا، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ*وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ* وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ*لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٧]..

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان:٣٣].

اللهَ.. اللهَ.. في السعي الصالح، والعمل الصالح في هذه الحياة الدنيا. فإن السعي الصالح في هذه الحياة الدنيا هو ثمرة المجد من حياته وإلا تكون قد خسرت حياة طويلة، حياة كلها تخسرها إن لم تجدّ في هذه الحياة في هذا الشأن.

إي والله! خسارة، أيما خسارة.. إلا لمن انتهز الوقت قليلًا أو كثيرًا وإلا من حمل همَّ العمل الصالح، هذا رأس ماله وهو ثمرته ومصلحته يستغلها في طاعة الله.. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩].

«من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة».

الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدًا، إن كنت أقبلت عليه، أقبل الله عليك، وأمدك وأعانك، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥]، سعيهم في العمل الصالح، أما من شغافهم ولهفهم لهذه الدنيا والانشغال بها، وإن هذا لو الله خطر عظيم، قد حذر الله سبحانه وتعالى منه، قال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠].

لا تزهد عن العمل الصالح ظاهرًا وباطنًا، بلسانك وحالك وأقوالك وأفعالك، كن راغبًا لله في كل ذلك، لا تُشغل عن العمل الصالح، لا تُشغل عن السعي الحثيث إلى الله سبحانه وتعالى، كلما تقربت إليه تقرب إليك، وكلما استعنت به أعانك، وكلما افتقرت إليه أمدك، وكلما لجأت إليه أجابتك، وكلما أحسنت في عملك لله سبحانه وتعالى وفقك، أصلح ما بينك وبين الله ظاهرًا وباطنًا وأبشر بتوفيق الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له.

ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ.

أما بعد:

فقد عوَّد رسول الله ﷺ أصحابه، والصالحين من أمته، على السعي الحثيث إلى الله عز وجل، وعلى المبادرة بالأعمال.. فعَنْ عُقْبَةَ قَالَ صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ فَقَالَ «**ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**بادروا بالأعمال، فتنًا كقطع الليل المظلم**».

أيها المسلمون: الفتنة اليوم أهون منها في الغد، والفتنة في الغد أهون منها فيما بعده، ولا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه.

يا من يسر الله له طلب العلم، أو يسر الله له العبادة، بشتى طرقها وأنواعها، انتهز هذه الفرصة، واحرص عليها واعلم أنك في نعمة، إن أنت أعرضت عنها يخشى عليك من فقدها، أنت في خير لا يعلمه إلا الله.

إن كثيرًا من المسلمين، قد حرموا هذه النعم التي يجعل الله بها المسلمين من أمن وأمان، التي يعيش بها المسلمون حياة هانئة، وتفقه في دين الله، ومثابرة على ذلك، وتفقه بالسنة، وعلم وعمل، لا يستطيع أن يتخلى منها.

في بعض البلدان الوضوء جريمة، فاعلم نعمة الله عليك، وسارع وسابق، واغتنم هذا الخير.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة:١٤٨]، وأثنى على المسابقين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧]، خيرات كثيرة استبقها. ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٨-٦١].

سارع، واغتنم هذا الخير، فإن أصحاب الدنيا لو أتوا سوقًا من الأسواق وكانت تلك السوق بها الأرباح، لرأيتهم يتسارعون ويتزاحمون عليها وكذلك يفعلون، فأنت في هذه الدنيا في حاجة للربح، والمسارعة إلى طاعة الله والتزود، من طاعة الله عز وجل في ليلك ونهارك وفي سرك وجهارك، وفي حركاتك وسكناتك، احذر أن تخذل، احذر أن تخذل، وأن تجالس المخذولين، فإنهم أصحاب تخذيل وخذلان، إي والله قد حذر الله منهم الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ

بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [التوبة:٤٧].

احذر أن تخذل عن الخير، فالذين خذلوا عن ذلك الخير ترددوا كثيرًا، وحرموا كثيرًا، وابتلوا في دينهم كثيرًا، بسبب الخذلان وعدم معرفة حق الله عليهم، وعدم المسارعة والمسابقة في طاعة الله سبحانه، إي ـ والله ـ إن هذا يعتبر آية من آيات الله قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف:١١١].

قد ذكر الله من الأمور الماضية ليتذكر من تذكر، وليتعقل من أراد الله به خيرًا، فانتبه أيها المسلم وأسرع في طاعة الله فإنك لا تدري متى تموت، اليوم أو غدًا أو بعد ساعة أو بعد قريب أو بعيد، وكل ذلك وأنت في حاجة للتزود من طاعة الله والعمل الصالح وبالله التوفيق لما يحبه ويرضاه.

أسباب الرزق

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: ثبت عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك وسهل بن سعد رضي الله عنه قَالَا: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ وَإِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ**».

وهكذا رسول الله ﷺ قد بينهم وإنما الأمر كله هو في معرفة تلك الأبواب بالتوصل إليها والدخول منها فإن من لم يفقه دين الله لا يعرف أبواب الخير أين هي ولو أرادها ولو أحبها الذي لا يفقه دين الله قد لا يجد أبواب الخير ويظن أن تلك الأبواب مسدودة عليه، ومثال على ذلك ترى الناس كما يقول النبي ﷺ «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ**».

يفتنون في هذا الجانب كثيرًا وهم يسعون جادين ويكدحون في ذلك على غيلر ما سنه الله تقدس اسمه قال الله جل في علاه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦].

فمن الناس من يكدح في الخير ومنهم من يكدح في ضد ذلك قال الله جل جلاله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد:٤].

من الناس من يكابد في الخير وسلوك أبوابه ومنهم من هو ضد ذلك

لذا كان لزامًا أن تبين تلك الطرق بنصوصها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢].

أيها الناس.. عباد الله.. إن النبي ﷺ قد قال: «**وَاللهِ! لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخَشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**».

وقد بين لنا ذلك رسول الله ﷺ فقد قال عليه الصلاة والسلام فَقَالَ: «**إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا**».

وقال كما في السنن من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**».

إن مسألة الرزق قد أفسدت أممًا كثيرةً من الناس ومسألة السعي في تحصيله قد أهلكت أممًا فمنهم من يقتل تلك القبيلة ومنهم من يسرق في جانبه يسلك في ذلك السبيل الجانب ومنهم من يغش ومنهم يخدع ومنهم من يكذب ومنهم من يقع في الخرافات ويهلك كل ذلك بسبب ذلك الجانب جانب تحصيل الرزق، وهو ـوالله ـ ما عرف طرقه الشرعية التي أرادها منه ربه الله رب العزة والجلال وإليك ما ذكره الله ورسوله في بيان هذا السبيل يقول الله سبحانه وتعالى مبينًا سببًا من أسباب حصول الرزق

الشرعي الذي هلك بجانبه كثير من الناس قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٢-٣].

فربنا الله عز وجل يبين في هذه الآية أن من يتق الله يجعل له مخرجًا ولفظة (مخرجًا) عامة فهي مخرجة من جميع المضايق، وقال فيها: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٣] هذا مخرج أبانه الله في كتابه الكريم وذم أهل الكتاب على أنهم لم يسلكوه قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٥-٦٦].

فأبان الله تقدس اسمه أن تلك الأمة لو أنها آمنت واتقت لرزقهم الله رزقًا واسعًا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال ربنا الله جل في علاه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦].

أخبر الله جل جلاله لو أن الأمم اتقت وآمنت لفتح الله عليها بركات من السماء والأرض والبركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء، وتلك البركات إذا حصلت في الأمم لا شك أن خير الله سيعم الناس فيتعايشوا في سعادة من رزق ومن غيره وهكذا يتابع الله تبارك اسمه وتعالى جده براهينه

وأدلته على العباد مبينًا لهم أن عبادته وحده من أسباب سعة الرزق على عباده قال الله رب العزة والجلال: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٧].

فبعد أن أمر الله بعبادته أبان الله سبحانه وتعالى أنه هو الرزاق المتين لكل من عبده كما دل على ذلك ولغير من عبده أيضًا، لكن ينبغي للعاقل المسلم المستقيم أن يرعوي لهذه الأدلة من باب أولى من غيره ثبت عند أحمد وغيره من حديث معقل بن يسار: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**».

هذا الحديث القدسي عن الله عز وجل وقد ثبت من حديث أبي هريرة بنحوه عن النبي ﷺ قال: «**يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ ولا تباعد عني فأملأ يديك شغلاً وأملأ قلبك فقرًا ولا أسد فقرك**».

فأبان النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه الله تبارك وتعالى أن الله تقدس اسمه يسد فقر من تفرغ لعبادته ولا يعني أنك تنزوي وتعرض عن العمل فإن ذلك من أحكام الشريعة وقد أمر الله عز وجل به قال الله جل في علاه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]وقال الله جل جلاله: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ

﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣].

وقال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ [مريم:٢٥].

لا يعني ذلك لكن المأمور به في هذا الحديث تفرغ لعبادتي إي لا تشغلك الدنيا عن عبادة الله بحيث أنك تصرف عن عبادة الله رب العزة والجلال فتشغل في الخشوع في صلاتك وتشغل عن أدائها قبلك وتشغل عن العلم الشرعي وتشغل عن ما أوجب الله عليك في دينك بين ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

فأبان ربنا الله سبحانه وتعالى أن من شغلته وألهته أمواله وأولاده عن ذكر الله أنه خاسر ولو تحصل على ما تحصل من هذه الدنيا يعتبر خاسرًا في هذه الدنيا فهذا هو معنى هذا الحديث القدسي العظيم الذي فيه تفرغ لعبادتي.. الحديث.

عباد الله: إن من أجل أسباب الحصول على الكسب الذي قد حث الله عليه في كتابه بقوله قال الله عز وجل: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥].

والذي قد حث الله عليه في كتابه بقوله الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ

أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٧٧].

من أسباب ذلك كله التوكل على الله تقدس اسمه فإنه من أجل الأسباب في سعادة الدارين روى الترمذي في جامعه من حديث عمر رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**».

وحال الناس الآن يعتمدون على الرواح بذاته لا على التوكل على الله فيزعمون أن رواحهم وغدوهم وذهابهم وذكاءهم ودهاءهم هو سبب الرزق، وذلك خطأ في المعتقد وإنما ذلك سبب من تلك الأسباب التي أذن الله فيها، والرزق من عند الله، والتوكل هو من أعظم ذلك.

ولما علم الله صدق توكل تلك المؤمنة الصالحة مريم عليه السلام رزقها الله وهي في المخاض وجعل لها تحتها سريًا: نهرًا يجري. قال الله جل في علاه: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم:٢٤-٢٦].

امرأة في حالة الولادة والتعب امرأة عاجزة ضعيفة يسقط الله عليها الرطب من تلك النخلة بمجرد ما تنفض يدها على تلك النخلة.

وهكذا زكريا عليه الصلاة والسلام قال الله عنه: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا**

زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧].

قال الله جل جلاله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ* تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧].

وقال الله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى:٢٧].

وهكذا يقول الله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:١٨].

فهو بمشيئة الله الله تبارك اسمه وتعالى جده، ويقول سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:١٨].

هذا في حق من كان لا يريد إلا الدنيا فقط.

عباد الله: هذا أتلف كثيرًا من الناس وأضاع كثيرًا من الناس، إن هذا أمر مهم قد بيّن لنا النبي ﷺ في أول دعوته وفي بداية دعوته ففي حديث أبي سفيان عن دعوة رسول الله ﷺ عندما سأله هرقل قال: ماذا يأمركم؟! قلت: يقول: «**اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا**

يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ».

العفاف عن الأموال المحرمة فإنها سبب لإتلاف كثير من الأمم؛ فقوم عيسى تلفوا بسبب أنهم قالوا: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:١١٢-١١٣].

من أسباب ذلك عاندوا الله عز وجل وشكوا في قدرته وصاروا كفارًا ونصحهم عيسى عن هذا القول الباطل ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ [الفتح:١١].

هلك المنافقون وما هلكوا إلا بسبب شغلهم بطلب الرزق، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

قال أبو أيوب إنما نزلت الآية في أن قومًا لما فتح على النبي ﷺ قالوا إن الله قد نصر نبيه فلنذهب نصلح أموالنا وهموا بذلك وأنهم سيتركون الغزو مع رسول الله ﷺ فأنزل الله تلك الآية: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا

تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

وأن التهلكة هي الإعراض عن ذكر الله وعن الغزو مع رسول الله والإقبال على الدنيا بذاتها هذا تهلكة كما تقدم: «**لَوْ أَنَّكُمْ تتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**».

إن من أعظم وأجل أسباب الرزق هو الإنفاق ولو من القليل فقد قال ربنا الله سبحانه وتعالى في سورة سبأ: ﴿**أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ**﴾ [المؤمنون:٧٢].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال الله عز وجل: «**أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»، أرشده الله بأنه سينفق عليه إذا هو أنفق، وهكذا جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**».

وفي مسلم من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى**».

وشاهدنا من الحديث وأن تبذل الفضل خير لك فبذل الفضل خير للعبد في دينه ودنياه.

عباد الله: جاء في مسند أحمد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبلال: «**أنفق بلال! ولا تخشَ من ذي العرش إقلال**».

وهكذا يقول النبي ﷺ لأسماء قَالَ: «**أَنْفِقِي وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ**».

النبي عليه الصلاة والسلام يأمر أسماء بالإنفاق وبأنها حتى لا تحصي ما أنفقت ولا تقول: قد أنفقت في باب كذا وكذا من المال وفي كذا من المال فيحصي الله عليك.

وهكذا ثبت من حديث أبي كَبْشَةَ الْأَنَّمارِيُّ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ**»، وللحديث شاهد كما تقدم من حديث أبي هريرة عند الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**».

عند الإمام مسلم رحمه الله تعالى هذا طرق يسير بها الإنسان سيرًا إلى ما يوصله إلى الله عز وجل ويعيش في سعادة ويكون في مرضاة ربه الله تبارك وتعالى وقد غفل بعض الناس وغفل ككثير من الناس بل جل الناس عن سبب عظيم لأسباب الرزق الحلال وذهبوا يهرعون ويتناولون المال بغير حله ذلك السبب العظيم هو صلة الرحم التي يقول عنها النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**».

وهكذا يقول عليه الصلاة والسلام من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ: مَهْ قَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ**».

وهذا الحديث عام فإن من وصل رحمه قد جاء الدليل الأول يبين أن صلة الله لامن وصل رحمه بسعة الرزق وبالنسأة والتأخير في الآجل ومن حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ**».

كذا يقول صلى الله عليه وسلم فغلت ـأيها المسلمـ عن سبب عظيم من أسباب الرزق الحلال، وذهبت تكتسبه من جمارك أو ربا أو رشوة أوغير ذلك مما حرم الله.

عباد الله: إن هذا سبب عظيم من أسباب الرزق ثبت من حديث عائشة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «**إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ**».

ما أحسن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب النفوس الزكية الذين لم تتدنس أرواحهم بما حرم الله عليهم.

إن هذه طرق عظيمة لمن سعى فيها أعني طاعة الله من الحلال الذي حث الله عز وجل على اكتسابه؛ ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال

إ«إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إسرائيل أَبْرَص وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَص فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا فَقَالَ أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الْأَبْرَص وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ قَالَ فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا وَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَص فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَص يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ فَقَالَ لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ

سَبيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَالله لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لله فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ».

شاهدنا أن هذا الذي قد رضي الله عنه لم يَتِرْهُ الله عز وجل عمله، ولن يتركه للفتن، ولن يجعله ذليلًا حقيرًا؛ بل إنه سيسبغ عليه نعمه لإن الطاعات من أسباب إسباغ النعم؛ قال الله جل في علاه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧].

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين قابل التوب وغافر الذنب شديد العقاب ذي الطول.

الحمد لله مالك يوم الدين خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أرزاقًا وضرب لهم آجالًا وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته نحمده الله جل جلاله على ذلك كله أما بعد:

عباد الله: فقد ثبتت أدلة كثيرة في هذا الباب ومن أعظم أسباب الرزق العفة كما تقدم ذلك، وكما ثبت من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال لأبي ذر رضي الله عنه: «**ماذا تصنع يا أبا ذر إذا أصابت الناس فاقة؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**تعفف**».

وأن العفة من أسباب سعة الله على عبده وهي مكمن نعم الله تعالى على العبد، ولقد شاع بين كثير من الناس أن طلب العلم الشرعي والتفرغ لذلك من أجل نفع نفسه وغيره أن ذلك يعتبر بلادة وأن ذلك يعتبر سذاجة وأن ذلك يعتبر ضياعًا في حق ذلك الإنسان، ولقد سمعنا من يقول بعض تلك التعبيرات، وهذا فهم قبيح يخالف ما ذكره رسول الله ﷺ في صحيح سنته من حديث أنس بن مالك قال كان أخوان على عهد النبي ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**».

ظن هذا المحترف أنه قد صار في القمة وأنه يحترف وأما أخوه فلا يحترف ولا يكتسب فأجابه رسول الله ﷺ: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**».

أنت ما يدريك يا ذلك الذي تنفق على طالب علم أن رزقك بسبب ذلك الإنفاق.

والله إن طالب العلم الذي قد جند نفسه لهذا الخير لتستغفر له حتى الحيتان في البحر ثبت من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنبياء إِنَّ الأنبياء لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

أمثل هذا يتركه ربك؟!

لا.. والله!

وثبت في سنن الترمذي من حديث عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ أَسْأَلُهُ عَنْ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ فَقَالَ مَا جَاءَ بِكَ يَا زِرُّ فَقُلْتُ ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ فَقَالَ: (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ). أمثل هذا يتركه ربك؟! لا.. والله! فأنت يا أيها الجاهل العامي اعلم أن الله تبارك اسمه وتعالى جده قد يرفع عنك كثيرًا من البلايا بأهل العلم، قال الله رب العزة والجلال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ

ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص:٨٠].

إن من أعظم أسباب حصول الرزق هو طلب العلم كما تقدم قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١].

ورفعة الله عامة ورفعة الله كما يحبها الله ويرضاها وكفى بذلك رفعة فاحرص على هذا الخير، احرص على هذا الخير، وكن أيضًا ساعيًا في حب المساكين والإنفاق عليهم؛ فإن ذلك من أسباب سعة الرزق عليهم وعليك، روى الترمذي في جامعه ـ والحديث صحيح ـ من حديث أبي الدرداء قال سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**ابْغُونِي الضُّعَفَاءَ فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**».

هؤلا ء الضعفاء الذين أمر رسول الله ﷺ بحبهم كما في حديث أبي هريرة قال: وأمرني بحب المساكين ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنز تحت الجنة. وهكذا يقول النبي ﷺ مبينًا أسباب طرق الخير بل الله سبحانه وتعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا * مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٠ـ١٣] .

ففي هذه الآية بيان من ربنا الله عز وجل أن الاستغفار وأن اللجوء

إلى الله وأن صدق النية مع الله من أسباب سعة الرزق في العيش وغيره وهذه وصية نوح لقومه أنهم إن أطاعوا الله حصل لهم ذلك الرغد وهكذا هود عليه يأمر قومه بطاعة الله ويبين لهم أن ذلك من الاستغفار وغيره هو سبب سعة رزق الله الذي كدوا وجهدوا من أجله بل ربما أعرضوا عن ذكر الله من أجله قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود:٥٢].

فتوالت نصائح الأنبياء عليهم الصلاةو السلام لقومهم بهذا الأمر العظيم موسى عليه الصلاة والسلام لما شكا عليه قومه فقالوا: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ * قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٢٨-١٢٩].

كانت نصيحة موسى عليه الصلاة والسلام لقومه أن يستعينوا بالله وأن يصبروا على أذى المشركين وأن يصبروا على طاعة الله وأن أولئك ستكون لهم العاقبة ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨] عباد الله إن هذه السبل لا ينبغي لأحد أن يغفل عنها هي سبل شرعية موصلة إلى طاعة الله تقدس اسمه تلف من أجلها وعطب في طريقها وهلك في سبيلها كثير من الناس

من أجل الدنيا التي خاف علينا منها رسول الله ﷺ والتي حذر الله منها نسأل الله العافية.

إعلان النكير على دعاة التفجير

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله عز وجل ما خلق البرية إلا من أجل عبادته فما أوجدهم إلا للانقياد والاستسلام له الله جل في علاه يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

يقول الله جل جلاله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران:٨٣].

ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]، ويقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

ويقول الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

والدين هو الإسلام الاستسلام الله رب العزة والجلال والانقياد والخضوع كتابه ولسنة رسوله ﷺ وعدم التقديم بين ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ

ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ * وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١-٥].

فالدين كل الدين هو الاقتناع بكتاب الله سبحانه وتعالى وبسنة رسوله ﷺ الاقتناع بهما والسير عليهما..

لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤] قَالَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَأَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ فَقَالُوا أَيْ رَسُولَ الله كُلِّفْنَا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ

وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥] فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا

وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٨٦] قَالَ نَعَمْ. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة:٢٨٦] قَالَ: نَعَمْ. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦] قَالَ: نَعَمْ. ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٨٦] قَالَ: نَعَمْ».

الاعتراض على دين الله ضلال قال: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣].

التقديم بين يدي الله ورسوله تيه وزيغ وذلة إلى الغاية تودي بصاحبها إلى الضلال، فابن أبي مليكة يقول: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر من أجل أن أحدهما قال: يا رسول الله أمّر فلانًا لوفد من بني تميم وقال الآخر: أمِّر فلانًا. اختلفا على النبي عنده فبهذا كادا يهلكان لولا تدارك الله عز وجل لهما: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢].

حتى كان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقول: حبط عملي فأنا أرفعكم صوتًا عند رسول الله ﷺ أنا أجهر بصوتي عند رسول الله

ﷺ فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال لرجل من أصحابه: «**اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». ما رفع صوته على رسول الله ﷺ ولكن كان جهوري الصوت.

عباد الله ألا وإن من أعظم التقديم بين يدي الله ورسوله لتلك الفتوى التي يصدرها بعض الناس فراجت وماجت على مستوى الخاصة والعامة أنه يجوز للإنسان أن يفجر نفسه بحجة أنه يقتل بعض الكافرين وهذا افتئات على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذا افتئات على الأدلة الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فربنا الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩]، ويقول الله تقدس اسمه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

إن الله أرحم بعباده من عباده ففي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ: أترون هذه طارحةً ولدها في النار قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها.

أرحم بعبده فليس له أن يتصرف بنفسه بل هو ملك لله الله جل في علاه قال الله جل جلاله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

أنت ملك لله أنت عبد لله لا تملك ظفرًا من أظفارك جزء من أجزائك لا تملك ذلك إلا ما جاء فيه الدليل الشرعي وإلا فليس لك أن تقتل نفسك وليس لك أن تتصرف في نفسك ففي الصحيحين من حديث وهب بن عبدالله وابن مسعود وأنس بن مالك وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالقصر في السفر رحمة بهم حتى لا يشق على نفسه وفي حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: «**فُرِضَتْ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ**»

وقال ابن عباس من صلى في السفر أربعًا فكأنما صلى الصبح أربعًا وجماهير أهل العلم على ذلك على القصر في السفر لكنه واجب بالأدلة كما سمعتم كل ذلك من رحمة الله تبارك اسمه وتعالى جده بهذا العبد أن يشق على نفسه أو يتكلف في ضرر على نفسه وهو لا يملك نفسه، وقال الله رب العزة والجلال مبينًا أنه إذا سافر يقصر: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء:١٠١].

وهكذا يتيمم إذا خاف على نفسه الضرر من الموت أو من المرض أو استطالة المرض به ولو كان عند الماء فقد ثبت عن عمرو بن العاص أنه قال: - قال احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب فأخبرته بالذي منعني من

الاغتسال وقلت إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء:٢٩] فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا.

خشي أن يصاب بعلة أو بدوام علة وأقره النبي ﷺ على هذا الفعل السديد والفقه السليم.

وفي الصحيحين من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: حُمِلْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَالْقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي فَقَالَ مَا كُنْتُ أُرَى الْوَجَعَ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى أَوْ مَا كُنْتُ أُرَى الْجَهْدَ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى تَجِدُ شَاةً فَقُلْتُ لَا فَقَالَ فَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفَ صَاعٍ.

فأمره النبي ﷺ أن يبعد ما يؤذيه ويزيل ما يضره ولو كان في حالة الإحرام رفقًا ورحمةً به كم من الأمور أوجبها الله رحمة بالمسلم وكم من الأمور حرمها الله رحمة بالمسلم. «**احلق رأسك وانسك شاة أو صم ثلاثة أيام**» أمره رسول الله صلى الله ﷺ بما سبق قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء:٢٩]، هذا فيمن يتسبب في قتل نفسه ففي صحيح مسلم من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ فِي سَفَرٍ فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا فَقَالُوا صَائِمٌ فَقَالَ لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ.

وفيه أن النبي ﷺ قال لأناس كانوا صائمين واشتد عليهم الحال أولئك العصاة أولئك العصاة فسماهم رسول الله ﷺ عصاة لأنهم تعرضوا إلى ما يضرهم فضلا عن أن يتعمد قتل نفسه أما ذلك فكبيرة من

الكبائر عظيمة من العظائم ففي الصحيحين من حديث جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ الله فِي هَذَا الْمَسْجِدِ وَمَا نَسِينَا مُنْذُ حَدَّثَنَا وَمَا نَخْشَى أَنْ يَكُونَ جُنْدُبٌ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزِعَ فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ قَالَ اللهُ تَعَالَى بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ.

حرم الله الجنة على من قتل نفسه انظر على وعيد شديد يتعرض له هؤلاء الناس بسبب السفه والطيش والافتئات على كتاب الله وسنة رسول ﷺ من أجل أن يقال بطل وأن يقال شجاع وقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

يسحب في النار قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله عَزَّ وَجَلَّ**».

أما من قاتل وقتل لغير ذلك فلا التفجير خطر مفسدة عظيمة على المسلمين وقد أخبر ربنا الله سبحانه وتعالى فتح مكة من أجل تلك ومن اجل ما يحصل فيها من المفسدة فقال: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ

تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٥]، (تطئوهم): تقتلوهم، وكانوا قلة.

لو خرجوا لو تزيلوا لو انفصلوا لسلطكم الله على الكفار لكن لما كان المسلمون موجودين عند الكفار وهو مختلطون ولو يدرى الكافر من المسلم أخر الله فتح مكة من أجل عدة أشخاص؛ فالمسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه. فهذه مفسدة عظيمة مفسدة عظيمة ودرء المفسدة يعتبر واجبًا مقدمًا على جلب المصلحة فربنا الله عز وجل في كتابه: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٠٨].

قال ابن كثير وغيره من أهل العلم: المصلحة في أذية الكفار وسب الكفار تعترضها مفسدة، فمنع الله المسلمين عن سب آلة الكفار وأصنام الكفار لذلك.

وقال ﷺ: يَا عَائِشَةُ لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ فَأَلْزَقْتُهَا بِالْأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنْ الْحِجْرِ فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتْ الْكَعْبَةَ. والحديث في الصحيحين.

وفيهما من حديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قِيلَ يَا رَسُولَ الله وَكَيْفَ

يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ.

فما كان ذلك ذريعة لأذية الوالدين حصل النهي الشديد عن ذلك وجعله من أكبر الكبائر كما أن ذلك الفعل الذي يصنعه الحماسيون الطائشون التائهون يؤدي إلى ذريعة ومفسدة وتؤدي إلى أذية المسلمين فيقتل منهم واحد ويقتلون من المسلمين المئات مفسدة عظيمة يتسلق إليها أولئك الطائشون عن طريق الطيش والحماس دون الاعتماد على كتاب ولا سنة ومن تلك المفاسد قتل النساء والصبيان ولو كان في حمئة القتال فإن هذا منهي عنه وتلك النفجيرات تؤدي إلى قتل النساء والصبيان إلى قتل الأبرياء ففي الصحيحين من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ وُجِدَتْ امرأة مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فَنَهَى رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ.

ولو كانت في وسط المعركة قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: اجمعوا على تحريم قتل النساء والصبيان ما لم يقاتلوا. ولو كانوا من الكفار وفي صحيح مسلم من حديث بُرَيْدَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى الله وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ اغْزُوا بِاسْمِ الله فِي سَبِيلِ الله قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا.

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتل خالدًا بعض النساء والصبيان فقال عليه الصلاة والسلام فَقَالَ اللهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ.

شاهدنا من هذا أن هذا فيه مفاسد تعود على الإسلام المسلمين لا يجوز السكوت عنها فضلًا أن تبرر ومن أن يعتبر ذلك الفاعل شجاعًا بطلًا نحريرًا، ووالله لقد انقلبت المفاهيم فكما يقول عليه الصلاة والسلام من علامات الساعة أن ينطق الرويبضة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ قِيلَ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ قَالَ الرَّجُلُ التَّافِهُ يتكلم فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ.

يا أيها المفتي الكذاب: ليس من شأنك أن تكذب على دين الله فهذا باطل هذا حماس طائش لا يعتمد إلى كتاب ولا إلى سنة وبيننا وبينكم الكتاب والسنة.

عباد الله في الصحيحين من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ فَقَالَ مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ أَنَا صَاحِبُهُ قَالَ فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ قَالَ فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله قَالَ وَمَا

ذَاكَ قَالَ الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ فَقُلْتُ أَنَا لَكُمْ بِهِ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي أتي برجل قد قتل نفسه ليصلي عليه فأبى النبي ﷺ أن يصلي عليه.

وفي الصحيحين من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا.

وهكذا في الصحيحين من حديث ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَى الْإِسْلَامِ كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا فَهُوَ كَمَا قَالَ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عَذَّبَهُ اللهُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

من قتل نفسه برصاص بسكين بقنبلة بأي شيء يقتل نفسه يعذب به يوم القيامة كل هذه الأدلة يجعلونها على جانب ويعمدون إلى الآراء والاستحسانات وعدم الانقياد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويطيع

أولئك العقلانيين كثيرٌ من الجهال.

حسبنا الله ونعم الوكيل والله المستعان.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه أما بعد:

فإن التفجير يعتبر استعجالًا للموت ومن حديث خَبَّابٍ وَقَدْ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ قَالَ لَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ فَقَالَ إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ. وفي الصحيحين من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ فَإِنْ كَانَ لابد فَاعِلًا فَلْيَقُلْ اللهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي.

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ.

ومن حديث عَبْدِ الله بْنِ بُسْرٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ يَا رَسُولَ الله مَنْ خَيْرُ النَّاسِ قَالَ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ وشر الناس من طال عمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ.

طول عمر المسلم خير له لأن يبقى عدة سنين أو أيام خير له من أن يموت ويفجر نفسه مهما كان عمله هذا إذا كان محسنًا فضلًا أن يكون قاتلًا

لنفسه.

عباد الله: إن هذا يعتبر طيشًا ويعتبر خورًا حيث إنه يظلم بعض المساكين بلا ذنب فلربما يكون في بلاد الكفار من المسلمين في بعض المراكب أو في بعض المطاعم من المسلمين والنبي ﷺ يقول: «**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

الظلم ظلمات يوم القيامة فليتقِ الله كل مسلم في نفسه يتقي الله كل امرئ في نفسه وليحاسب نفسه على الأدلة الشرعية ولا يقدم عقله على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

من انقاد للشيطان و انقاد للهوى أرداه في الهاوية، يقول الله تقدس اسمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور:٢١].

يزكيه بالإذعان بالكتاب والسنة قال ﷺ: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**».

فلم يأمر رسول الله ﷺ بعض أصحابه أن يذهب فيقتل نفسه عند الكفار ولا فعله ذلك هو ولا أحد من أصحابه بل كانوا ينكرون ذلك غاية النكير ولما برز عامر بن الأكوع إلى مرحب من اليهود فاختلف معه فتبادلا ضربتين فوقع سيف عامر في رجله فقطع رجله فقال أصحاب رسول الله

ﷺ قالوا: حبط عمل عامر هلك عامر حبط عمله يعتبرون أن ذلك من الجرائم ويعتبرونها من العظائم وهو إنما وقع سيفه خطأً فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال كلا إن له أجره مرتين أي أنه ما قتل نفسه وأنه قاتل في سبيل الله وأنه قتل خطأً فله أجره هم يحتجون بل يأتون بشبه أوهى من بيت العنكبوت مثل قصة البراء بن مالك أخي أنس بن مالك رضي الله عنه وهذه القصة لا حجة لهم فيها فإن الرجل كان بطلًا شجاعًا غاية ما فيه احملوني فألقوني بينهم أي بين أولئك الكفار فحملوه بسيفه لأخذ سيفه وقاتل الكفار حتى فتح على المسلمين فتح الباب للمسلمين وتجالدوا مع الكفار هل أخذ البراء سيفه وقتل نفسه يا معشر المهلوسين ما أخذ ذلك وما قتل نفسه ولا في الحديث دلالة على قتله نفسه غاية ما فيه أنه يجوز قتال الكفار والبسالة للكفار وهكذا الصمود إلى الكفار وإن قتل فذلك خير أما أن يتعمد قتل نفسه فلن يحصل هذا من أصحاب رسول الله ﷺ وهم أبعد ذلك عن البعد عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هم أبعد عن الافتئات على الأدلة هم أتقى لله أن يقتلوا أنفسهم كما سمعت حديث عامر.

عباد الله: فليس للقوم أدنى دليل من كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ على ما يقولونه وينتهجون غير الحماس الفارغ غير الهوى فهم عقلانيون كما تقدم حسبنا الله ونعم الوكيل، قال الله جل في علاه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص:٢٦].

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [النجم:٢٩-٣٠]

وقال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف:٢٨].

العمل بالعلم

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠ـ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله عز وجل في كتاب الكريم: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤].

ويقول الله رب العزة والجلال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:٨١].

أيها الناس: إن أمر طاعة رسول الله ﷺ لا يقوم دين إلا بذلك ولا يستقيم مجتمع ولا يفلح مجتمع إلا به؛ ولهذا فإن رسول الله ﷺ كان يغضب أشد الغضب إذا حصلت أي مخالفة لما يعلمه من الضرر الحاصل على المجتمع بسبب مخالفته فيغضب لذلك وقد أمر عليه الصلاة والسلام أصحابه أن يتحللوا فيجعلوها عمرة وقال: «**لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ وَلَوْلَا أَنَّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ**». ثم عن بعضهم قال:

«أَمَرَنَا أَنْ نَحِلَّ فَنَرُوحَ إِلَى مِنًى وَمَذَاكِيرُنَا تَقْطُرُ مِنْ الْمَنِيِّ».

فدخل النبي ﷺ على عائشة وهو مغضب قالت: أغضب الله من أغضبك يا رسول الله قال أما ترى أني آمر الناس أمرًا فلا اتبع فغضب رسول الله ﷺ على ذلك إذ أمر أصحابه بأمر فلم يتبع.

وهكذا في غزوة الحديبية لما أمرهم أن يحلقوا رءوسهم فلم يفعلوا غضب رسول الله ﷺ وقالت أم سلمة رضي الله عنها أخرج فاحلق رأسك فإنك إن فعلت فإنهم يتبعونك فخرج ودعا الحالق فحلق رأسه وتتابع الناس حتى اقتتلوا أي من الزحام كلهم يريد أن يحلق.

لم يغضب رسول الله ﷺ لنفسه قط وإنما يغضب على المجتمع إذا خالف ما كان عليه الصلاة والسلام ومما يتوقع من ذلك توقعًا دينيًا من الفتنة وسبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

ألا وإن مما حثهم عليه رسول الله ﷺ وأمرهم به وغضب على من خالف ذلك هو مخالفة ما علم الإنسان يعلم شيئًا فلا يعمل به ففي الصحيحين عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه حدثه أن رجلًا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري سرح الماء يمر فأبى عليه فاختصما عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ للزبير اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصاري فقال أن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال

اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر فقال الزبير والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم.

وكان من قبل أبان له صلحًا وأصلح بينهم ثم بعد ذلك أبان الحكم الشرعي الشاهد أن وجه رسول الله ﷺ تلون إذ أمر بذلك فقال الأنصاري ذلك القول.

أيها الناس: إن من أعظم الذنوب وأقبح العيوب وأشد أسباب الخروج لهو أن يتعلم الإنسان علمًا يعمله من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ والله قد وعده بالهداية على ذلك إن هو عمل به ثم لا يعمل به قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا * وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا * وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء:٦٦-٦٨].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧].

ولا يزالون هكذا (ما هي) و(ما لونها) حتى حصل عليهم التشديد أو أنهم حتى ما استطاعوا أن يذبحوا بقرة إلا بأغلى الأثمان؛ لأنهم ما انصاعوا إلى الحق من أول أمر قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ

مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة:٥٨-٥٩]، الشاهد من هذا أن أمة من الناس يهلكون بسبب عدم عملهم بالعلم عقابًا؛ قال تقدس اسمه: ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ [النبأ:٢٦].

إن عقاب الله على من يعلم شيئًا فلا يعمل به لهو أشد ممن يعمل المعصية وهو يجهلها، ثبت عند الإمام مسلم رحمه الله من حديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ فَقَالَ كُلْ بِيَمِينِكَ قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ قَالَ لَا اسْتَطَعْتَ مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ قَالَ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ.

احذر -أيها المسلم- على نفسك إن كثيرًا ما يحصل في المجتمعات من الفتن والبلايا والرزايا والشركيات لهو بسبب عدم علمهم أو بسبب عدم عملهم بما علموا ولا يزال في أهل السنة وأهل الحق يصرخون ويصيحون بملء أفواههم وبمدى أصواتهم لتبيين الحق ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال:٤٢] سواء في أيام انتخابات أو ديمقراطية أو مخالفة في كل باب أو في الأقوال أو في الأفعال أو في سائر الحياة ويأبى كثير من الناس وربما كانت الدائرة عليهم بسبب ذلك الإباء ولقد علمتم وقرأتم ومن لم يقرأ سمع قول الله جل في علاه: ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ * أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا

فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ * أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾ [الزخرف:٧٧ـ٨٠].

أين تذهب من الله؟ وأين تفر من الله؟ اعمل يا أخي بما علمت واتقِ الله فإن لنبي ﷺ استعاذ بالله من علم لا ينفع وعلم نكرة وأي علم لا ينفعه صاحبه فهو عليه ضرر ثبت من حديث زيد ابن أرقم قَالَ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ.

وَفِي الْبَاب عَنْ جَابِرٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ مَسْعُودٍ.

والذي لا يخشع لا ينتفع لابالعلم فلذلك قال تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

(ومن نفس لا تشبع) لا تزال تلهث ولا تزال تتطلع بعد مطامع الدنيا هذه نفس يستعيذ منها رسول الله ﷺ لئيمة سيئة بطالة لا يهمها إلا جمع الحطام.

(ومن دعوة لا يستجاب لها) ولا شك أنه إذا لم يستجب لك.. أنت بحاجة أن تثبت نفسك ما المانع من هذه الدعوة من خلال عدم عملك بما علمت ولا يبعد أن يكون من هذا الباب استعاذ رسول الله من ذلك.

إن أكثر الهالكين والمنحرفين والزاحفين لهو من هذا الصنف يعلم شيئًا ولا يعمل به من هذا الصنف، والله! إن المسلمين ليعانون غاية المعاناة ويجدون غاية وجد من هذا الصنف صنف يعلم ولا يعمل وصنف لا يعلم

ولا يعمل ولا يبالي بما هو فيه وهكذا يا أخي لا تغتروا بكثرة المتكلمين والمتكلفين والمصنفين والكتاب وما إلى ذلك.

أين العاملون؟ أين الصادقون؟ أين الناصحون؟ أين من ينطبق عليهم قول رسول الله ﷺ: «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ».

ثبت عن النبي ﷺ من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنَةَ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ وَفِي يَدِهِ كَهَيْئَةِ الدَّرَقَةِ فَوَضَعَهَا ثُمَّ جَلَسَ خَلْفَهَا فَبَالَ إِلَيْهَا ـأي: أنه يستترـ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: انْظُرُوا يَبُولُ كَمَا تَبُولُ الْمَرْأَةُ فَسَمِعَهُ فَقَالَ أَوَ مَا عَلِمْتَ مَا أَصَابَ صَاحِبُ بَنِي إسرائيل كَانُوا إِذَا أَصَابَهُمْ شَيْءٌ مِنْ الْبَوْلِ قَرَضُوهُ بِالْمَقَارِيضِ فَنَهَاهُمْ صَاحِبُهُمْ فَعُذِّبَ فِي قَبْرِهِ.

فهذا عقاب من الله لذلك الإسرائيلي الذي نهاهم عن أمر هو من دينهم فالله قد أمرهم أن يبعدوا ما وقع فيهم بالمقراض وخفف الله عن هذه الأمة.

الشاهد من هذا أن رسول الله ﷺ ذكرهم عذاب الله وذكرهم بطش الله وذكرهم نقمة الله بذلك بالذي لم يمتثل للحق ولا لأهل الحق ولا لأهل العلم من لبني إسرائيل إن عدم العمل بما علم هو من أسباب العقوبة من الله ففي الصحيحين من حديث البراء وأصله في البخاري قَالَ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ الله بْنَ جُبَيْرٍ فَقَالَ إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ

فَهَزَمُوهُمْ قَالَ فَأَنَا وَاللهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ الْغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ الْغَنِيمَةَ ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالُوا وَاللهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلَنُصِيبَنَّ مِنْ الْغَنِيمَةِ فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا.. الحديث ثم وقع ما ذكره الله تعالى كما في سورة آل عمران بسبب أنهم علموا من رسول الله ﷺ شيئًا فلم يعملوا به وأولوه تأولًا ولا يكون بذلك معصية ظاهرة ومع ذلك حصلت لهم العقوبة المذكورة في القرآن وفي الصحيح من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه بل في الصحيحين أن النبي ﷺ قال إنها ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فمن كان له بعير فليعقله فقام رجل فخرج فأخذته الريح إلى جبلي طي لأن النبي ﷺ أعطاهم علمًا فقام ذلك الرجل فأخذته الريح إلى مسافة مئات الأميال أو مئات الكيلو مترات.

احذر -أيها المسلم- أن تعلم شيئًا ثم تتهاون في هذا الأمر وتتساهل في ذلك الأمر لدنيا أو لشبهة أو لغير ذلك فإنه خطير جدًا في حقك جدًا خطير في حق الرجال والنساء والجن والإنس وثبت عند الإمام البزار من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ أرسل إلى رجل من المشركين يدعوهم إلى الإسلام فجاء إليه فقال مما هو ربك أهو من حديد أم من نحاس أم من ذهب فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره بما قال فأرسله النبي ﷺ مرة ثانية

وثالثة من أجل أن تقام عليه الحجة فقال له النبي ﷺ إن الله قد أرسل على صاحبك صاعقة من السماء قال الله تعالى: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣] بسبب عدم عمله بالعلم.

فاحذر يا طالب العلم من ذلك فكم من أمة هلكت من هذا الباب بسب عدم عملها بدين الله تعالى واقرءوا سيرة بني إسرائيل واقرءوا سيرة قوم نوح واقرءوا سيرة أمم قد مضت قال الله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال إني لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا قَالَ ثَوْبَانُ يَا رَسُولَ الله صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ قَالَ أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ الله انْتَهَكُوهَا.

علمهم في الظاهر أما في الباطن إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها فكان ما سمعت وثبت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى أناس يقطعون بالمقاريض فقال من هؤلاء فيقول جبريل هؤلاء خطباء

أمتك.

يتكلم ويخطب ولكنه من الذين يقولون ولا يفعلون نسأل الله العافية.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا..

من تعلم العلم للتباهي وللتفاخر وللحذلقة وللشهرة فقد قال ابن عمر وهو موقوفًا عليه: «**من سمّع سمّع الله به ومن يراءِ يراءِ الله به**» الحديث متفق عليه من حديث جندب، وثبت عن ابن عمر موقوفًا عليه فيما رجح أبي حاتم رحمة الله عليه: من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة فإذا كان يلبس ثوب شهرة فقط من أجلل أن يضتهر بين الناس من لباس الكفار أو من لباس الذين لا خلاق لهم أو من حرير أو من غير ذلك مما أريد أن يشهر به ولا يريد به الكسوة ولا يريد به التجمل ولا يريد به الزينة إنما يريد به الشهرة والله عليم بذات الصدور ويقوم القيامة يبرز على رءوس الخلائق عليه ثوب الذلة من آثار ذلك فكيف بمن يتزيا ويتزين ويتزلف بالعلم بدين الله هذا أشد أو مما يزعمه من التظاهر بالصلاح والسنن وهو مخالف للسنن.

اعمل يا أخي بما علمت نصيحة لله ولكتاب الله ولرسول الله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم كم من أمم هلكت بسبب عدم العمل إن

أشخاصًا ضلوا في هذه الأزمنة إن رجالًا ونساءً وجنًا وإنسًا أصبحوا عبرة للمعتبرين وأنهم ما علموا بعلمهم ووالله إن الله عز وجل تكفل بهم فقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٤] عدم العمل بالعلم يجعله حجة عليك وقد قال ﷺ «**والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**» إن هذا الأمر حساس جدًا فينبغي أن يكرر وينبغي أن يدرس وينبغي أن يقرر وأن لا يكون طالب العلم همه وجد همته هي التحصل على العلم والتحصيل والتذكير ولا يعمل به ولا يزده رفعة في نفسه ولا يزده قيمة في نفسه إن هذا خطير عليه واصحاب الدنيا ضلوا بسبب ذلك كلما ذهب يتمكن ذهب العلم إلى مطامع دنيوية قال الله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ * وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ * سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ * مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٨].

الإنسان إذا كان عنده دين ارتضى نفسه أن يكون كالكلب والناس الذين يشاركونه في ذلك.. ويقرءون كما يقرأ ويسمعون كما يسمع ويرحلون كما يرحل.

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١].

صاحبك الذي سمع تلك الموعظة ربما هداه الله بموعظة واحدة كما سبق بيانه والآخر يزداد عتوًا ونفورًا قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:١٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦].

هذا الشرك يصرف عن آيات الله لأنه ما أخذ بالعلم وما اتبعه وثبت عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَجَدَ بِالنَّجْمِ وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ.

وأبى أمية بن خلف السجود وأخذ شيئًا من تراب فقال إنما يكفيني هذا قال ابن مسعود فلقد رأيته يوم بدرٍ قتيلاً.

ولم تثبت قصة الغرانيق فهي قصة باطلة، والأنبياء منزهون عن هذا وما من نبي إلا وبعث بالتحذير من الغرانيق وأمثالها من الأصنام والأوثان، فهي قصة منكرة مكذوبة.

عباد الله: وثبت من حديث ابْنِ مَسْعُودٍ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ [فصلت:٢٢] الْآيَةَ قَالَ كَانَ رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ وَخَتَنٌ لَهُمَا مِنْ ثَقِيفَ أَوْ رَجُلَانِ مِنْ ثَقِيفَ وَخَتَنٌ لَهُمَا مِنْ قُرَيْشٍ فِي بَيْتٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَتُرَوْنَ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ حَدِيثَنَا قَالَ بَعْضُهُمْ يَسْمَعُ بَعْضَهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَئِنْ كَانَ يَسْمَعُ بَعْضَهُ لَقَدْ يَسْمَعُ كُلَّهُ فَأُنْزِلَتْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ الْآيَةَ.

عقاب من الله عقاب من الله قال الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت:٢٣-٢٤].

أيها الناس: إن العلم يعتبر شجرة والعمل يعتبر ثمرتها، كما يقول أهل العلم وإن أي إنسان يعلم علمًا ولا يعمل به يعاقب به يوم القيامة ويعاقب عليه في الدنيا ويعاقب عليه حتى عند الناس فقصة سلمان في ذلك الذي كان يأمر الناس بالصدقات وبالزكوات ثم يكتنزها لنفسه قال فكنت أبغضه بغضًا شديدًا قال فلما مات دللت الناس على كذبه فلم يدفنوه بل رجموه بالحجارة.

في كل زمان الصنف الذي لا يعمل بعلمه ولو قل ولو حديث واحد فإنه معرض لعقاب الله تعالى قال الله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ*إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ*وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ*ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ* فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٢-١٦]،

وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

إن من أظلم الظلم أن يعلم الإنسان العلم ولا يعمل به وهو يذم قال الله تعالى: ﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:٩٤].

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣].

نسأل الله التوفيق والعصمة من الفتن ومن الضلالات والحمد لله رب العالمين.

أدب الخلاف

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله تعالى خلق العباد لعبادته وأوجب عليهم الخضوع والتذلل له لله رب العزة والجلال فقال اله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وقال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

هذا تأديب إلهي من ربنا لسائر عباد الله، وعلينا أن نتأدب مع الله في إقامة توحيده وفي التذلل له سبحانه وتعالى، أن لا نسيء الأدب مع رب العالمين عز وجل قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ

غَٰفِلِينَ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٧].

الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي خلقنا وأوجدنا وأعدنا وأمدنا فمن حقه علينا عز وجل أن نفرده بالعبادة، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج:٥].

إن أمر الأدب مع الله جل في علاه من حقه وحقه مع رسول الله ﷺ ومع كتاب الله جل جلاله كان هذا الأدب هو الذي يفلح به العباد في الدنيا والآخرة، فلما اختل هذا الأدب فيما يتعلق بالأدب مع الله تعالىٰ والأدب مع كتاب الله علمًا وعملًا وتتدبرًا وإطلاعًا لكتاب الله واختل الأدب مع رسول الله ﷺ اختلت الآداب فيما بين العباد بينهم وبين بعضهم البعض لهذا ترىٰ كثيرًا منهم ينادون بعدم الخلاف وهم أنفسهم لم يحققوا الأدب مع الله تبارك اسمه وتعالىٰ جده ولا مع رسوله ﷺ ولا مع كتابه ولا مع عباد الله الصالحين حق التأدية التي أمر الله رب العزة والجلال بها فإن الأدب أولًا يجب أن يكون مع الله في تحقيق توحيده وأن يعتقد أنه لا يستطيع أحد أن ينفع أو يضر مع الله سبحانه، قال الله تعالىٰ:

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وتضاف النعم إلى الله وحده ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:٤] وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل:٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٦].

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة:١٢٩].

الأدب مع الله سبحانه وتعالى وتحقيق توحيد الله الذي من أجله خلقنا قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [ص:٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:١٦-١٧].

الأدب مع الله في تحقيق طاعته وعبادة الله عز وجل ويتأدب مع الله، وهكذا الأدب مع الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

الأدب مع القرآن مع كلام الله تعالى والعمل به قال الله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [هود:١١٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود:١١٣].

كما أمرك الله في كتابه وأوحى إليك وأبان لك ولأمتك قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف:٤٤].

الأدب مع القرآن ومنه الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل:٩٨]. حتى لا يحول الشيطان بينه وبين كلام الله تعالى والامتثال لكلام الله تعالى قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل:٩٨].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

فمن حقق الأدب مع الله ومع كتاب الله قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾ [الإسراء:٩].

الرجل مع زوجته ومع القريب والبعيد وسائر العباد من حقق هذا

الأدب مع الله قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٧-٥٨].

حققوا عباد الله الأدب مع الله.. وحُقَّ لمن حقق هذا الأدب مع الله أن يسعد في الدنيا وفي الآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤].

وإن مما يجب الأدب به الأدب فيما بين العباد الأدب مع رسول الله ﷺ فإن الله ألزمنا بذلك سواء أدب السلام أو أدب الكلام قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣].

أو أدب الصمت فيما لا فائدة فيه قال النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيرًا أو ليصمت**». أو أدب الزيارة أو أدب الاستئذان: «**إن أذن لك وإلا فارجع**».

أو أدب الجوار كما أمر الله سبحانه بذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

أو أدب الوالدين أو أدب الزوجة.

هذه -وغيرها مما لم نذكره- من الآداب التي أمرنا الله بها وبالتزامها، وأن هذه الآداب إذا اختلت اختل ما بين الناس من المعايش وحصل بينهم الضرر واختلقوا فيما بينهم وانتشرت أنواع الخلافات ولا يزال الخلاف بينهم كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨].

فدلت هذه الآية أن من رحمه الله بالاستقامة أنه لن يخسر، وسيكون من الناصحين ومن رحمه الله فليس بمخالف. المخالف صاحب فتن لم يرد الله به خيرًا.

ولهذا في كتب العقيدة يقال: باب الرد على المخالفين ومن هنا تعلم أنه لابد في هذه المسألة من نظرة حاسمة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما أمر الله تعالى بعدم الخلاف في كتابه فقال سبحانه: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى:١٠].

هذا أدب عظيم يجب على المسلمين أن يحققوه فإن الدعوة إلى عدم

الخلاف مع البعد عن كتاب الله دعوىٰ مجردة عن العمل، فالله أحال وأمر وأوجب أن ما حصل من خلاف بين القريب والبعيد والصغير والكبير وسائر الناس يعاد هذا الخلاف إلىٰ كتاب الله تعالىٰ فحكمه إلىٰ الله، والله حكمه مبين في كتابه قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٩].

هكذا أمر الله سبحانه بالرجوع إلىٰ كتابه وسنة رسوله ﷺ والتحاكم إليه الحكم لله تبارك وتعالىٰ وهو مبين في كتابه يقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

هذا خير وهذا أحسن تأويل وهذا أحسن مآل وأحسن مرجع أن يعاد إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله الله ﷺ وما هنالك نقص ولا تفريط قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل

عمران:١٠٣].

هذه الأمور الإلهية أن من اعتصم بالله هدي إلى صراط مستقيم قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

عباد الله: هذا حل لا يجوز التغافل عنه لا يجوز إهماله وإن الصياح والثرثرة من كثير من الناس: ما بال الخلاف.. ما بال الخلاف..؟ وهم أنفسهم مخالفون في توحيد الله تعالى هؤلاء الذين لم يحققوا الأدب مع رسول الله ﷺ هم الذين لم يحققوا دمج كلمة المسلمين التي يعتصم بها العباد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فكان ذلك لزامًا أن يعاد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذا هو الحل الذي أبانه رسول الله ﷺ هذا هو أدب الخلاف الذي ربّى عليه رسول الله ﷺ أصحابه على هذا الأدب فكانوا إذا اختلفوا في شيء رجعوا إليه وكم حصل من الرجوع إلى ذلك في الأزمنة الماضية كم حصل من الرجوع وحصل من السلامة كما حصل بين الحسن وبين معاوية رضي الله عنهما حصل فيه الرجوع إلى الدليل وحقن الله به الدماء وسلم الله به الأمة وسمي ذلك العام بعام الجماعة لما رجعوا إلى سنة رسول الله ﷺ وقاموا بالأدب الشرعي قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى:١٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

جاء أبو بكرة رضي الله عنه إلى الحسن وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»، فتنازل الحسن لما سمع هذا التوجيه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبلغه ذلك واجتمعت كلمة المسلمين على الحق وعلى الخير وعلى الهدى اجتمعت كلمة المسلمين على الأمن والأمان اجتمعت كلمة المسلمين فوجهت سهامهم إلى أعداء الله من يهود ونصارى وغيرهم اجتمعت سيوف المسلمين على الأعداء وحقنت دماء المسلمين بسبب توجه نبوي سمعوه واختلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي موسى في الاستئذان فلما كان الرجوع إلى الإرشاد الإلهي والتوجيه الرباني إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم دق الباب ثلاث مرات قال: مالك؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الاستئذان ثلاث فإن أذن وإلا فارجع قال لتأتيني ببينة لقولك فانطلق إلى مجموعة من الصحابة ثم قال قم يا أبا سعيد فذهب أبو سعيد إلى عمر وأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال هذا وفصل القضية بين عمر وبين أبي موسى وما حصل بينهما من الخلاف في هذا القضية انفضت بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بحديث واحد.

وهكذا أراد عمر بن الخطاب أن يرجم امرأة مجنونة وبينما هم كذلك إذ مر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ما بال هذه المرأة قالوا مجنونة بني فلان زنت فأمر أمير المؤمنين برجمها قال أمهلوا ثم ذهب إلى عمر رضي الله عنه قال يا

أمير المؤمنين ألم تعلم أن النبي ﷺ قال «**رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وعن الصبي حتى يبلغ**» قال نعم قال فما بال هذه المرأة قال لا شيء فعلي رضي الله عنه ذكره بهذه السنة ثم أمر بها فأطلقت بعد أن كادت أن ترجم ثم جعل عمر رضي الله عنه يقول: الله أكبر.. الله أكبر.. هذا شأن أصحاب النبي ﷺ الذين تربوا على الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى أدب الخلاف إذا حصل بينهم خلاف رجعوا فيه إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وينتهي ذلك الخلاف وينتهي ذلك الخلاف.

واختلف ابن عباس رضي الله عنه مع زيد بن ثابت رضي الله عنه في صدور المرأة الحائض بغير طواف الوداع قال: أنت تفتي الناس يا ابن عباس بذلك قال نعم قال فمن لك قال فاسأل عن هذا الحكم أن رسول الله ﷺ أذن لها أن تصدر بغير طواف الوداع وكانت حائضًا فذهب يسألها ثم رجع يضحك مسرورًا مستبشرًا أنه انتهى الخلاف.

هذا من أدب الخلاف الذي تربى عليه أصحاب رسول الله ﷺ من أول يوم وأدبهم على ذلك ورباهم على ذلك عدم الخلاف ما في الصحيحين من حديث أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ ما ضل قوم بعد هدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل.

ومن آداب الخلاف أن يبتعد عن الجدل وأن يكون عبادة لله تعالى فـ«**العبادة في الهرج كهجرة إلي**» رواه مسلم عن معقل عن النبي ﷺ .

يا أيها الناس: يا أصحاب تلك الجرائد تنادون بعدم الخلاف، وأنتم من أسوأ الناس أدبًا في هذه المسألة مع رسول الله ﷺ ومع علماء الدين فهلا تأدبتم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وبأدب أصحاب رسول الله ﷺ وبالأدب الذي أنزله الله في كتابه وأوجب الله علينا ذلك أدب الخلاف ما حصل بين المسور بن مخرمة رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه في غسل المحرم من على رأسه قال المسور: لا يغتسل المحرم من على جسده وقال ابن عباس: بل يغتسل من فوق رأسه ثم أرسل ابن عباس إلى عبدالله بن الأنباري وكان يغتسل فسلم عليه فأخبره بما حصل قال أنا رأيت رسول الله ﷺ يغتسل من على رأسه وهو محرم ثم رجع إلى ابن عباس والمسور فأخبرهما فانتهى الخلاف لما رجعا إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ امتثالًا لأمر ربنا تقدس اسمه: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

ومن أدب الخلاف ما حصل أيضًا بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض الصحابة في توريث المرأة من زوجها دية زوجها قال عمر: الدية للعاقلة وليس منها شيء للمرأة، فجاء الضحاك بن سفيان رضي الله عنه فأخبر عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ ورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها

فأمر عمر رضي الله عنه أن يؤمر بذلك.

هذا هو الأدب -يا عباد الله- يجب علينا جميعًا أن نتأدب بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

وترك أدب الخلاف يشعل الفتن بل يزيد من ضراوتها بقول الله جل في علاه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

وإن الفتنة متحققة إذا لم يحقق هذا الأدب فإن الفتنة متحققة فإن تحقق الأدب مع الله ومع رسوله ومع ما جاء في الأدلة فإن الفتنة تذهب وتضمحل بإذن الله عز وجل روى الإمام الترمذي في جامعه من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ.

هذا تأديب نبوي على أدب الخلاف فإن السلوك على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومنهج السلف الصالح رضي الله عنهم أمنة من الفتن قال النبي

ﷺ: **«وأصحابي أمنة للأمة فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»**.

أعني ذلك أن سلوك طريقهم أمنة من الفتنة قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.. أما بعد:

وإن من آداب الخلاف الصبر أن يصبر الإنسان كي يستريح البَرَّ من الفاجر يقول الله تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٠٤].

ويقول الله جل جلاله: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ [الفرقان:٢٠].

فالله بصير والله يعلم المفسد من المصلح والله تبارك اسمه وتعالى جده يتولى الصالحين قال الله تعالى: **«من أذى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به..»** الحديث.

إذا حصل عليك خلاق وفتنة فكن على عبادة الله فإن الله تعالى يجعل

لك بذلك مخرجًا من الفتن قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢]، (مخرجًا) يقتضي المخارج من كل الفتن والمصائب وفي الصحيح عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**سبحان الله ماذا أنزل من الخزائن وماذا أنزل من الفتن من يوقظ صواحبات الحجر ـيريد به أزواجه حتى يصلين ـ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**».

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يحكي من الفتن حتى في العبادة وأن العبادة تقلل من الفتن، إن الفتن ينعشها أهل الضياع والفسقة وقليلو العبادة والدين فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**خيركم من يرجى خيره وشركم من لا يرجى خيره**».

الفتن غالبًا لا تخرج إلا من قليلي الدين وأما أصحاب الدين والعبادة فليسوا كذلك، وإنما هم عباد لله تعالى وهم يعدون لذلك يوم الموقف بين يدي الله رب العزة والجلال بقدر ما يستطيعون، ما عندهم ضياع ما عندهم آفات الفتن أبدًا.

نعم والله! مشغولون بتأديب أنفسهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»، هذا من أدب الخلاف أنك لا تدخل نفسك فيما لا يعنيك، ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**كيف بكم وبزمان أو يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلةً تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه فقالوا وكيف بنا يا رسول الله**

قال تأخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم».

وهذا أدب عظيم من آداب الخلاف فبين النبي ﷺ أنه إذا حصل خلاف يقبل الإنسان على نفسه وعلى طاعة الله تعالى وعلى إنكار المنكرات تأخذ أمر نفسك قال النبي ﷺ كما في حديث عقبة: «**أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك**».

أرشده إلى هذا التوجيه وإلى هذا الأدب من أعظم آداب الخلاف بيان سبيل المبطلين حتى لا يغشوا المجتمع قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام:٥٥].

أنبياء الله بعثوا في زمنهم وخالفهم أممهم فصدعوا بالحق:

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ* إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر:٩٤ـ٩٥].

وقال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٦٧].

وهكذا تجد الواحد منهم يقول: ﴿يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس:٧١].

ومعنى ذلك اعتمادًا على الله سبحانه وثباتًا من الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٤-٧٥].

فمن أدب الخلاف أن يسلك في ذلك مسلك الأنبياء فإنهم قد خولفوا وقد أوذوا حتى أتاهم نصر الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤].

من أدب الخلاف النصح للمخالف الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

«**بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم**»، كذا قال جرير رضي الله عنه وهكذا مسلك كل ناصح وإن نصح بنصح للمسلمين قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» متفق عليه من حديث أنس بن مالك.

وقال النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**» يرشده يبين له ويدله على الخير ولو تعب ولو أعرض فإنه لا يزال ناصحًا له فإن من أدب الخلاف أن يعرض عن المعرض قال الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ [النجم:٢٩].

من أدب الخلاف البقاء مع الصالحين والبعد عن الفاجرين قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

وفي الصحيحين من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد قال فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فرأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبًا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه**».

فأعرض عن أصحاب الإعراض.

ومن أدب الخلاف الرفق في القول، قال الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤].

فإن اقتضى الحال الشدة على المخالف كان ذلك في موضعه هذا هو أدب الخلاف في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم لما قال عبدالله بن أبي أمية: أقتلك على بئر كذا قال بل أنا أقتلك عليه.

وهكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الحصا ويقول: شاهت الوجوه فما سلم

منهم أحد إلا ووقعت فيه وشاهدنا منه شاهت الوجوه فما أحد يفقه أدب الخلاف كرسول الله ﷺ.

العلماء علماء الدين علماء السنة هم الذين يفقهونه ويستوعبون أبعاده التي تقتضي وضع الأمور في مواضعها.

أما الجهلة الذين ينعقون بعدم الخلاف وهو مخالف من رأسه إلى أسفل قدميه مخالف في الزي مخالف في العقيدة مخالف في الكلام مخالف في الأدب مخالف في بيته مخالف في سمعه والنظر فيما حرم الله تعالى مخالف في الحياء مخالف في السلام وآداب السلام مخالف في الجوار مخالف في حقوق المسلمين كله مخالفات ويدعو إلى عدم الخلاف أين الأدب عندك؟!

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ * كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف:٢-٣].

الخلود إلى الدنيا سبب الذل

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣].

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

ففي هذه الآيتين أنه لا يحصل للعبد خير وهدى حتى يغيروا ما بأنفسهم من الذنوب والمعاصي حتى يرجعوا إلى الله من غيهم وينيبوا إلى الله من ضلالهم.

أيها الناس: إن تبارك وتعالى قد أخبر في كتابه الكريم أن الذنوب والمعاصي من أعظم أسباب لهلاك العبد قال تقدس اسمه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف:٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢].

فأبان الله عز وجل أن سبب الجوع وسبب الخوف وأن سبب الذل كل

ذلك من معصية الله جل في علاه وكفران نعمة الله سواء كان ذلك نعمة الإسلام أو كانت نعمة الهداية أو كانت نعمة طلب العلم أو أي نعمة في الدنيا أي نعمة على العبد فإن زوالها يكون بتغيير من عند العبد قال جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١]وقال تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣].

وهكذا ترون في قصة أهل سبأ أن الله غير ما بهم من نعمة بسبب كفرهم وتغيير ما بأنفسهم قال رب العزة والجلال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ:١٥-١٦].

نعم الله على العبد تتغير بحصول المعصية وبعدم المداومة على الطاعة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان:٢٠].

وقال عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم:٤١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة:٢١].

ألا فهل من مدكر يرجع إلى الله تعالى بعد دنو العذاب ورؤية العذاب بعينه ورؤية الذل والإهانة بعينه إن هذا فيه عظة وعبرة لكل متعظ لكي يرجع إلى الله تعالى فإن الآيات والنذر تنفع المؤمن ولا يغني عن غير المؤمن، قال تقدس اسمه: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١] ما تغني عنه ولا تنفع الذي ما عنده يقين، وإن أتته الآية بعد الآية سواء كان من البراكين أو الفيضانات أو كذلك من الأمراض أو من تسلط الأعداء أو من الفتنة تلو الفتنة ولا يؤثر فيهم شيء؛ قال جل في علاه: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام:١١١].

أيها الناس: إن هذه العبر التي تحصل للمسلمين لهو من أعظم الزواجر لهم عن المعاصي ومن أعظم الحواجز لهم على طاعته إن عرفوا ذلك وهي خير لهم إن تابوا إلى الله تعالى قال جل جلاله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤١].

وقال تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١].

وقال رب العزة والجلال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢].

ففي كل ذلك بيان من الله عز وجل أن هذا التمحيص للمؤمن إما أن يكون تكفيرًا لسيئاته وإما أن يكون رافعًا لدرجاته وحسناته وهو خير للعبد إذا تاب إلى الله.

كما أنه لا تغني عن المسلمين الهتافات ولا الصياح ولا النعرات ولا المظاهرات بل يجب عليهم التوبة إلى الله تعالى القائل: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

فعلق الله تعالى الفلاح في هذه الدنيا أو في الآخرة بالتوبة إليه سبحانه وتعالى ولا يفلح فرد ولا تصلح جماعة ولا يفلح بلد ولا تفلح دولة إلا بالتوبة إلى الله تعالى، إن بني إسرائيل قد سلط الله عليهم بعضهم بعضًا بالمعاصي لما عصوا سبحانه وتعالى، قال عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ

خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:٥٨].

أبوا أن يدخلوا الباب سجدًا ودخلوا يزحفون على أستاههم ويقولون حبة في شعرة وأبوا أن يقولوا حطة.. قال تبارك وتعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة:٥٩].

فبدءوا يستهزئون ويسخرون بأمر الله تعالى فعذبهم الله تعالى على أنهم ما استجابوا لأمره قال تقدس اسمه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف:١١١].

إن من ينتبه ومن ينزجر ومن يعرف أن سعادته وشقاوته بقدر طاعته ومعصيته فسعادة العبد بقدر طاعته وإن شقاوته وتعاسته وضيق صدره وبعده عن كل خير بقدر ما عنده من المعصية إي والله.

وقد كان رسول الله ﷺ يفتتح غالب خطبه بهذا الكلام: «**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا**» وهكذا جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يفتتحون خطبهم بهذا الكلام.

سيئات الأعمال لها آثار وخيمة سيئات الأعمال من ذلك ما صرخ به أهل السنة وبحت أصواتهم بذلك وهم يحذرون من سيئات الأعمال سواء من تقليد الكفار أو كذلك أيضًا من الشرك بالله والبدع والخرافات أو من

الاغترار بدعاة السوء وعلمائهم وانقلبت المفاهيم وتغيرت الأمور حتى صار الذي يريد للناس الخير خائنًا وصار الكذابون الدجالون أمناء ونصحة وهم الذين يهرولون بعد الكفار في كل باطل ويرفلون بعد كل بلية قال ﷺ: «**قَبْلَ السَّاعَةِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**» قَالَ سُرَيْجٌ: وَيَنْظُرُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ.

ما عندهم نصح لدين الله إلا من رحم الله تعالى.

يخون فيه الأمين ويؤتمن فيها الخائن ويصدق فيها الكاذب المبتدع الملبس المتحزب، ويخوّن فيه الناصح الأمين.

فاتقوا الله ـأيها المؤمنونـ قال جل في علاه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

وقال جل جلاله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا* يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٦ـ٢٨].

الرخاء بعد الشدة والنعمة بعد الفاقة كل هذا لا يحصل إلّا بالرجوع إلى الله تعالى قال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات:٥١].

وكانت دعوة جميع الأنبياء: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود:٥٢].

القوة إلى القوة والهداية إلى الهداية قال تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس:٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [المدثر:٣١].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا﴾ [مريم:٧٦].

والثبات على الثبات والنعمة على النعمة والخير على الخير كل ذلك يحصل بما ذكره رب العزة والجلال إرشادات ربانية تعتبر بإذن الله عصمة من الفتن قال ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**».

وقال والله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢].

كل ذلك من عند سبحانه وتعالى فعلى العباد كلهم أن يتوبوا إلى الله تعالى ويرجعوا إليه حتى يحصل لهم الفلاح قال الله: ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ * غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر:١-٣].

فالله سبحانه وتعالى قابل التوبة، يفرح بها رب العالمين عز وجل قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ**».

الله هو الغني تبارك وتعالى قال تقدس اسمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر:١٥-١٧].

ولكن لأن الله يريد الخير لعباده قال الله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧].

فعلى المسلمين أن يتوبوا إلى الله تعالى وأن تكون لهم عظة وعبرة وأن يكون زاجرًا لهم عن المعصية قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:١-٣].

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾

[الأنبياء:١-٣].

إن المعاصي سبب الذل لا يمكن أن تتخلص من ذلة وأنت واقع في زحمة المعاصي، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:٢١]، ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ [الحشر:٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٥٢].

وقال النبي ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى**

دِينِكُمْ».

لكن ليس الجهاد تحت راية كافر من الكفار -يهودي أو نصراني أو اشتراكي أو بعثي- لكن على من يسره الله تعالى تحت من فيه الخير والصلاح قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١].

ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ**».

ويقول جل في علاه: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٤١].

فيجب الدعاء لله والتضرع إليه والتوبة إليه وهذا من أعظم أسباب النصر والفرج.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده اله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ

تسليمًا كثيرًا.. أما بعد:

يقول الله جل جلاله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

فأبان الله تعالى في كتابه الكريم أن الناس كانوا في ضلال مبين، وهكذا كل من تفلت عن الحق وتفلت عن سنة رسول الله ﷺ هو عائد إلى ذلك الضلال وإلى ذلك التيه والزيغ إلا وإن ذلك الفساد في الإذاعات لهو من أسباب تفلت المسلمين من مظاهرات قد خرج عشرون ألفًا أو خمسين ألفا أو عشرة آلاف مظاهر.. تشبه بالكفار يضحكون من المسلمين ويستهزئون من المسلمين.. ولكنكم غثاء كغثاء السيل نزع الله المهابة من قلوب أعدائنا وقذف الله الوهن كما قال النبي ﷺ كما جاء من حديث ثوبان قال قال رسول الله ﷺ يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها قال قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قال قلنا وما الوهن قال حب الحياة وكراهية الموت.

وتعرفون ما في غثاء السيل من البلاوي والقاذورات فمعنى ذلك أن الذين أوقعوا أنفسهم في تلك المعاصي من التشبه بالكفار ويتوبون إلى الله وهو سيجعل لهم المهابة في قلوب أعدائهم لأن الله تعالى يقول: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ

مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:٢٦].

عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مرقع الثوب وكان أعداء الله يخافونه أشد الخوف حتى الشيطان كان يخاف من عمر قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا عمر لو سلكت شعبًا وسلك الشيطان شعبًا أخر غير فجك**» يفر الشيطان من عمر رضي الله عنه لا لكثرة ماله وإنما لقوة إيمانه بالله تعالى.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يسمع منهم فيفروا، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**».

الذلة والصغار على من خالف أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن تقوم الساعة الذلة لازمة لكل من خالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والصغار والخسارة والمهانة كل ذلك تلازم كل من خالف أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألا فهل من رجوع إلى الله تعالى وأوب إليه، فرب امرأة عجوز داخل بيتها يسمعها الله تعالى ويبيد الله تبارك وتعالى بها أمم من الأعداء إن كانت دعوة صادقة ولربما دعوة عشرات ومئات وآلاف لا تستجاب ولا ترفع إلى الله.

ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار يقومون الليل**

ويصومون النهار ليسوا بأثمة ولا فجار، إذا أبلغ أحد في الدعاء أو دعا لأحد يقول له هذا الدعاء فدعاء الأبرار مستجاب قال الله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٧-١٨].

فيا عباد الله: إنا أوتينا من عند أنفسنا إن عوام المسلمين ومن جهالهم ومن علماء السوء منهم أوتينا من عند أنفسنا فلا يصلح للمسلمين إلا ما صلح لآخرهم والتوبة إلى الله تعالى والرجوع إليه.

رب العزة والجلال يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣].

فضل الحج

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله

ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله تعالى أرحم بعباده منا فقد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيح أنه قال: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»، وهكذا قول النبي ﷺ: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على بعيره وقد أضله بأرض فلاة**».

وقال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٧-٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي**».

واعلموا ان الله يريد بعباده الرحمة والخير.

عباد الله: ولما علم الله منهم كثرة الذنوب وكثرة المعاصي وعلم الله منهم تكاثر ذلك بالليل والنهار تابع الله لهم أوقات الخيرات وكثّر البركات

فما من ساعة من ليل أو نهار إلا وهو يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يتوب إلى الله ويرجع إليه فيغفر الله ذنبه ويذهب حوبه لذا يقول النبي ﷺ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**» هكذا الوضوء من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ذنبه وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنْ الذُّنُوبِ**».

وهكذا يتجلى ربنا الله تعالى في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا قال رسول الله ﷺ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**».

وقال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال:٣٨].

تقبل توبة العبد مالم يغرغر -أي: ما لم تبلغ روحه الحلقوم- والغرغرة من حديث ابن عمر وهو صحيح.. فكل ذلك من تكاثر الخيرات ومن سعة رزق الله سبحانه وتعالى بعباده المذنبين.

ألا وإن من أجل تلك الأمور ألا إن من أعظم مكفر للذنوب وماحي لها لهو ركن من أركان هذا الدين، وما تقرب أحد إلى ربه بأحب مما افترضه عليه كما في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال: «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه**».

فما هناك شيء أفضل عند الله من تقرب العبد إليه في الواجبات والمفروضات وقد قال النبي ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ**».

فهذه الأمور المذكورة في هذا الحديث وحديث عمر في صحيح مسلم هن من أجل القربات إلى الله لمن حققها من صلاة وصيام وزكاة وحج بعد توحيد الله عز وجل.

ألا وإنه سيقدم على العباد فرض من فرائض الله وماحي للذنوب لمن يسر الله له ذلك الهدى ووفقه الله لذلك الخير فقد قال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا قال رجل يا رسول الله أكل عام قال لو قلت نعم لوجبت إن الله فرض عليكم الحج فحجوا ما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه**».

وجاء خارج الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنه بمثل ذلك الحديث: «**إن الله فرض عليكم الحج فحجوا وما زاد عن مرة فتطوع**».

هذا الحج الذي فرضه الله تبارك وتعالى وأمر نبيه بالأذان له قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٧-٢٩].

وهكذا يقول ربنا تقدس اسمه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

فمن استطاع الحج وكفر بذلك فالله جل في علاه لا تضره معصية العاصين ولا تنفعه طاعة الطائعين فإن الله غني عن العالمين قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر:١٥-١٧].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود:٥٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:١٢].

ففرض الله هذه الشعيرة العظيمة وحج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أقوال أهل

العلم مرة واحدة في عمره، وهي ما تسمى بحجة الوداع وحج في هذا العام بأزواجه معه وضحى عنهن رسول الله ﷺ بالبقر وحصلت في تلك الحجة أمور عظام يقول فيها رسول الله ﷺ: «**خُذُوا عَنِّي مناسككم، خُذُوا عَنِّي؛ لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**» ولما حج بنسائه ﷺ أمرهن بتأدية ذلك الفرض.

ومما يدل على وجوب الحج في العمر مرة وما زاد على ذلك فهو تطوع، ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فبكى طويلًا وحول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا قال فأقبل بوجهه فقال إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إني كنت على أطباق ثلاث لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله ﷺ مني ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت ابسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه قال فقبضت يدي قال ما لك يا عمرو قال قلت أردت أن أشترط قال تشترط ماذا قلت أن يغفر لي قال أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ

عيني منه ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها.. إلخ.

الشاهد «**والحج يهدم ما قبله**» فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**».

وأبان عليه الصلاة والسلام أن الحج يعتبر جهادًا في سبيل الله فقد ثبت عند البزار من حديث أبي طليق رضي الله عنه: أن امرأته قالت له وله جمل وناقة: أعطني جملك أحج عليه فقال: هو حبيس في سبيل الله فقالت: إنه في سبيل الله أن أحج عليه قالت: فأعطني الناقة وحج على جملك قال: لا أوثر على نفسي أحدًا قالت: فأعطني من نفقتك فقال: ما عندي فضل عما أخرج به وأدع لكم ولو كان معي لأعطيتك قالت: فإذا فعلت ما فعلت فأقرئ رسول الله ﷺ إذا لقيته وقل له الذي قلت لك فلما لقي رسول الله ﷺ أقرأه منها السلام وأخبره بالذي قالت له قال رسول الله ﷺ: صدقت أم طليق لو أعطيتها جملك كان في سبيل الله ولو أعطيتها ناقتها كانت في سبيل الله ولو أعطيتها من نفقتك أخلفها الله لك قال قلت: يا رسول الله فما يعدل الحج؟ قال: عمرة في رمضان.

إن الحج يعتبر من أسباب سعة الرزق متابعة الحج والعمرة تعتبران من

أسباب السعة في الرزق فقد ثبت من حديث ابن عباس وابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ**».

إن الحج يعتبر من الجهاد في سبيل الله تعالى فقد قال النبي ﷺ كما ثبت ذلك عنه عن أبي هريرة: «**الحج والعمرة جهاد الفقير والضعيف والمرأة**»، وجاء من حديث الحسن وفي البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنه قالت يا رسول الله إننا نرى الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال أفلا نجاهد قال عليكن أفضل الجهاد الحج المبرور فهذا يدل على أن الحج المبرور الذي يوفق الله الحاج له أن لا يرفث فيه وأن لا يقربه بما هو محرم ممن يؤدي إلى نقصان حده أن ذلك يعتبر من أفضل الجهاد وهو يعتبر من أكبر الأعمال كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أفضل فقال إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور.

وهذا يدل على تقديم الحج قبل الجهاد فإن هذا فرض عين على كل مستطيع على كل مسلم بالغ عادل وذلك إنما هو فرض كفاية إذا لم يهجم العدو على البلد أو لم يستنفر الإمام أو لم يلتحم الجيشان.

عباد الله: إن هذا أمر عظيم والله حال بين المسلمين وبينه كثير من الناس من حكامهم، فلقد كان أحدهم لربما يأخذ راحلته فينطلق ويحج في

عمره سبعين مرة أو خمسين مرة أو أكثر من ذلك او أقل ولقد كان ابن المبارك يحج عامًا ويرابط عامًا فيا معشر المسلمين إن الله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢].

إنه واجب على كل مسلم أن يخشى ربه أن يتعاون مع المسلمين على كل بر وتقوى ومن البر والتقوى هذه الشعيرة العظيمة فيجب على جميع حكام المسلمين أن يتعاونوا على ذلك، بل يجب عليهم أن يقاتلوا على هذه الشعيرة إذا عطلت مع القدرة عليها إذا امتنع القوم عن أدائها.. «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**» يجب عليهم أن يقاتلوا بلدانهم إذا امتنعوا وجحدوا ما بالك بمن يعَقِّد على المسلمين شعيرة من شعائر الله تعالى بسبب جشع الدنيا قال الله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى:٤].

وقال النبي ﷺ: «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**» ثبت ذلك عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة في الصحيح.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١].

ألا وإن أجل الأمر بالمعروف لهو حج بيت الله الحرام الذي يقول الله تعالى فيه: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

والبيت الذي أمر الله ببنائه نبيه إبراهيم قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٩].

فمن أجل ذلك أمر الله عز وجل نبيه بإقامة ذلك البيت.

والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبة أجمعين.. أما بعد:

عباد الله: إن هذا والله لمن أعظم الواجبات التي يجب على المسلمين التيسير فيه ويجب على المسلمين التعاون فيه ويجب على المسلمين أيضًا بذكر الوسع فيه في وصوله وحجه.

ألا وإن الحج يعتبر عرفة فقد ثبت من حديث عروة بن مضرس وعبد الرحمن بن يعمر أن ناسًا من أهل نجد أتوا رسول الله ﷺ وهو بعرفة فسألوه فأمر مناديًا فنادى الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج أيام منًى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه.

وهكذا يحث النبي ﷺ على الحج حث نادى بالحج فحج مع رسول الله ﷺ كثير من أصحابه ذلك مما يدل على التعاون على البر والتقوى وعلى نصرة الحق وعلى العكس من ذلك فإنه ينبغي للأمير أو لأمير البلد ومسئول البلد أن يسعى جادًا في تيسير ذلك كما سهله رسول الله ﷺ.

عباد الله: وللحج أمور وأحكام لا يتسع الوقت لذكرها منها أن النبي ﷺ حين أراد الحج استخلف من يقوم مقامه في بلده أو في المقام.

وهكذا ذهب رسول الله ﷺ حاجًا بيت الله ولما وصل إلى الميقات أحرم من ذي الحليفة وقال رسول الله ﷺ ميقات أهل المدينة ذي الحليفة وميقات أهل اليمن يلملم وميقات أهل نجد الجحفة وميقات أهل العراق ذات المنازل وقال هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة.

ثم ذهب رسول الله ﷺ وأهل بالحج وحث على التلبية فيه وقاتل ما من أحد يلبي للحج إلا لبى من جانبه عن يمينه وعن شماله من حجر ومن شجر ومدر ثبت ذلك من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ وهكذا لما وصل رسول الله ﷺ فأراد رسول الله ﷺ الإحرام قال ابن عمر من السنة أن يغتسل المحرم بإحرامه وقوله من السنة أي من سنة رسول الله ﷺ.

وفي الصحيح أن عائشة رضي الله عنها قالت: كنا نلبي ورسول الله ﷺ لإحرامه قبل أن يحرم.

وهكذا يشرع للحاج أن يضع الطيب على رأسه قبل الإحرام أما بعد الإحرام فلا يجوز لأن النبي ﷺ قال لذلك الرجل حين قال يا رسول الله تضمخت بالطيب قال اخلع عنك الجبة واصنع في عمرتك ما أنت صانعًا في حجتك الحديث واغسل عنك الطيب فأمره رسول الله ﷺ بخلع تلك الجبة المطيبة التي طيبها بعد إحرامه وأمره بغسلها فإذا كان التطيب قبل الإحرام ولو استبان بعده فلا بأس بذلك وإذا كان بعد

الإحرام فلا يجوز وقد نقل عن رسول الله ﷺ.

وهكذا يشرع في التلبية ولا يسكت عنها حتى يرمي جمرة العقبة كما ثبت عن علي وغيره أنهم رموا جمرة العقبة وقال: قطع رسول الله ﷺ التلبية بعد أن رمى جمرة العقبة.

ويصح للإنسان أن يحج بالصغير ويكون له أجر في ذلك وهذا فضل من الله تعالى فقد ثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لقيه أناس من المسلمين بالروحاء أو بمكان غيره فرفعت إليه امرأة صغيرها فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر وهكذا يحج إن شاء بزوجاته كما فعل رسول الله ﷺ وفي ذلك أجر تقدم دليله في حديث أبي طليق وأم طليق.

ولولا التعقيد لإجراءات الحج لكان المسلمون مقبلين زرافات ووحدانًا بجماعتهم وأبنائهم وأطفالهم ونسائهم على حج بيت الله تعالى ويكون تيسير ذلك لهم تعاونًا ومن دل على خير فله مثل أجر من عمل به لا ينقص من أجورهم شيئًا فإن ذلك يجب والله التعاون فيه كما تقدم، وكما في حديث أبي موسى في الصحيحين ويقول النبي ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**».

ويقول النبي عليه والصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

فيجب على كل مسلم أن يشعر بآلام المسلم وأن يشعر ويعلم أنه واجب عليه أن ينصر أخاه المسلم قال النبي ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلوم**».

والتعاون مع أخيه المسلم على البر والتقوى كما أراد ربنا الله جل جلاله وأن يحذر كل مسلم مما حذر الله منه ورسوله من مطامع الدنيا الفانية فإن النبي ﷺ يقول: «**إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زينة الدنيا وزهرتها**»، وقال النبي ﷺ: «**إن شر الرعاء الحطمة**»، والحطمة هم الذين يضرون قومهم أو يختلسون أموال قومهم بغير حق فقد خطب رسول الله ﷺ خطبته البليغة يوم النحر وقعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه فقال أي يوم هذا فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فأي شهر هذا فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال أليس بذي الحجة قلنا بلى قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه.

فلا يجوز للمسلمين أن يختلسوا أموال بعضهم البعض في غير ما أحل الله فبأي ذنب وعلى أي مقابل تؤخذ تلك الأموال بالبدعة أو الخرافة الذي يسمونه بالمطوف الذي لا أصل له في سنة رسول الله ﷺ فقد حج رسول الله ﷺ وهو سيد البشرية وهو الذي أمر الله بالاتباع به وحذر أن

يخالف فيه فقال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

ولم يأمر أحد ألبتة أن يطوف بقومه وبأهله وأصحابه وهكذا خلفاؤه الراشدون وهكذا السلف الصالح إلى أن حصلت هذه البدع المحدثة مما يسمى بالمطوف ولربما تجده أجهل من حمار أهله فذلك الجاهل يأتي بتلك المناهج المبتدعة التي فيها أدعية لا تثبت عن رسول الله ﷺ ويبقى يهرول إمام الناس يقول لبيك لبيك وغير ذلك من دون خفية ولا رغبة في ربه وهكذا يأتي بجملة أذكار أن بيت الله عظيم وبيتك كريم وما إلى ذلك.

فإذا فرغ ذهب إلى الخارج يلعب بالضمنة أو ذهب إلى الخارج ينظر التلفزيون وهذا من قلة الأمانة أن يوسد الأمر إلى غير أهله فإن رسول الله ﷺ يقول: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة.

فكيف يوسد الأمر إلى جاهل من جهال المسلمين الذين لا يعرفون كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ وكيف يلزم المسلمون أن يدعوا بدعاء واحد وبأي دليل ذلك من كتاب وسنة فقد كان رسول الله ﷺ يقول وكذا أصحابه وما ألزمهم بدعاء أن يقولوه وما ألزمهم بمطوف أن يطوف بهم وما ألزمهم بتلك التكاليف التي هي حاصلة الآن قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة مَنْ سَنَّ فِي**

الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

فيجب على حكام المسلمين أن يسألوا أهل الذكر حتى لا يتحملوا أوزار كثير من الناس بسبب البدع فإن جهال المسلمين يعتبرون أتباعًا لكل ناعق.

﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل:٢٥].

عباد الله: ويحمل وزر غيره من أولئك المساكين الذي يستذلهم شيعي أو جاهل من الجهال لا يعرف كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ فذهب يعمد بهم هنا يجلسهم وبذلك المكان يجمع معهم الأحزاب وفي ذلك المكان يأتون وهم يدقدقون ولربما أحدهم رجم الجمرة بنعليه ولربما أحدهم أخذ الحجر الكبير فيذهب الحجر إلى رجل من المسلمين فيؤذيهم بسبب جهل ذلك الإنسان.

ألا فليتق الله كل مسلم أن يرفق بنفسه ألا فليتق الله كل مسلم في اختلاس أموال الناس فإن النبي ﷺ قد قال أيضًا من حديث أبي هريرة: **«أتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من**

حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار».

من من الناس يرضى لنفسه أن يأتي يوم القيامة مفلسًا كما أبان رسول الله ﷺ بعد أن عمل صلوات وصيامًا وكل ذلك بسبب أموال الناس وحقوق الناس ودماء الناس وأعراضهم.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.. «**ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يرح رائحة الجنة**» متفق عليه من حديث معقل بن يسار.

والحمد لله رب العالمين.

الفهارس